

أَدُمُّ مَحْيَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَدْلَانِيَّ

عُضُوهُ هَيْئَةِ أُولَى الْعَامِرِ وَالْفَتْوَى
عُضُوهُ مَجْلِسِ عُلَمَاءِ الشُّوَرَى
كُنُو - نَيْجِيرِيَا

حَدِيثٌ مَعَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ



مَكْتَبَةُ وَهْبَةِ

عِلْمِ الشَّيْخِ الْمُجْتَمِعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَسَاهِرَةِ
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

الفلاحي، آدم يحيى عبد الرحمن .

حديث مع علماء الحديث /

آدم يحيى عبد الرحمن الفلاحي . ط 1 ، القاهرة :

مكتبة وهبة للطبع والنشر والتوزيع ، 2019

264 صفحة ، 24 سم

تدمك 4 977 225 978

1- الحديث . دفع مطاعن

أ- العنوان

216.3



حديث مع علماء الحديث

آدم يحيى عبد الرحمن الفلاحي

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م

مكتبة وهبة 14 شارع الجمهورية -

عابدين - القاهرة

264 صفحة 17 × 24 سم

رقم الإيداع : 2019/4931

I.S.B.N. : الترقيم الدولي :

978-977-225-493-4

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه ، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية ، أو ميكانيكية ، أو نقله بأي وسيلة أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على أي نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر .

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher .

جميع الآراء الواردة بالكتاب تعبر عن رأى المؤلف وهو المسئول عنها وحده

ISBN 978 977 225 493 4



9 789772 254934

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة تليفون : ٢٣٩١٧٤٧٠ تليفاكس : ٢٣٩٠٣٧٤٦

e-mail: publisher_sultan@yahoo.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ
أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا
ااخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة: 213)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة إلى شيخ علماء الأمة

سيدي مدير المركز

وكيل شؤون رابطة العلماء والأئمة في بلاد يوربا

فضيلة الشيخ الأكبر محمد حبيب الله بن آدم عبد الله الألوري

كنتُ قبل اليوم أفكرُ في كتاب أبعث به إليكم مذ رقيتم عرش الخلافة وبوأتُم فيه ، ويعين الكتاب طلاب العلم على فهم أوضاع أمور السُّنة النبوية وعلمائها في بلاد يوربا التي تعيشون فيها ، وبلاد نيجيريا التي استخلفكم الله على شؤون علماء جنوبها ، ولم أجد إلا هذا الكتاب .
ولقد بعثته إليكم في هذا اليوم بعد أن رأيتم رجالاً يحبّ الحقّ ، وعالماً يحبّ الصدق والإخلاص ، وحكماً ثاقب الفكر وبعيد النظر ، وموفقاً في تأييد المصالح العلميّة والدينيّة مثل توفيقكم في تأييد المصالح السياسيّة .

فهل تأذن لي في أن أقدم إليكم هذا الكتاب الذي يفصل أوضاع أمور الدين في نيجيريا ، وفي بلاد يوربا على وجه خاصٍ . وها هو ذا ، مع التحية الخالصة والإجلال العظيم .

آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني

عضو هيئة علماء الشورى

كنو نيجيريا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

هذا الكتاب لا أريد به نقداً ولا رداً ، وإنما أريد به بياناً وتوضيحاً للقضايا المطروحة سابقاً ، حول كتاب صحيح البخاري وغيره من كتب الأحاديث النبوية . ثم لا أريد بهذا البيان والتوضيح إقناع علماء السنة الذين قاموا بالرد والنقد ، لأن إقناعهم في مثل هذه القضايا المطروحة غاية لا تدرك ، وكل ما أستطيع أن أقوم به في هذا الكتاب هو أن أستجيب لنداء الشباب الذين قرأوا كتابنا ، فوجدوا فيه ما يثلج صدورهم ويحل مشاكلهم التي طالما يطلبون لها حلاً ولم يجدوها عند علماء الحديث .

ثم لا أريد أن أكون مُفتياً كما يظن علماء السنة في بلادنا ، وحاش لله أن أتصدّر للفتوى فيما ليس لي به علمٌ ، أو أتصدر للاجتهاد فيما لا يسعني ولا غيري الاجتهاد فيه ، وكل ما أريد أن أقوم به كما قلت سابقاً ، هو التوضيح والبيان ، بعد ما رأيت في الحديث النبوي ما يدعو إلى ذلك ، حيث يقول الرسول ﷺ «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم» وهذا الحديث صحيح لغيره ، أخرجه أحمد وابنه عبد الله في السنة ، وأبو داود والنسائي والبراز في مسنده ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ، والبعوي في «شرح السنة» والبيهقي في «السنن الكبرى» وابن الجوزي في كتاب «التحقيق» .

إذن ، أنا أكتب هذه السطور كواحد من أداني المسلمين وأقاصيهم ، لتوضيح ما غمض من أمور السنة ، لا لأردُّ بها على الناقدين ، بل لأسجل

حمدي لله رب العالمين على ما سبق من الكتاب ، حيث قد فتح الله له أبواب القبول لدى شباب الجيل وعلماء هذه البلاد الذين يسعون كل السعي في تصحيح المفاهيم الخاطئة ، ودرء الشبهات المثيرة حول كتب الأحاديث النبوية ، وبنوع خاص ما ندعو فيها إلى البحث والمراجعة من جديد أو التنقيح والتهذيب من جديد ، لذلك أصبحت ضرورة شرعية على علماء الأمة القيام بمهمة هذا التنقيح والتهذيب ، وإن كان علماء السنة لا يوافقونهم على ذلك .

من هنا نعلم أن هذا الكتاب بيان وتوضيح لموقف علماء الأمة على ما يناقشون عليه علماء السنة ، وعلى ما يدعونهم إليه من أمر التنقيح والتهذيب في صحيح البخاري وغيره ، لأن العناية بهذا التنقيح في نظر هؤلاء لازمة وضرورة . ولأجل توضيح هذه المسألة وإفاضة البيان عليها ، كان هذا الكتاب يحتوي على أربعة فصول بعد مقدمة وخاتمة .

الفصل الأول : يتحدث عن المفاهيم الأساسية التي يجب إعادة النظر فيها عند علماء السنة ، مثل مسألة الثواب والمتغيرات ، ومسألة اعتقاد أهل السنة في الصحابة ، ومسألة الولاء والبراء ، ومسألة الدين وسلوك التدين .

الفصل الثاني : يتحدث عن كتاب صحيح البخاري وما أحدثه هذا الكتاب بين علماء السنة وعلماء الأمة ، من جدل ونقاش ، وجعلهم ينقسمون في نهاية الأمر إلى معسكرين : المؤيدين والمعارضين في المجتمع النيجيري .

الفصل الثالث : يتناول دراسة السنة النبوية بين الأصالة والمعاصرة ، حيث تتضمن وجهة نظر أهل الفقه وأهل الحديث في دراسة السنة النبوية ، ويتحدث عن أثر اليهود والنصارى والوراقين في أحاديث الصحيحين ، ثم

يتناول كذلك العيوب المنهجية التي ظهرت في كتابات غلاة علماء السنة ، ثم يأتي بعد ذلك تقويم أسس علم الجرح والتعديل في ضوء القرآن الكريم .

الفصل الرابع : يتحدث عن الاستشراق السلفي وكيف بدأ في العالم الإسلامي؟ ولماذا كان بعض علماء السنة هم المستشرقون من السلفيين؟ وما آثار هذا الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي؟ وما موقف علماء الأمة من هذا الاستشراق السلفي الجديد. ثم تأتي بعد ذلك خاتمة البحث.

هذا كله هو ما يحتوي عليه هذا الكتاب ، وإن كان الباحث لم يستطع أن يصل إلى دراسة هذه الموضوعات دون أن يلتفت في مدخل البحث إلى أهمية دور دارسي اللغة العربية في علم الحديث ، علماً بأن المراجعة التي يدعو إليها في هذا الكتاب وغيره ، لا يمكن القيام بها بدون التمكن في اللغة العربية ، ثم يرى بعد ذلك أن أساتذة اللغة العربية وآدابها لهم دور هام يجب أن يقوموا به في أثناء التنقيح والتهديب ، لأن التراث النبوي الشريف أجلّ وأوسع وأشمل من أن ينفرد بتهديبه علماء الحديث فقط دون غيرهم من الدارسين . إذ هي مسؤولية علماء الأمة دون استثناء طائفة منهم أو إثارة هؤلاء على أولئك في هذا العمل الكبير .

وبعد ، فإذا استطاع هذا الكتاب أن يجمع علماء الأمة وعلماء السنة على كلمة واحدة ، والقيام بالعمل الدؤوب الليل والنهار على مراجعة مواطن الخلل في تراث العلم والدين في ضوء القرآن الكريم ، فقد بلغ صاحب هذا الكتاب ما يريد ، وما هو ببالغه إلا أن يشاء الله رب العالمين .

كنو في : 29 من ربيع الآخر 1440 هـ

عضو مجلس علماء الشورى

الموافق 5 يناير 2019 م

كنو نيجيريا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل البحث التخصُّص والمتخصِّصون

- التخصُّص وتبجُّح المتخصِّصين
 - الشيخ الألباني وتفوقه في اللغة العربية
 - لم يتخرَّج الألباني في الجامعة
 - لم يتفوق الألباني في علم الحديث إلا بالمجهود الشخصي في ارتياد المكتبات والدهاليز
 - الرجل الأمي هو مؤسس جامعة الحكمة في نيجيريا
- منافع التخصُّص ومضاره
- دور دارسي اللغة العربية في علم الحديث



التخصُّص وتبجِّح المتخصِّصين

يجب عليّ أن أبدأ حديثي مع الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام⁽¹⁾ حول التخصُّص والمتخصِّصين قبل أن أنتقل إلى صميم الموضوع ، ويجب عليّ أن أشكره على كل حال في أنّه يفرض عليّ هذا الحديث فرضاً ، ويضطرني إليه اضطراراً ، ويحملني على أن أبعث إليه كلمة حول « التخصُّص والمتخصِّصين » ولعلّ هذه الكلمة تنقذه مما هو فيه وغيره من سباتٍ عميق .

إنّ كلمة « التخصُّص » قد شاعت وزادت قبل إصدار كتابي ونشره بين الذين يقرأون ويكتبون ، وبين الذين لا يقرأون ولا يكتبون ، وبين الذين يعلمون ويفهمون والذين لا يعلمون ولا يفهمون ، ينطلق بها كل لسان ، ويجري بها كل قلم ، ويخوض فيها كل متحدِّث ، وهي مع ذلك لا تدلّ على شيء ، لأننا نريد أن ندلّ بها على كل شيء . أقول ليس هذا اليوم قد بدأت كلمة « التخصُّص » تخرج من أفواه علماء الدين وتشيع وتنتشر كلما كان النقاش جارياً بينهم وبين غيرهم من العلماء حول بحث علميٍّ أو موضوع دينيٍّ ، فيتَّهم بعضهم بعضاً في عدم التخصُّص قبل الخوض في ذلك الموضوع الصارم .

(1) الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام ، خريج جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، كان من علماء السنة في مدينة إلورن ، ومن هيئة علماء الدعوة الذين قاموا بالرد على كتابنا السابق الذي كان اسمه « في صحيح البخاري بحث ومراجعة » حيث ألّف كتاباً سماه « عن صحيح البخاري » دفاعاً - في رأيه - عن السنة النبوية الشريفة ، فقمنا في هذا الكتاب بالبيان والتوضيح فيما أشكل عليه وعلى أنصاره من علماء السنة.

وهؤلاء المتبحرون بالتخصص هم الذين تفرغوا لدراسة فرع معين في العلم أو الفن أو الصناعة ، وتخصصوا فيما دون سواه⁽¹⁾. وإن المتخصصين في رأي هؤلاء القوم - هم العلماء حقاً ، وهم الذين يستحقون الصدارة في العلم والفن ويستحقون الاحترام في مجال تخصصهم⁽²⁾.

هذا كله هو ما يقولون قبل هذا اليوم وهذا كله هو ما يشيعونه ويتبادلونه فيما بينهم كلما يتحاورون أو يتناقشون ، ولذلك لم أعجب في هذا اليوم ولم يأخذني من الدهش قليل ولا كثير حين رأيت صديقنا الدكتور يتهمني في كتابه بعدم التخصص في علم الحديث وفي ذلك يقول :
« يا أخي آدم يحيى لقد دخلت فيما ليس لك به علم ، وورطت نفسك في مشكلات عويصة فقدماك في هذا العلم في وحل لم تثبتا ، اعتراضك على الإمامين البخاري ومسلم جعلهما يشهران في العامة أكثر من ذي قبل ، فنقدك الهادم لا يضرهما بل بالعكس ... »

فالبحر أمواجه متلاطمة ، فلا بزورق الشريعة استنجدت ولا بمجداف المحدثين تسلمت ، فبم تصل إلى شاطئ البحر؟ لا سبيل إلا التوبة عما اقترفت ، عفا الله عنا وعنك⁽³⁾

« لم تألف في أفريقيا ولا ديارنا النيجيرية الاعتراض السافر والنقد السلبي اللاذع من علمائنا الأفارقة ولا النياجرة ، على الصحابة أو الثوابت الدينية ولا أحد من طلبة العلم يقيم لهم وزناً ولم نعر لهم بالا ، لأننا عرفنا أنهم يمتشقون رشف سم من رطانة الترجمات الأعجمية ،

(1) راجع في ذلك مادة : التخصص في كتاب معجم الرائد للأستاذ جبران مسعود ، ومفردات القرآن للراغب الأصفهاني

(2) المرجع السابق : مادة : التخصص .

(3) عن صحيح البخاري دكتور عبد الرحمن أحمد الإمام ، ص 39 ط 1 .

لا من أصل لغة الوحي ، لكن تَمَّ استيراد ذلك إلى نيجيريا لأول مرة من خليفة عالم كبير في نيجيريا ، وصدقه رسمياً محرراً في الكتاب الذي نعيم له بالاً ونقيم له وزناً رجل أكاديمي موهوب في اللغة ، فتدخل فيما ليس من تخصصه متطفلاً على مائدة المحدثين من غير عرض ما قاله عليهم ليقوموه فهو من هوة الطعن في الصحابة»⁽¹⁾

هذا كلام الدكتور الإمام ، فقد رآني في حديثه رجلاً أديباً أكاديمياً ، ولغوياً موهوباً ذلك عندما كنتُ متخرجاً في قسم اللغة العربية ، ثم رآني بعد ذلك رجلاً متطفلاً على مائدة المحدثين عندما لم أجلس لدرس علوم الحديث في فصول الجامعة وقاعاتها ، ولم أخصص فيها على أيدي رجال أكاديميين فيمكن لي الحصول على شهادتها العلمية في إحدى الجامعات الإسلامية الحديثة ، وهذا كما ترى هو ما جعل سيدي الدكتور يحرم عليّ حق التدخل والتحديث في علوم الحديث .

إذن فمن الذي يساعدني على إفهامه في أن الشهادة العلمية ورقة تثبت أنك متعلم لكنها لا تثبت أنك تفهم ، ويساعدني كذلك على إفهامه أن ليس في ربوع الجامعة فقط كان الناس يدرسون علوم الحديث ويتخصصون فيها ، وخاصة في البلاد العربية والأفريقية ، لأن دهايز العلماء وزواياهم كانت حلقة من حلقات جامعية تُدرس فيها علوم الحديث والفقه والتفسير إلى درجة التخصص ، وقد ينقصهم النظام التربوي الحديث ، لكنهم لا يزالون متبحرين في كثير من العلوم والفنون . وقد يشك الدكتور فيما أحدثه في هذا الأمر ، ويشك غيره من أمثاله المتبجحين بالتخصص فيما أنا أذهب إليه الآن من الرأي . لذلك كان الواجب عليّ أن أقيم لهم دليلاً على ذلك ثم لا يستطيع أن يرفضه هو

(1) عن صحيح البخاري ، ص 203 ، ط 1 .



وغيره من المنكرين ، وهذا الدليل يأتي إليهم عن طريق سيرة الشيخ الألباني الذاتية وتاريخ حياته العلمية

- الشيخ الألباني وتفوقه في اللغة العربية

لا أريد أن أشير إلى خصمي كثيرا من العلماء القدامى الذين تخصصوا في اللغة العربية قبل أن يطلبوا علوم الحديث ، ولا الذين تفوقوا في علم الأدب نثرا ونظما قبل أن يتعمقوا في علم الحديث خاصة وفي علوم الدين على وجه عام ، ولو أريد هذا لأشرت إليهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي كان أديبا شاعرا موهوبا ثم لا يمنعه هذا الشعر والأدب أن يكون فقيها محدثا ، ومجتهدا بارعا في علم الفقه والحديث . ولأشرت إلى الإمام البخاري نفسه الذي يدور حوله الحوار ، إنه مؤرخ وناقد ولغوي قبل أن يكون راويا ومحدثا . أقول لكم بأنني لا أريد أن أشير إلى هؤلاء العلماء الجهابذة الذين كان استعدادهم الفطري قد هياهم لقبول المعرفة مهما تختلف فروعها ، ومهما تكن مادتها ، أما السبب الذي يمنعني عن أن أشير إليهم فهو أن النظام الجامعي لم يكن معروفا في أيامهم ، ولم يتمكنوا من الوسائل التعليمية التي كانت متوفرة وشائعة في هذا العصر . ولم يظفروا بالإجازات الجامعية التي كان كثير من علمائنا اليوم يتلهثون وراءها . بل أنا أريد أن أشير إلى الشيخ الألباني وإلى سيرته الذاتية التي قرأتها في كتاب اسمه «أحداث مثيرة في حياة الشيخ العلامة الألباني» وفي ذلك يقول المؤلف :

« كان الشيخ قد حصل على الشهادة الابتدائية في أربع سنين ، يقول الشيخ » يعني الألباني نفسه « يبدو أن الله عز وجل فطرني على حب اللغة العربية وهذا الحب هو الذي كان سبب كسب مادي بعد الفضل الإلهي أن أكون متميزا ومتفوقا على زملائي من السوريين في علم اللغة العربية

ونحوها ، وأذكر أيضا جيدا أن أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملة أو بيت شعر على اللوح ويسأل الطلاب عن إعرابه يكون آخر ما يطلب منه ذلك هو الألباني ⁽¹⁾ .

وكما أن الشيخ ناصر الدين الألباني كان متفوقا في اللغة العربية في أيام صباه ، كذلك كان متفوقا في الأدب العربي والأجنبي قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، حيث كان يتعمق في قراءة قصص «أرسين لوبين» وكتاب «اللس الأمريكي» وعنترة بن شداد وغيرها من القصص البوليسية ، والقصص الأدبية المثيرة ⁽²⁾ ، لكن مع هذا كله لم يتخرج الألباني في الجامعة ، ولم يتخصص في علم الحديث إلا بالمجهود الشخصي في ارتياد المكتبات ودهاليز العلماء .

- لم يتخرج الألباني في الجامعة

هذه هي حقيقة أخرى يجب أن أثبتها للذين يتبححون بالتخرج في الجامعات والمعاهد العليا في هذا العصر الحديث ، وليس أن هذه الجامعات الحديثة لم تكن موجودة ومنتشرة في أيام الألباني وعصره ، وليس أن الطلاب الوافدين إلى الجامعة للعلم والتحصيل لم يكونوا موجودين في بلاد الشام التي ترعرع فيها الألباني وأنفق جل أيام صباه فيها ، بل كان أبوه هو الذي منعه عن الالتحاق بالمدارس النظامية ولا سيما الجامعة ، لسوء رأيه فيها من الناحية الدينية ، بل وضع له هذا الشيخ الوالد برنامجاً عملياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن والتجويد والصرف

(1) أحداث مثيرة في حياة الشيخ العلامة الألباني : محمد صالح المنجد ، ص 9 :

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، إسكندرية .

(2) المرجع السابق . ص 9 .

وفقه مذهبه الحنفي⁽¹⁾، ثم تلقى الألباني بعض العلوم الدينية والعربية على يد مجموعة من الشيوخ والعلماء من أصدقاء والده ، مثل الشيخ محمد سعيد البرهاني حيث قرأ كتاب (مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح) في الفقه الحنفي وبعض كتب النحو والبلاغة العصرية ، ثم كان يحضر دروس العلامة بهجت العطار مع بعض أساتذة المجمع العلمي بدمشق ، منهم عز الدين التنوخي رحمه الله الذي كانوا يقرأون معه عند الشيخ كتاب الحماسة لأبي تمام⁽²⁾، ثم عمل الألباني في النجارة وإصلاح الساعات ، وكان بارعاً في مهنته الثانية التي هي إصلاح الساعات ، حيث أجادها حتى أصبح من أصحاب الشهرة فيها ، لذلك كان يتكسب منها ويحصل عن طريقها على قوته وقوت أسرته ، ليستطيع بعد ذلك أن يتفرغ لطلب علم الحديث وتحصيله في المكتبة الظاهرية ودهاليز العلماء .

- لم يتفوق الألباني في علم الحديث إلا بالمجهود الشخصي في ارتياد المكتبات والدهاليز

كانت أبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا هي الحافز المقوي الذي بعث الشيخ الألباني إلى طلب علم الحديث ، وكان يرى أن الشيخ رشيد يتكلم في فصل من فصول المجلة عن كتاب الإحياء للغزالي ، ويشير إلى محاسنه ومآخذه ، ويرى أنه يتكلم عن كتاب الحافظ العراقي الذي وضعه في تقويم كتاب الإحياء وتخريج ما ورد فيه من الأحاديث النبوية ، وتمييز ما فيها من صحيح وضعيف . وجعل اسم

(1) حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه : محمد إبراهيم الشيباني ، ص ، 45

(2) صفحات بيضاء من حياة الألباني : للأستاذ عطية بن صدقي على سالم عودة ، ص 61،



هذا الكتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار «فاستعان الشيخ الألباني» بالمؤلفات اللغوية والبلاغة لفهم النصوص الواردة في كتاب المغني وما فيه من تخريج الأحاديث . وكان هذا الجهد الكبير هو أول ما قام به الشيخ الألباني في علم الحديث ودراسة السنة النبوية بشغف شديد ، ولعل هذا العمل هو الذي فتح أمامه آفاق المستقبل وجعله يتشوق إلى علم الحديث ويتعمق في درسه إلى أن صار مرجعاً سنياً معاصراً في دراسة السنة النبوية . وكان يرتاد المكتبة الظاهرية بدمشق في أول الأمر ، ثم يقوم برحلات علمية ودعوية في داخل سوريا وخارجها ، ويلتقي بكثير من العلماء وطلبة العلم الذين أخذ عنهم وأخذوا عنه ، منهم مؤرخ حلب ومحدثها . الشيخ راغب الطباخ الذي أجاز الألباني بمروياته ، ⁽¹⁾ كما التقى بالشيخ حامد الفقي رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر ، والمحدث المحقق أحمد شاكر ، كما التقى بالأديب الشيخ محب الدين الخطيب ، والمحدث الهندي حبيب الرحمن الأعظمي ، والعلامة يوسف القرضاوي ، والشيخ محمد الغزالي ، والدكتور أحمد العسال ، والدكتور عمر الأشقر ، والشيخ ابن باز رحمه الله ، وكان بينهما جلسات علمية نافعة ومراسلات مفيدة ، وغير هؤلاء كثير في بلاد الهند وتركيا والشام ومصر والمغرب العربي . ⁽²⁾

هذه هي سيرة الشيخ الألباني الذاتية ، فهل قرأت فيه أنه تخرج في الجامعة الحديثة؟ أو أنه قد تخصص في قسم علم الحديث ، في إحدى كلياتها ، بل كل ما عرضنا من حياته العلمية قائمة على ارتياد المكتبات

(1) أعلام الدعوة : محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر وناصر السنة ، ص 1063 ، 1064 ، تأليف عبد الله العقيل .

(2) انظر بالتفصيل ، محمد إبراهيم الشيباني : حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ، ص 63 ، 64

الإسلامية ، والرحلات العلمية ، وحضور الندوات ، ولقاء علماء الدين ورجال العلم في هذا العصر الحديث .

وقد يقول قائل الآن فأين أنت من الشيخ الألباني في علمه ودينه وسفره ولقاءاته مع العلماء العظام؟

إن سيدي الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام هو الذي سيقوم بمقامي في هذه الإجابة ، فإنه يعلم شيئاً يسيراً من سيرتي الذاتية ، لذلك كان يتحدث عنه في كتابه « دفاع عن صحيح البخاري » على النحو التالي :

« الشيخ آدم خريج مركز التعليم العربي الإسلامي أجيجي ، ثم البكالوريوس في اللغة العربية ، جامعة بايرو كنو ، وهو كاتب إلوري مولداً ، كنوي مسكنا ، روائي موهوب في ساحة الرواية ، له مؤلفات أخرى غير الرواية ، جمعتنا معه أخوة الأعمام قبل أخوة الدراسة ونحن صغار عند العلامة محدث عصره المرحوم الشيخ علي جبتاً رحمه الله ، ثم زمالة الدراسة النظامية عند علامة أفريقيا ومجددها بعد آل فوديو ، الشيخ آدم عبد الله الألوري رحمهم الله أجمعين⁽¹⁾ »

أنا أشكر سيدي الدكتور على أنه يقدم سيرتي الذاتية إلى الذين لا يعرفونني في داخل البلاد وخارجها ، وأشكره كذلك على تقدير الأخوة والزمالة في الدرس والتحصيل صغاراً وكباراً ، وأشكره مرة أخرى على أنه ذكر في تعريفاته أنه قد جمعتنا الزمالة معه عند العلامتين الكبيرين أولهما فريد عصره في علم الحديث ، وثانيهما مجدد عصره في العلوم العربية والإسلامية ، وأنا أشكره على هذه الشهادة الكبرى التي منحني إياها ، وقد لا يعلم قيمة هذه الشهادة التي منحني إياها إلا إذا قمت بإفاضة البيان عليها جملة وتفصيلاً .

(1) عن صحيح البخاري ، ص 3 ، ط 1 .

أنا أشكر سيدي الدكتور كما أقول عندما أثبتته لي أن الزمالة قد جمعتني معه في أيام الصبا عند العلامة الذي كان محدث عصره ، أما الذي لم يُثبتته سيدي الدكتور فهو أن هذا الشيخ المحدث الذي ذكره في حديثه ، لم يتخرج في الجامعة ولم يتخصص في قسم علم الحديث فيها ، وإنما تفوّق في علم الحديث بالمجهود الشخصي وتردده على العلماء التقليديين في الدهاليز والمساجد ، كما فعل الألباني من قبل في بلاده ، ثم الذي لم يُثبتته الدكتور في كتابه أنني مكثتُ قبيل ربع قرن من عمري تحت رعاية هذا الحافظ المحدث الكبير ، وقد يتلمذ الدكتور على ذلك الشيخ المحدث لمدة أربع سنين فقط ، أما أنا فقد ترعرعتُ في دهليز ذلك الشيخ الحافظ المحدث ومكثتُ فيه طالبا ومدرّساً وعميداً ، وأخذتُ عنه علوم الحديث صغيراً وكبيراً ، وحصلتُ على شهادة دهليزه التي تحمل عنوان «مدرسة أنصار السنة» ولا تزال هذه الشهادة في حوزتي حتى اليوم . فأين شهادة الدكتور التي منحه إياها؟ ذلك الشيخ الحافظ الكبير محدث عصره أو فريد عصره كما يقول هو في علم الحديث .

وهل يعلم الدكتور أن دهليز ذلك الشيخ المحدث كنتُ من الذين طوّروه من تعليم الصغار إلى تعليم الكبار بعد غياب الدكتور ، وبعدما رجعتُ من المركز وأصبحتُ مدرّساً بدار العلوم ثم لا أزال أرتاد هذا الدهليز مدرّساً لغيري من الصغار والكبار ، ومستأنفاً بدروسي في علوم الحديث وغيره عند الشيخ علي جبّتا ، الذي هو فريد عصره في علم الحديث ، فهل من الممكن أن أمكث في دهليز علمي عشرين عاماً ثم لا أستفيد من صاحبه؟ ولا أتخصص في علم الحديث الذي تبحر فيه الشيخ بلا جدال ولا منازع ، هذا مستحيل يا فضيلة الدكتور فانتبه!!

ثم يتحدث الدكتور عن زمالتنا معه عند العلامة الألوري الذي كان مجدداً إسلامياً - كما قال - بغرب أفريقيا ، فلماذا لم يثبت الدكتور في كتابه أن العلامة الألوري لم يلتحق بالجامعة رغم وجودها في زمانه ، ولم يتخرج فيها ، ولم يتخصص في علم أو فن على أيدي أساتذتها المتخصصين ، وإنما تلقى علومه على أيدي شيوخنا الأفارقة التقليديين وعلى أيدي بعض علماء العرب الأقحاح في دهاليزهم ومساجدهم ، ثم استطاع الألوري أن يتبحر في العلوم والفنون بالمجهود الشخصي وارتداد المكتبات الإسلامية كما فعل الألباني في عصره وبلاده ، فأصبح مجدداً إسلامياً - كما يقول الدكتور - في هذه القارة السوداء ، وعالما كبيراً لا يُشق له غبار .

فمن هنا نعلم - يا دكاترة الأوراق - أن الجامعات وفصولها ليست هي الوحيدة كانت ربوع العلم في العالم كله ، ولا هي مكان التخصص الذي لا نظير له كما تتوهمون ، وإنما يؤخذ العلم إلى درجة التخصص في أمكنة أخرى لم تتصل بالجامعات وقاعاتها من قرب أو بُعد ، لذلك ضربتُ لكم مثلاً بالألباني والجبتي والألوري وعدم حصولهم على الشهادة العالمية ، فضلاً عن شهادة التخصص في الماجستير والدكتوراه ، ثم لا يمنعهم أي مانع عن التبحر في العلوم والفنون بمجهودهم الشخصي ، وواسع اطلاعهم في الكتب العلمية والدينية . حتى أصبحوا مرجعية عظمية في علم الحديث وغيره وفي ذلك عبرة لأولي الألباب ، وجواب كاف لأهل الجحود والإنكار من المتخصصين الأكاديميين .

- الرجل الأمي هو مؤسس جامعة الحكمة في نيجيريا

هذا شيء آخر يجب عليّ أن أنبه عليه أولئك الغافلين ، ذلك أن الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام وغيره من الأكاديميين النيجيريين كانوا

يعملون في جامعة الحكمة تحت رئاسة رجل أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يتخصص في أيِّ ميدان علميٍّ من ميادين العلم والمعرفة ، ومع ذلك فهو الذي أقام للناس الصرح العلمي الخالد ، وشيّد لهم بناء الجامعة الذي كان الدكتور يكتسب منه قوته اليومي وقوت عياله ، إلى هذا الوقت الذي أحدثكم فيه الآن ، انظر إلى هؤلاء الدكاترة كيف كانوا يعيشون في بطون الأوراق ولم ينظروا إلى ما يجري حولهم في المجتمع ، ولو شاء الله كما شاء أولئك المغفلون أن يقف كل إنسان عند حدّه ، أو يعيش في دائرة تخصصه ثم لا يتعدى إلى ميدان غيره ، أقول لو شاء الله كما شاء هؤلاء القوم لكان هؤلاء الدكاترة هم بناء المعاهد العليا والجامعات الحديثة ، ولكن الله تبارك وتعالى لم يشأ ما يشاؤون ولم يجعل القدر يجري على أيديهم كما يريدون ، بل قدّر الله لهذا الرجل الأُمِّي أن يقوم بما لا يليق بمقامه ، ولا بمستواه ، ولا بدائرة تخصصه التجاري والمقاولي ، بل قدّر الله أن يخرج من هذا كلّ ، ويفكر في إنشاء الجامعة ، ويعمل عملاً جباراً يفيد غيره من البشر ويستفيد منه الدكاترة المتخصصون . كذلك شاء الله تبارك وتعالى أن يتطفّل دكاترة الأوراق على مائدة الرجال العباقرة الأُميين ، كما شاء الله أن أتطفّل أنا في وجهة نظرهم على مائدة المحدّثين في هذا اليوم .

وليس في بلادنا نيجيريا فحسب كان الدكاترة المتخصصون يتطفّلون على مائدة الرجال العباقرة الأُميين بل في العالم أجمع . وخير شاهد على ذلك هو النبي الأُمِّي محمد بن عبد الله القرشي الذي يقول له أهل الكتاب في زمانه ، والذين كانوا أهل التخصص في أمور الدّين قبل بعثته ، وكانوا فقهاء ومحدّثين ومفسرين في اليهودية والنصرانية قبل ظهور النبي الأُمِّي عليه الصلاة والسلام ، لكن لما جاء إليهم محمد ﷺ بالهدى ودين الحق بدؤوا يقولون ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: 75).

أليس أهل الكتاب الذين كانوا أهل التخصص في تلك الأيام يتطفلون على مائدة علم النبي في نهاية الأمر - يا دكتور - على رغم أنه نبي أمي نص صريح غير ذي عوج ولا أمت ، أليس هذا النبي - يا دكتور - هو مؤسس علم الحديث الذي تتبحر به الآن وغيرك من دكاترة الأوراق في التخصص؟ وقد تقول لي الآن إن ذلك من خصوصية النبي ﷺ ، فما رأيك إذن في العالم المهندس ومؤسس شركة الجهاز الآلي « ميكروسفت » الذي كان اسمه « هنري وليام » والذي اشتهر باسم « بيل غيتس » ثم هذا الرجل الذي اخترع « كتاب الوجه » والذي كان اسمه « مارك زوكبيرج » ، أليس كل منهما قد التحق بجامعة هارفارد لكن لم يكن منهما من تخرج فيها ، بل ذهب كلاهما في نهاية الأمر إلى ميدان هوايتهما دون أن يحصل كلاهما على الشهادة العالمية في إحدى الجامعات الغربية الحديثة . فماذا ينقص كلاهما في هذا اليوم يا دكتور! ألسنت من الذين يتطفلون على مائدة علومهما في جهاز الحاسوب ، وهل هذه الهندسة الحاسوبية هي ميدان تخصصهما أثناء التحاقهما بجامعة هارفارد؟ أرجو أن تنتبه من نوم الغفلة يا دكتور ونوم الجهالة! فإن الذي يحدث في هذا الأمر كله هو ما قال الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۚ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۚ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف: 31-32)

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة: 105)

إن رحمة الله - يادكاترة الفصول والأوراق - هي التي جعلت قسمتكم في بلادنا قسمة ضيزى . وهي التي رفعت جاهلاً ووضعت عالماً على

حكمة بالغة منه . والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وهو الذي اختص برحمته من يشاء من أبناء الشيخ آدم عبد الله الألوري ، ورفعته وفضله عليكم ، وجعله شيخكم ومديركم على رغم أنوفكم وعلومكم . لأن والده رحمه الله هو خادمكم بعلمه في الأمس ، وإذا أصبح ابنه سيّدكم في هذا اليوم فهل في ذلك عيب أو نقص ؟ من هنا تعلمون أن الخدمة هي التي جعلته رئيساً لكم لا تخصصاً ، وهذه الخدمة هي التي جعلته خليفة لا ورقة ولا شهادة ، وسيّد القوم كما ورد في الأثر هو خادمهم .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْبِنُوا غَوًى وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِيمَانِ سَبِيلًا ۚ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۚ ﴿٥٢﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۚ ﴿٥٣﴾ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۚ

(النساء: 51-54)





منافع التخصص ومضاره

على أنّ التخصص الذي نتحدث عنه منذ حين ، له منافع ومضار كما أنّ لكل شيء منافع ومضار ، وقد لا يعلم المتبحرون بالتخصص هذه الحقيقة الكبرى ، لذلك يجب عليّ أن أفصّل القول عنه تفصيلاً .

ليس منّا من يجهل أنّ فوائد التخصص قد بدأت من تبخر المتخصص وتعمّقه في مجال التخصص ، لأنّه قد تفرّغ للدرس في مجال تخصصه زمناً طويلاً ، وهو لا يعتني بشيء كما يعتني بمواد علمية تتصل بميدانه ومجال اختصاصه ، وهو ينفق بياض يومه وسواد ليله أو بياض أيّامه وسواد لياليه حتى يتخرّج في كليّته متخصصاً بارعاً في العلم الذي تخصص فيه ، ويستطيع بعد ذلك أن يكون جامعاً ومحيطاً بالعلم الواسع العميق الذي سيعينه على التغلّب في كثير من المشاكل والتحديات الواردة أو الصادرة في مجال تخصصه . هذا كلّ أمر لا جدال فيه ولا مرأى .

لكن على أن تقرير هذه الفائدة ، لا يعني أن ليس في التخصص مضار ، ثم لا يعني أن ليس من المتخصصين من لا يقع في هذا الضرر . من حين إلى حين ، ولست أعرف شيئاً أشدّ خطراً على المتخصص من أن يؤمن بنفسه أو يرضى عن علومه أو يظنّ أنّه بلغ الغاية من المعرفة ، وبلغ الغاية من العلم ، فأصبح وحيد عصره الذي لا يُشَقُّ له غبار .

وخذ لذلك مثلاً الطبيب ، وقد ذكرتُ الطبيب لأنه هو المثل الأعلى الذي يضرب المحدثون به مثلاً عند المقارنة في مجال التخصص . أقول إنّ الطبيب الذي يتعمق في علم الطب حتى يحسنه ويأخذ منه بأعظم حظّ



ممکن ، ويمرّن نفسه على أن يحبّ هذا العلم ويسعى إلى التقدم فيه ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، ثم يقصر نفسه على علم الطب الذي أتقنه ولا يجاوزه إلى غيره من ألوان المعرفة ، أقول إن مثل هذا الطبيب رجلٌ حسن الحظّ من العلم ولكنه محدود الثقافة ، لأنه لا يتجاوز ميدان تخصصّه ، وقد يقال له إنّه طبيب حقّاً لكنّه ليس مثقّفًا ، أما الطبيب الذي يستطيع أن يضيف إلى طبّه الذي أتقنه مشاركة في علم آخر أو فنّ آخر مثل الأدب والفلسفة وما إليهما ، ثم لا يعرض له لون من ألوان المعرفة الإنسانية إلا وجد في نفسه استعداداً لقبوله والمشاركة فيه ، فمثل هذا الطبيب طبيبٌ مثقّفٌ وواسع المعرفة والثقافة ، وقل مثل ذلك في الذين يتخصّصون في ضروب من العلم ، ولكن ذلك لا يمنعهم عن الاستعداد لقبول المعرفة مهما يكن لونها ، ومهما تكن موادها ، فمثل هؤلاء العلماء هم المثقفون بلا جدال ولا مرأى .

وبعد هذا البيان الشافي عن العلاقة بين التخصص والثقافة وحقيقتهما يجب أن نفهم في ضوء هذا البيان أنّ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام وأمثاله من المتبحّرين بالتخصّص في علم الحديث ، كان كثيرون منهم علماء حقّاً ، ولكن ليسوا مثقفين ، لذلك كانوا يحرمون على دارس اللغة العربية أن يشاركهم في مجال تخصصهم أو يناقشهم في علوم الدّين .

ولست أعجب لشيء كما أعجب لصاحبنا الدكتور وأمثاله من علماء الحديث حين ينسون أن الدّين ليس لأهل التخصّص فقط وإنما هو للناس كافة ، وأن علم الدّين ليس كعلم الطب كما يتوهمون أو يقولون ، لأن علم الطب لا يزال يتجدد كلّ يوم عملاً ونظراً ، بخلاف علم الحديث الذي جعلتموه من الثابت التي لا تتجدّد ولا تتغيّر . فهل ترون طبيباً متخصصاً في هذا العصر يعالج المرضى ، والجرحى بالطب النبوي أو بطب ابن سينا

أو غيره من أطبائنا القدماء؟ وقد تريدون ذلك لأنفسكم وتروّجونه وتدعون إليه في كتابكم .⁽¹⁾

لكن الأطباء المتخصصين لا يرضون عن ذلك ، وإنما جعلوا طب ابن سينا وأمثاله أن يمثّل عصرًا من عصور الحياة العلمية ، فهو يدرس في كلية الطب على أنه فصل من تاريخ الطب والطبيعة فقط لا غير .

وقصارى القول يا علماء الحديث إنّ الحركة العلمية لن تنتهي من فرع من فروع العلوم الطبيعية إلى يوم يفنى العقل الإنساني ويحال بينه وبين البحث والتفكير ، ولا أعرف علمًا من العلوم انتهى عند غايته وكملت مباحثه وقيلت فيه الكلمة الأخيرة إلا ما تقولون في الثوابت الدينية ، وإنما أعرف أنّ كل علم قابل لأن يتغير ويتجدد ويحذف جحودًا وإنكارًا ، لذلك لا أرى وجه التشابه بين علم الطب المتجدد كلّ يوم وبين علم الحديث الذي كان بعضه من الثوابت التي لا تقبل التغيير إلى الأبد .

أنا إذن لا أوافق الدكتور ولا علماء الحديث في ضرب المثل بعلم الطب أو غيره من العلوم الطبيعية أثناء المقارنة في مجال التخصص ، ذلك كلما يدور النقاش بينهم وبين غيرهم حول أمور الدين .



(1) راجع ما يقول الدكتور عن ذلك في كتابه « عن صحيح البخاري » ص 124-126

دور دارسي اللغة العربية في حفظ علم الحديث

ثم لا أعجب لشيء كما أعجب لصاحبنا الدكتور وأمثاله من المتبحرين بالتخصص في علم الحديث حين ينسون أنهم تعلموا في المدارس والجامعات والمعاهد العليا ، وأنهم في كل مرحلة من مراحل تعليمهم لم يكونوا يتلقون علم الحديث فحسب وإنما يتلقون قبل كل شيء علوم اللغة العربية ، وينسون كذلك أن ليس من أئمة المحدثين قديماً وحديثاً من لم يتقن اللغة العربية قبل أن يتخصص في علم الحديث ، وليس من شك أن الإمام البخاري والترمذي ، والنسائي كلهم عجمٌ درسوا اللغة العربية وتعمقوا فيها قبل أن يتبحروا في علوم الحديث وأصولها . وكان هؤلاء قد فهموا أنّ اللغة هي أول ثابت من ثوابت الهوية الإسلامية عبر الأزمنة والتاريخ ، وفهموا كذلك أنّ هويّة اللغة وثوابتها قابلة للتجدد والتطور ، دون أن تخلى مكانها وتنقص درجتها أو تفنى قواها . لذلك نرى من هؤلاء المتخصصين في اللغة العربية وعلومها من يدعو في هذه الأيام إلى استئناف البحث من جديد في هذه العلوم العربية كلها ، وفي ذلك يقول :

« إن العلوم التي هي مفاتيح فهم الكتاب والسنة وهي كل علوم العربية ، لأن كل فروع علومنا وأصولها ، أصلها اللغة التي نزل بها الكتاب وتكلم بها النبي ، ولا شك أن وضع بدائل لهذه العلوم لا يمكن أن تكون مفاتيح فهم كلام الله وكلام رسوله ⁽¹⁾ .

ويقول في موضع آخر من هذا الكتاب القيم :

« وقد تغلغل البحث البلاغي في علوم كثيرة تراها بجوار الفقيه وهو يعالج بناء اللغة ليستنبط الأحكام ، وتراها بجوار المفسر والمحدث ودارس

(1) راجع كتاب «المسكوت عنه في التراث البلاغي . الدكتور محمد أبو موسى» .



الشعر إلى آخره . . . وكل هذه ميادين خصبة ترى فيها البحث البلاغي أكثر مما تراه في كتب البلاغة ، لأنه هناك ناشب ومتشابك مع النصوص ، وها هو ميدانه » .⁽¹⁾

ثم ورد في موضع آخر من الكتاب كلام أظنه سيستفيد منه أصحابنا من أهل الجمود والتزمت وفي ذلك يقول :

« ودخول العمل العلمي في باب العبادة وارتباطه بالجهاد الذي هو أفضل القربات ، وفرّ للعمل العلمي في منهجنا شروط قبول الأعمال الصالحة ، ولها شرطان

الأول : أن تقع على الوجه الشرعي

الثاني : أن تكون خالصة لله

والذي يقابل الوقوع على الوجه الشرعي في العمل العلمي هو بذل المجهود الذي تراعى فيه الدقة وتكرار المراجعة والنظر إلى الجهات التي تدخل منها الآفة وتفاديها . والنظر إلى الجهات التي يدخل منها الحسن والنفع والإكثار منها ، يعني بذل أقصى الطاقة وأقصى الكدّ وأقصى المراجعة ، حتى لا يبقى في النفس بقية تضيف نفعاً إلى هذا العمل إلا بذلته ، ثم الإخلاص الكامل الذي لا تشوبه شائبة عجبٍ أو شائبة طلب ذكر في الناس ، وإنما نفع أهل العلم وفتح أبواب العلم لأبناء هذه الأمة تحبباً إلى رسولها « ﷺ » لأن من أحبها فحبّه أحبها ومن أذاها فقد آذاه ﷺ .⁽²⁾

هذا كلام الدكتور أبو موسى شيخ البلاغيين في هذا العصر الحديث ، ولعلّ علماء الحديث سيسخرون مني حين أنقل إليهم حديث الدكتور أبي موسى ووجهة نظره إلى العلم وحين أذكرهم به أو ألفتهم إليه ، لأن أبا موسى في نظرهم ليس من علماء العقيدة ولا من علماء الحديث ، وهم

(1) المسكوت عنه في التراث البلاغي . ص 129 ، ط 1 ، مكتبة وهبة .

(2) المسكوت عنه في التراث البلاغي : ص 127 ، ط 1 .



ينسون كما ترى أن الإمام عبد القاهر الجرجاني وجار الله الزمخشري كليهما قد أسهم بكثير في علوم البلاغة ، حيث كان هذا قد أسهم بتفسيره وذلك قد أسهم بدلائل إعجازه ، ومع ذلك لا يمنعهم علم البلاغة عن أن يدافع كل منهما عن عقيدته ، لذلك كان الإمام عبد القاهر الجرجاني يدافع عن الأشاعرة واعتقاداتهم في الوقت الذي كان الشيخ جار الله الزمخشري يهاجم الأشاعرة وأتباعهم، وكان كل منهما سواء فيما اتفقا فيه ، ودافع كل منهما بكل قوته فيما اختلفا فيه . أما الذي يقرأ تراثهما في هذا اليوم فإنه يعلم أنهما متبحران في علم العقيدة ! كما تبحر كلاهما في علم البلاغة ، وشيء آخر هو أن هؤلاء العلماء القدامى ومن سار على نهجهم ينظرون إلى العلم كما ينظر إليه الدكتور أبو موسى في هذا اليوم ويعتقدون أن النحو لم تكمل مباحثه بعد ، رغم ما كتبه سيوييه وابن خروف وابن عصفور ، وابن هشام وابن مالك ومن إليهم من أعلام الشرق والغرب والإسلاميين ، ويعتقدون كما يعتقد أبو موسى أن كل علوم اللغة العربية لم تنته عند غايتها ولم تكمل مباحثها ، بل هي في حاجة إلى التجديد واستئناف الدرس ، ولا سيما النحو والصرف وعلوم البلاغة؟ فما رأي الدكتور وأمثاله من المتخصصين إذا قلت لهم إن علم الدين كله وما فيه من ثواب ومتغيرات ، وعلم الحديث بنوع خاص في مصطلحه وأصوله محتاج إلى التجديد واستئناف الدرس؟

هنا يظهر الفرق بيني وبين الدكتور عبد الرحمن كاكوري . ولإظهار هذا الفرق في الفهم والمنهج أكتب ما يأتي من الفصول والموضوعات !





الفصل الأول

المفاهيم الأساسية التي يجب إعادة النظر فيها
عند أهل السنة والجماعة

- الثوابت الدينية والمتغيرات
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة
- الدين وسلوك التدين



(1)

الثواب الدينية والمتغيرات

- دفاع علماء السنة عن الثواب الدينية
- ثواب الدين مثل ثواب الكون يجب تحديدها بالمنطق السليم
- وجوب مراعاة حقائق العلم والدين في الثواب الدينية
- التنقيح والتهذيب لا يعني هدم الثواب في علم الحديث



دفاع علماء السنة عن الثواب الدينية

إن علماء السنة يؤمنون كل الإيمان أنّ الثواب هي هوية الأمة الإسلامية ، وهي الأسس التي قام عليها دين الإسلام منذ أن بعث الله به نبينا محمداً ﷺ ، وكانوا يرون أن الاحتفاظ بأصول هذه الثواب وقواعدها ، والاحتياط في صيانتها من التطور وآثاره السيئة واجب ديني لا سبيل إلى جحوده وإنكاره أو التقصير فيه .

كذلك أصبحت الثواب الدينية مرجعية عظيمة تحرص على الاحتفاظ بالأسس الشرعية والسنن الموروثة التي تعتمد عليها المجتمعات المسلمة في أمور دينها ودنياها ، وكذلك أصبحت هذه الثواب في رأي علماء السنة حصانة منيعة تعصم المجتمع الإسلامي من السقوط والانهيال وتحميه من الاضمحلال والزوال .

على هذا النحو يتحدث علماء السنة عن هذه الثواب الدينية ويتناقلون الأخبار في أهميتها . لكن مما يحسن أن ينبّه إليه أستاذنا الدكتور في رفق ولين ، أنه يسرف في استخدام هذه الثواب الدينية ، ويسرف في سوء الظن بمن لا يوافق هواه على سوء الحكم بأصول الدين وثوابته . ولعلّ مصدر ذلك أنه يقرأ شيئاً عن الثواب الدينية ولا يفهمه ولا يتذوقه ، فهو يخطئ في الحكم ومسرف حين يظن « أن من دعا إلى إلغاء جانب معين من الصحيحين أو دعا إلى إبقاء نصوصهما تلاوة ونسخ مفهومهما حكماً إنما يدعو إلى هدم الإسلام بالجملة بقصد منه أو بغير قصد »⁽¹⁾

هو مسرف في ذلك الحكم كما ترى ، ومصدر هذا الإسراف عندي هو أنّه مشفق كلّ الإشفاق على الإسلام وعلى السنة النبوية أن يصيبهما من

(1) عن صحيح البخاري ، ص ، 25

البحث والمراجعة شر ، أو ينالهما منه ضيم ، فما علينا بعد هذا ، إلا أن نهوّن على الأستاذ ونهدئ من روعه ونجعله يفهم أن ما ندعو إليه من مراجعة بعض الأحاديث لم يستطع أن يغير من أصول الدين وقواعده شيئاً قليلاً أو كثيراً .

ومما يحسن أن ينبّه إليه شيخنا الدكتور في رفق ولين أيضا هو عدم إحاطته بآراء علماء السنة والجماعة حول الثواب الدينية ، لأنه لو كان في الذين سعدوا بالإحاطة العلمية في قضية الثواب ليعلم أن علماء الدين لم يتفقوا حتى الآن على تحديد مفهوم الثواب الدينية ومعاني تعريفاتها تحديداً علمياً دقيقاً . إذ من الحق أن مفهوم الثواب لا يزال يختلف على حسب اختلاف مفاهيم علماء السنة ومشاربهم في العلم والدين .

هناك من عرّف الثواب بأنها هي المحكمات ، وهناك من عرّف الثواب أنها هي القطعيّات ، وهناك من عرّف الثواب أنها هي الكتاب والسنة والإجماع وآثار السلف الصالح ، وهناك من عرّف الثواب بأنها هي الأمور التي تتبدل ولا تتغيّر بحسب المصالح وبحسب الأزمنة والأمكنة ، وهناك من عرّف الثواب أنها هي أمور الدين كلّها . سواء في العقيدة أو الأحكام أو العبادات والمعاملات أو في القيم والسلوك والأخلاق ، هذا كله من الثواب عند بعض العلماء .

كل هذه المفاهيم والتعريفات قد ذُكرت ولا تزال تذكر في الكتب والمجلات ، فكثُر من يتكلم في الثواب ، ومن ينتقد هذه الثواب ، وكثُر من يغلو في حديثه حول الثواب كسيدي الدكتور ، ويتطرّف ، وقليل منهم من يعتدل ويتوسّط في تحديد مفهوم الثواب وتأصيل تعريفها تأصيلاً موضوعياً . من هنا ظهرت أن الميول والأهواء والعصبية المذهبية قد أسهمت بكثير في الاختلافات حول الثواب ، وكانت هذه الاختلافات هي التي أدّت إلى عدم التدقيق وعدم الانضباط في تحديد مفهوم الثواب وتعريفاتها

وليس من شك أنّ هذا الخلاف بين أهل السنة وغيرهم من علماء الدين حول تحديد مفهوم الثواب وتعريفاتها هو الذي أدّى إلى الاختلاف بين أخي الدكتور وبينني ، حيث يرى أنني أهدم الثواب الدينية في كتابي بمعاول النقد ، ورأيتُ نفسي أنني لم أهدم من الثواب شيئاً ، وإنما أدعو إلى مراجعة ما فيها من مواد ضعيفة لا تثبت للنقد في عناصر الثواب وقوائمها ، إذ بوجود تلك المواد الضعيفة في عناصرها يكون هدمها سهلاً على أيدي زنادقة معاصرين وملحدين . هذا هو ما أدعو إليه في كتابي السابق الذي كان اسمه « في صحيح البخاري » . أما الآن فمن الخير أن أضيف إليه شيئاً جديداً ، وهو أنّ البحث في علم الحديث أو غيره لم ينته بعد كما يزعم الدكتور وأنصاره ، وخاصة في الثواب الدينية ، لأن تعريفها لا يزال العلماء يختلفون عليه حتى اليوم ، لأنه لم يكن تعريفاً جامعاً ومانعاً على تعبير علماء المنطق في العصور الغابرة .

ثم كان هذا المصطلح نفسه ، أعني به « الثواب الدينية » هو من مصطلحات دينية مبتدعة ومستحدثة ، في الآونة الأخيرة ، ولم يكن معروفاً في أيام الصحابة ولا في أيام السلف الصالح ، لذلك كان من الواجب على علماء الدين مراجعته من جديد وتأصيله موضوعياً كما أقول ، وتدقيق النظر فيه قبل فوات الأوان . أما طريق البحث والمراجعة في الثواب الدينية فهي التي أود أن أتحدث عنها في الفصل الآتي ، لو سامحني الدكتور وأنصاره على ذلك لأنني في رأيه لم أكن أهلاً لذلك ، ولا أحد من السلف أو الخلف أهلاً لذلك ، لأن الثواب الدينية في نظره ليست من المتغيرات القابلة للاجتهاد في اليوم وغداً .





ثواب الدين مثل ثواب الكون يجب تحديدها بالمنطق السليم

إن علماء الطبيعة قد قاموا في هذه الأيام بالحركة العلمية في تحديد ثوابت الكون الفيزيائية وقطعوا مسافات بعيدة في هذا النشاط العلمي ، وتحذّثوا بكثير عن عجائب هذه الثوابت الكونية ، كيف كانت محكمة ومنضبطة ، وكيف كان أقلّ تغيير في أرقام تلك الثوابت سيؤدي إلى انعدام الحياة ، أو إلى تغييرات هائلة في هيكلية الكون ومسيرته ، هذه الجهودات كلّها قد بذلها علماء الكون في ميدانهم ومجالاتهم العلمية .

أمّا علماء الدين على اختلاف مناهلهم ومشاربهم فقد حان دورهم في أن يقوموا ويجتهدوا في استئناف البحث من جديدٍ حول ثوابت الدين وتحديدها بالمنطق السليم . إذ ليس من شك أن الدين قد شرعه الله لبني الإنسان في بناء العوامل الأساسية التي يحتاج إليها كل إنسان في حياته وبعد مماته . ولا يمكن له ذلك إلا بمعرفة الثوابت التي لو تغيّرت بقليل ستؤدي إلى تغيير جذريّ في حياته ، ويجعل مكث ذلك المرء في هذه الحياة أو الاستمرار فيها أمراً مستحيلاً . لأنّ هذه الثوابت هي هوية المؤمن وحقيقته ، وهذه الثوابت هي هوية الأمة وهوية المجتمع ، وليس من شك أن أيّ مجتمع بلا ثوابت أو مجتمع بلا هوية ومجتمع بلا مرجعية محدّدة إنّه مجتمع مآله إلى الزوال .

ولقد رأينا من قبل كيف كان علماء الدين لا يتفقون على تعريفٍ واحدٍ في الثوابت الدينية ، ورأينا كيف كان كل تعريفٍ يتفق مع فهم كلّ شخصٍ في علمه ودينه أو في ميوله وأهوائه ، ورأينا كذلك كيف كان بعض هذه

التعريفات مبني على القطعيات والظنيات ، وبعضها مبني على المحكمات والمتشابهات ، وآخرون منهم قد أدخلوا بعض الشخصيات الإسلامية البارزة في ضمن الثوابت كما فعل الدكتور عبد الرحمن وجماعته ، وأسبغوا عليهم صفة من الجلال والتقديس الديني ناسين أو متناسين أنّ الحق لا يُعرف بالرجال وإنما يُعرف الحق بخصائصه ومميزاته . وهذا كما ترى هو ما جعل ثوابت أهل السنة تختلف كلّ الاختلاف عن ثوابت الشيعة وأهل التشيع ، وتختلف ثوابتهم عن ثوابت الرافضة أو الخوارج كما تعلمون ، إذ من الحق أن نعترف أن الرجال الذين آمن بهم السنيون في اعتقادهم وأدخلوهم في حصن الثوابت ، كانوا لا يضاھون جناح ذبابة عند الشيعيين الإيرانيين .

على هذا النحو كان علماء الدين يحاولون تأصيل تعريفات الثوابت من دون تحديد موضوعي يكشف الحق من الباطل . أما الآن إذا أراد هؤلاء العلماء السنيون منهم والشيعة أن يحددوا تعريف الثوابت وتأصيلها موضوعياً علمياً ، فعليهم أن ينظروا إلى نقطتين مهمتين :

أولاهما : هي ردّ هذه الثوابت الدينية إلى الأصول والأحكام التي لا تتغير في كلّ زمان ومكان . وبنائها على القرآن والسنة المتواترة .

وثانيتهما : هي انحصار الثوابت الدينية فيما لا اختلاف عليه بين علماء الدين .

وإذا فعلوا ذلك فقد رفعوا عن الأمة حرج الاختلاف وما يترتب عليه من الفساد والاضطرابات الدينية ، إذ من الحق أن في أمور العقيدة ثوابت لا تتغير ، وفي أحكام الشريعة ثوابت لا تتغير ، وفي قواعد السلوك والأخلاق ثوابت لا تتغير ، وما إلى ذلك من الثوابت الدينية التي لا تتغير ، وفي نفس الوقت لا ينكرها أحد من العلماء ، ولا يختلفون عليها في عصر من العصور الإسلامية . ومثل هذه الثوابت هي محكمة ومنضبطة



لا يستطيع أحد أن ينقصها أو يزيد عليها ، وخذ لذلك مثلاً ، قواعد الإسلام وقواعد الإيمان ، وقواعد الإحسان التي ذكرها الرواة في حديث عمر ، فهي قواعد وأصول أحكام لا يستطيع جاحد أن يجحدها ولا منكر أن ينكرها ولا مخالف أن يخالف غيره عليها ، فمثل هذه الأصول هي التي يجب أن تكون عناصر الثوابت وقوائمها .

أمّا ما عداها فهي من الفروع والمتغيرات التي لا يستطيع أن يتهم بعضنا بعضاً فيها بالخروج على الثوابت الدينية ، أو يعتبر ما قال كاتب عنها أو فعل بطعن في الثوابت الدينية . فهذه التهمة الكاذبة هي التي يوجهها إليّ الدكتور عبد الرحمن في كتابه دون تورع ولا اقتصاد وفي ذلك يقول :

« فجميع القضايا المطروحة في كتابك هي في الثوابت الدينية ليست من المتغيرات القابلة للاجتهاد ، والإفتاء في تغيير الثوابت الدينية لست أنت أهلاً له ، ولست أنا أهلاً له ، ولا أحد من السلف أو الخلف أهلاً لذلك »⁽¹⁾

« فلا يسع الألباني وغيره أن يفتي بهدم الثوابت في علم الحديث كما فعل أخونا آدم يحيى الفلاني في كتابه هذا « في صحيح البخاري » غفر الله لنا وله »⁽²⁾

هذا حديث الدكتور ، وأنت ترى في حديثه ما جعلني أناقشه منذ حين على هذه الثوابت الدينية ، وجعلني أنبهه على اختلاف العلماء حول هذه الثوابت كما يختلفون في أمور أخرى لم يستطيعوا بعد أن يحدّدوها حتى الآن ، وآية ذلك أن الدكتور نفسه لم يفهم حقيقة هذه الثوابت ولم يستطع أن يحددها ، لذلك كان ينظر إلى القضايا المطروحة في كتابي أنها من الثوابت الدينية ، مع أنها في الحقيقة ليست من الثوابت في شيء ، وإنما

(1، 2) عن صحيح البخاري 37



هي دعوة إلى مراجعة بعض أحاديث نبوية معينة وردت في الصحيحين أو في الكتب الستة وأمثالها ، أعني بذلك أحاديث لا تبلغ درجة الصحة ولا الحسن ولا الضعيف ، لأنها خالية من حقائق العلم وبعيدة عن حقائق الدين ، فأين هدم الثوابت في هذا الرأي ، وأين الإفتاء في تغيير الثوابت الدينية في هذا الحديث؟ ولعل الدكتور لم يفهمني جيداً في هذا الاقتراح ، لذلك كان يحتاج إلى شيء من التوضيح مرة أخرى . لكن قبل ذلك يجب أن أنقل لكم حديث مولانا الشيخ آدم عبد الله الألوري عن هذه الأصول التي يجب أن تكون ثوابت دينية ، والتي لا ينبغي أن يمسها الاجتهاد في اليوم وغدا وفي ذلك يقول :

«المسائل القطعية وهي الأصول التي لا يدخلها الاجتهاد فعلا وتركاً كالصلاة والصيام ، والمسائل الخلافية هي الفرعية التي يدخلها الاجتهاد ، وهي قسمان : قسم قد سبق المجتهدون بالاجتهاد فيه ، فلا يجوز إعادة الاجتهاد فيه ، وإلا حدث الفوضى في الأحكام ، وعلى ذلك يكون اجتهاد الأئمة الأولين ، وقسم لم يحدث في الزمان الأول ، ولم يجتهد فيه أحد ، مثل مسألة التأمين على الحياة وما يأتي به الزمان الجديد ولم يعرف في الأول»⁽¹⁾

من هنا نعلم أن أصول الأحكام التي كانت قطعية هي التي يجب أن تكون ثوابت دينية ، لا فروع الأحكام ولا ظنية الثبوت ، ولا أحاديث نبوية لا تبلغ درجة الصحة ولا الحسن ولا الضعيف ، لأن مثل هذه الأحاديث كانت خالية من حقائق العلم وبعيدة عن حقائق الدين ، ومراعاة هذه الحقائق العلمية والدينية في الثوابت الدينية أمر لا مندوحة عنه .



(1) توجيه الدعوة والدعاة : آدم عبد الله الألوري ص 19 . ط . مكتبة دار النور نيجيريا



وجوب مراعاة حقائق العلم والدين في الثوابت الدينية

إن الإسلام دين سماوي جمع في مبادئه ومقاصده حقائق العلم وحقائق الدين . لذلك سمّاه الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم دين الحق . وفي ذلك يقول عز من قائل ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف:9) وأنزل الله كتابه على نبيه بالحق وقال عز من قائل ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ﴾ (فاطر:31) وقال في آية أخرى ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (الإسراء:105) ووصف الله أصحاب النبي بقوله في موضع آخر من الكتاب « بأنهم يتبعونه على الحق »

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ءَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ (محمد:2-3).

نفهم من هذه الآيات كلّها أن الحقائق العلمية أو الدينية هي أول ثابت من الثوابت الدينية ، إذ هي عليها تدور الهوية الإسلامية وجوهرها . وكلّ ثابت من ثوابت الدين لم يشتمل على الحقائق اشتمال الثمار على النواة في الشجرة فهو صائر إلى الزوال حتما في نهاية الأمر . وهذا هو ما يجعلنا نؤمن إيماناً جازماً أنّ هويّة الدين هي حقائقه ، وأن هذه الحقائق هي التي يجب أن تكون ثوابته التي تتجدد ولا تتغير ، أقول إنّها تتجدد لأنها تتجلى

وتفصح عن ذاتها من حين إلى حين ، ثم إنها لا تتغير ، لأن هذه الحقائق الثابتة لا تُخَلِّي مكانها لنقيضها ما بقيت ذاتها على قيد الحياة !

وإذا قلنا مثلاً بأن دين الإسلام سيظهر على الدين كله ولو كره المشركون فاعلموا - يا علماء الحديث - أنَّ هذا الظهور يتوقف على ما في الإسلام من حقائق العلم وحقائق الدين لا غير ، حيث لا يستطيع أن يعيش الإسلام بدون وجود هذه الحقائق في تعاليمه وشعائره ، ولا يستطيع أن يظهر على غيره من الأديان إذا تخلى عن تلك الحقائق الثابتة في كيانه ومعتقداته . ولنضرب لذلك مثلاً في إحدى صيغ التشهد الواردة في الصلوات الخمس ، حيث من المعتاد أن نقول بعد تحيات التشهد : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الذي جاء به محمد حق ، وأن الجنة حقّ وأن النار حق ، وأن الميزان حقّ ، وأن الصراط حقّ ، وأن الله يبعث من في القبور . » ⁽¹⁾

إنّ هذا التشهد كما ترى قد استفدنا منه أن الجنة والنار ثابتتان حقيقة لا شك فيهما على رغم أنهما من أمور الغيب ، لكن في نفس الوقت نستفيد منه أيضاً أن الإنسان لا يستطيع إدراك الجنة والنار إلا بالشهادة ، يعني بشهادة علم وعين معا ، فتكون شهادة العين دليل على شهادة العلم إيماناً واحتساباً ، لأن إثبات أمور الغيب بأمور الشهادة ليس بالشيء العسير . حيث يستطيع الإنسان برؤية نعيم الدنيا وعذابها أن يدرك نعيم الآخرة وعذابها . فيؤمن إيماناً جازماً بوجودهما حقيقة ثابتة لا مرأى فيها . ثم هذا الإنسان الذي ينظر إلى خروج النباتات من الأرض كلّ يوم بقدره الله تبارك وتعالى ، فإنه يؤمن عن طريق القياس والمقارنة أن الله قادر على أن يبعث

(1) قد وردت عدّة روايات في ألفاظ التشهد ، والأخذ بأيّ منها جائز وأفضلها عند الشافعي حديث ابن عباس للزيادة التي فيه من لفظ المباركات.

من في القبور ، لأن إخراج النبات من الأرض نوع من البعث ، وإخراج الموتى من القبور نوع آخر من البعث ، وليس فيهما شيء مستحيل ، فالقادر على عملية البعث التي تتكرر كل يوم في النباتات وغيرها ، هو القادر بالقيام على عملية البعث الثانية التي تتمثل في إخراج الموتى من القبور . وهذا كما ترى هو عين حقيقة أخرى ثابتة بالدليل والبرهان الذي لا جدال فيه ولا مرأ .

وقد أوردتُ هذا مثلاً حتّى يؤمن علماء الحديث أنّ كل ما جاء في أمور الدين حقّ لا ريب فيه . وأن ليس في هذه الحقائق ما لا يوافق العلم أو العقل إلا عند من تقاصر فهمه أو طمست بصيرته في إدراك أوجه التوافق بينها ظاهراً وباطناً ، لأجل هذا كلّ لا أستطيع أن أوافقكم فيما ذهبتُم إليه في كتابكم عندما عجزتم عن إثبات كيفية انشقاق القمر فعلاً ، والذي ورد حديثه في صحيح البخاري ومسلم وتقولون في شرح ذلك الحديث

« إنّ أهل السنة والجماعة والذين يسعدون بالانتماء إليهم يبحث عن صحة الحديث متناً وسنداً ، فإن صح الحديث فهو مذهب فقهاؤهم ومحدثوهم وعوامهم فلا يهتمّهم أوافق العقل أم لا ، أوافق العلم أم لا »⁽¹⁾

انظر إلى هؤلاء القوم وإلى ما يشرحون به الحقائق العلميّة ، أليس من الخير أن أوجه إليهم أسئلة بسيطة حول حديثهم هذا ، فيجيبون عليها إن استطاعوا ، كيف يؤمنون بما لا يوافق العلم ولا يوافق العقل ، وهل جاء النبي إليهم بما لا يصحّ علماً ولا عقلاً ؟ وهل كان الحقّ الذي جاء به الرسول يستطيع أن يظهر في ما لا يصحّ علماً ولا عقلاً ؟ وهل هناك فرق

(1) عن صحيح البخاري ص 123

بين الحق والعلم الصحيح أم كان العقل الصحيح يستطيع أن ينكر علم الحقائق فيما يؤخذ ويُترك من أمور الدين .

كلّ هذه التساؤلات هي التي يجب عليّ أن أبعثها إلى أهل السنة والجماعة ، فيجيبون عليها إن استطاعوا ، ثم ينتقلون من بعد ذلك إلى حديث لطم موسى لملك الموت الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم ، فيقومون مثني أو فرادى ويفسّرون كيف وافق متن هذا الحديث بحقائق العلم أو بحقائق الدين ، وأنا أعلم أنّهم لو حاولوا ذلك لما استطاعوا ، لأنّ أمور الحقائق لا تهمّهم في علم الحديث كما يزعمون ، وإنّما تهمّهم صحة الحديث متناً وسنداً . وأنا أسألهم الآن فيما يهمّهم من الأمر ، أين وجه الصحة في متن ذلك الحديث؟ أو تقول بعبارة أدق ، أين وجه الحق في أن القمر قد انفلق فعلاً في بطحاء مكة ، وأين وجه الحق في أن موسى يلطم وجه ملك الموت ففقاً عينه ، وأين وجه الحق في أن الحجارة تسعى بثوب موسى ، وكان موسى يسعى وراءها بعصاه؟ وأنا أسألکم من جديد أين وجه الحق في هذا كلّ؟ وإذا كان أهل السنة والجماعة لم يستطيعوا أن يبيّنوا لنا وجه الحق في مثل هذه الأحاديث النبوية فليعلموا أنها أحاديث موضوعة لا مرفوعة ، وإنّها من الأحاديث التي كان فيها خلل ، وإنّها ليست من الثوابت الدينية التي لا تقبل الإلغاء ولا المراجعة ولا التغيير ، هذا هو ما أدعوکم إليه في كتابي السابق أفأنتم له منكرون ؟

أمّا أنا فقد أتتهز هذه الفرصة لأبين للقارئ أهمية مراعاة الحقائق في المعتقدات الدينية ، وبنوع خاص في الأحاديث النبوية التي أردنا تأسيس عليه الثوابت الدينية ، وليس أدلّ على ذلك ، ولا أنطق به ولا أبلغ في وصف ما أدعوکم إليه من هذين الشاهدين الصحيحين ، أحدهما ورد في صحيح مسلم ، عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان إذا قام من



الليل يصلّي ويقول : « اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »⁽¹⁾

وثانيهما هو الدعاء المأثور الذي أورده ابن تيمية في كتابه « منهاج السنة النبوية »⁽²⁾ وأورده كذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره⁽³⁾ على هذا النحو الآتي :
« اللهم أرني الحقّ حقاً ووفقني لاتباعه ، وأرني الباطل باطلاً ووفقني لاجتنابه ، ولا تجعله متشبها عليّ فأتبع الهوى ».



(1) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل 1\534

(2) منهاج السنة النبوية 19/1 تحقيق دكتور محمد رشاد سلام

(3) تفسير ابن كثير 175/1 .



التنقيح والتهذيب لا يعني هدم الثوابت في علم الحديث

قال هؤلاء الغاشمون من علماء السنة - هدامهم الله إلى الحق والصواب -
إنني أدعو إلى إلغاء الصحيحين والكتب الستة وأمثالها ، حتى يبقى ما في
تلك الكتب لفظاً وقراءة ، وينسخ معنى وفكرة ، وترد كل شيء إلى
المفهوم الأول في القرآن حتى نعيش في سلام ووثام⁽¹⁾ ، هذا ما يقول
هؤلاء الغاشمون عني ، فهل هناك مسلم حقيقي يحب الله ورسوله ،
ويعتقد أنّ هذا الدين حق لا ريب فيه ؟ هل يستطيع أن يقوم من غفوته
يوماً ويدعو إلى إلغاء الصحيحين وجميع الكتب الصحاح الستة من
التراث الإسلامي؟ أليس في هذا الإلغاء جنوناً وأوهاماً ، وأنا أناشدكم بالله
الآن ، أن تنقلوا لي هذه الفكرة الشيعة من كتابي حرفاً بحرف دون
الإشارة إليه بكلامكم المشوّه ومقاتلتم البتراء . التي تقولون فيها ما يأتي :
« دعوت في ص 25 إلى إلغاء الصحيحين ، والكتب الستة وتبقى
نصوصها لفظاً وقراءة وتنسخ حكماً وفكرة .

« عَلَامَ بَنِيَّ حَكَمَكَ الظالم هذا؟ وماذا يخوّلك ويسوّغ لك الدعوة ،
أبكتشاف جديد لم يكتشفه الشيخ الألباني وزملاؤه ، ومشايخ الأزهر
الشريف ، ولا المجامع العلميّة الموثوقة في البلدان العربية كرابطة العالم
الإسلامي ، ومجمع المغرب والجزائر وتونس ومفتو الديار الإسلامية
قاطبة ، وهو ما فات السيوطي والعيني والقسطلاني والأنصاري وابن حجر ،

(1) عن صحيح البخاري ، ص 38 وسوف أعود إلى هذه الفرية في مظانها مرة أخرى إن شاء الله .



وابن الصلاح والقاضي الرامهرمزي ، فات هؤلاء جميعاً أن يلغوا كتب الحديث جميعاً ، ففاتهم أن يردّوا كلّ شيء إلى المفهوم الأول في القرآن الكريم كما زعمت في صفحتك السوداء تلك؟⁽¹⁾

والله !! كبرت كلمة تخرج من أفواهكم يا دجاجة العصر ، إن تقولون إلا كذباً وافتراءً ، أمّا الكلام الذي قلته ولا أزال أقرّه لكم وألتزم به فهو دعوة إلى مراجعة بعض أحاديث معيّنة واردة في الصحيحين حيناً ، وفي الكتب الستة أحياناً ، لما فيها من شبهة وغضاضة ، ومعنى البحث والمراجعة التي أدعو إليها في كتابي هو التنقيح والتهذيب لا غير ، وإذا دعوت إلى هذا التنقيح والتهذيب فهو لا يعني هدم الثوابت في علم الحديث كما يقول هؤلاء المبطلون .

ولقد ضربت لهذا التهذيب مثلاً في كتابي السابق ، وفصلت القول عن المنهج المتكامل الذي يوصلنا إلى ذلك تفصيلاً ، فمن الخير أن أعيد هذا التفصيل مرة أخرى ، لعله يدفع هؤلاء الكسالى من علماء السنة الأكاديميين إلى استئناف البحث من جديد فيما تركه القدماء من التراث النبوي ، فلا يقولون بأن البحث قد انتهى فيما يتعلق بأمر الثوابت في علم الحديث ، أو يتمسكون بمنهج القدامى في نقد الحديث دون حياد عنه قيد شبر ، بدليل أن الأجيال لم تستطع أن تنتج ما أنتجه علماء الحديث في القرون المفضلة وما بعدها كما يزعمون⁽²⁾

ويا بعد ما بين منهج البحث والنقد ، في عصرنا ومنهج البحث والنقد في عصور البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، ولأجل إيضاح هذا المنهج المتكامل الذي لا يوجد عند القدماء ، وتبسيط الضوء عليه ، أنقل لكم حديثه من جديد ، كما ورد في كتابي السابق وفي ذلك نقول :

(1) عن صحيح البخاري ، ص 57

(2) راجع ذلك في كتاب « عن صحيح البخاري » ص 38

« لا ينبغي أن نبحث عن الحديث النبوي الصحيح الآن من حيث المتن والسند فقط ، أو من حيث شخصية الرواة الذين يضاف إليهم ، بل نبحث عنه من حيث الخصائص التي أنشأت النبي ، تلك الخصائص التي لم تكتمل في أحدٍ كما اكتملت في شخصيته ﷺ ، ولم تجتمع في واحدٍ من الناس كما اجتمعت في تكوينه ومزاجه .

كان النبي هو الإنسان الوحيد الذي كانت شخصيته متكاملة ومتعددة الجوانب ، واستطاع أن يتكيف بهذه الشخصية المتكاملة إلى درجة الاعتدال والتوازن ، لا تعارض بين جوانبها ولا انفكاك ، وقد تقول بعبارة أخرى إنّ مقومات هذا النوع من الشخصيات هي الجمع بين الأضداد من الصفات ، ومحاولة التوافق بينها ، ومثل الأضداد من الصفات كمثل فريق من لاعبي كرة القدم يوافق بعضهم بعضاً ، ويشد بعضهم إزر بعضهم ، ويتكاتفون جميعاً من أجل هدفٍ واحدٍ ، ولئن دبّ بينهم هذا التوافق إلى آخر المباراة كان مصيرهم الفوز والنجاح ، أما إذا ظهر بينهم التنافر والانشقاق فإن مصيرهم الهزيمة والانحيار ، فالتوافق إذن ، وحدة واتزان وتكامل بين أضداد الصفات البشرية ، إنه الوحدة في التنوع والائتلاف في الاختلاف والترابط في الفرقة والانقسام ، وهذا هو مثال حيّ في تصوير جمال فطرة النبي وجمال شخصيته .

فلنتخذ حديث النبي موضوعاً للبحث من جديد ، ولنلتمس طريقاً إلى تطبيق هذا المنهج المتكامل على طائفة من أحاديثه ، لأننا إذا أخذنا واحداً من الحديث النبوي ، فقد يصوّر جانباً من جوانب شخصية النبي المتكاملة ، ويكون ملائماً لطبيعة واحدة دون أخرى ، لذلك من الضروري أن نضرب مثلاً بجانبه من سيرته الذاتية الذي ظهر فيه التوافق بين الضدين في ترابط وائتلاف ، ولنتخذ مثلاً قضية الشهوة والعبادة ، كيف يمكن للنبي أن يوافق بينهما دون طغيان في كليهما ولا انحسار .

ورد في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه تعالى قال : « كان النبي يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار ، وهن إحدى عشرة ، وفي رواية : تسع نسوة قيل لأنس : أو كان يطيقه؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين »

وفي رواية أخرى : قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا ، وكان كل يوم يأتي إلا وهو يطوف علينا جميعاً فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها ، فيبقى عندها ».

وفي رواية أخرى : « عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت كيف صلاة النبي بالليل؟ قالت : كان ينام أوله ، ويقوم أخرى ، فيصلّي ، ثم يرجع إلى فرشه ، فإذا أذن المؤذن وثب ، فإن كان به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج »

تأمل هذه الأحاديث الثلاثة فترى أنها تصوّر النبيّ رجل شهوة في جنبٍ ورجل عبادة في جنب آخر ، وكان يقوم بكليهما معا في ليلة واحدة كما ظهر ذلك في الحديث الأخير لعائشة رضي الله عنها ، أما الحديث الأول فهو مطلق ومبهم والثاني فهو مقيد ومفصّل ، حيث كان حديث أنس يصوّر النبيّ رجلاً شهوانياً لا يطيق الصبر على النساء ، أما حديث عائشة فهو الذي يبيّن لنا سبب طواف النبيّ على نسائه في كلّ ليلة وهو طواف زيارة وتفقد أحوال ، أو طواف حبٍّ ومداعبة حيث لا مساس فيه ولا جماع .

وقد نستطيع أن نفهم هذا البيان في حديث أنس لولا أنه قد أدرج في متن الحديث أمراً آخر أفسد علينا المعنى والغرض المقصود وهو « قيل لأنس : أو كان يطيقه؟ قال : كنا نتحدث عنه ، أعطي قوة ثلاثين » هذا الإدراج هو الذي أفسد معنى الحديث وأخرجه من صفة الاعتدال والتوازن الموجودة في شخصية النبيّ حالاً وترحالاً .

وقد يختص الله النبي بقوة الجماع وهذا أمر طبيعي ، أما كثرة الجماع فهي شيء آخر لا يوافق مزاجه المطبوع على الاعتدال والتوازن في كل شيء فمن هنا نفهم أن حديث أنس فيه إدراج ، فقد يكون هذا الإدراج منه أو من غيره ، وفي هذا الإدراج بالذات ظهر الوضع والتكلف .

ثم هناك موضع الإعجاب والتقدير من سيرته حيال هذا الأمر ، وهو أن النبي ﷺ قد اكتفى بزوجة واحدة لمدة ربع قرن من عمره ، وما كثرت الضرائر في بيته إلا بعد الخمسين ، فكيف استطاع أن يتعفف على رغم ما في طبيعته من قوة الجماع على حد ما يقوله علماء السنة ، أو ما فيه من كثرة الجماع على حد ما يقول بسطاء منهم؟

ثم في هذا الأمر شيء آخر وهو أمر التدبير ؛ لأن الرجل الذي لم يتزوج إلا امرأة واحدة طوال خمسين سنة من عمره ، فمن العسير عليه حقاً أن تجتمع الضرائر في بيته في ذلك العمر ، ثم يحسن التصرف بينهن ويحسن تدبير أمورهن إلا هذا النبي الذي خصّه الله بحسن التصرف وحسن التدبير ، فينتقل من حالة إلى أخرى دون قلق واضطراب ، أو يتكيف بحالات متغيرة أو بظروف وأوضاع مختلفة وجد نفسه فيها ، دون أن يظهر ضجراً ولا يظهر كلاً ولا ملالاً .

هذا النوع من التكيف العقلي الكبير هو عين الإعجاز في شخصية النبي ، وسر النجاح الذي أحرزه في حياته ، إذ لا تكاد تخلو لحظة من حياته من عملية تكيف ، وكان يحاول في كل لحظة إحداث نوع من التوافق والتوازن بينه وبين بيئته المادية أو الاجتماعية ، ويتحكم فيها بإيجاد حل وسط بينه وبين ما فيها من عراقيل وعقبات ، ولقد طاف النبي على زوجة واحدة لمدة ربع قرن حين لم تسمح له الظروف بالتعدد ، ثم أخذ يطوف على نسائه حين أدّت الظروف إلى التعدد ، ثم كان يطوف عليهن في حالة



الصحة والعافية ، كما يطفأ به عليهن في مرضه إلى آخر حياته ، فهذه الطوافات كلها تدور حول التكيف بالواقع والتحقق بالعدل والإنصاف ، لا لمجرد شهوة كما يظن أنس وكثير من الناس ، وهذا كما ترى هو ما لا يمكن التحقق به لكثير من الرجال .

ومهما يكن من شيء فأنا مطمئن إلى أن هذا المنهج المتكامل الذي ألفته تأليفاً من خصائص بعيدة الاتصال فيما بينها ، قد يؤدي إلى نتائج لا بأس بها في معرفة الحديث الصحيح ، ولقد عرضت لك مثلاً حياً في هذا الفصل ، بالأحاديث التي قمت بدراستها على ضوء تلك الخصائص القرآنية والنبوية ، تاركاً لك ولغيرك من الباحثين إتمام هذا النحو من الاستقصاء . ⁽¹⁾

هذا هو المنهج العلمي الذي دعوتكم إليه في نقد الأحاديث النبوية وتهذيبها ، فرأيتم أنه منهج عنقاء مغرب ، لا يمكن بناء البحث عليه في اليوم وغداً ، وأخذتم تسألونني في كتابكم بشيء من التهمك والسخرية « أفأنت وأمثالك في هذا القرن تأتون بمنهج علمي تسلكونه لرد الأشياء إلى أصولها؟ فكم قرنا يستغرق هذا؟ وكم شخصاً يشارك في إحداث ذلك العلم؟ وكم من مؤلفات ستضعونها لإقناع العالم بأنكم أتيتم بمالم يستطعه الأوائل؟ استيقظ يا أخي من أحلامك اليقظة » ⁽²⁾

نعم! قد استيقظت من أحلامي يا أخي بعدما قرأت جوابكم على إنكار استخدام المنهج العلمي المتكامل فرأيت أنكم لا تحبون العمل ، لذلك تؤثرن الجهل على العلم ، والراحة على العمل ، والكسل على النشاط ، وتؤثرون القديم على الجديد ، والجمود على التجدد والتطور . وهل كان

(1) منقول من كتاب « في صحيح البخاري ، ص 83-87

(2) عن صحيح البخاري ص 48.

العلماء القدامى يؤثرون الكسل والبطالة على الجدّ والنشاط كما أثرها علماؤنا اليوم؟ كلا ، إن علماءنا القدامى يتصلون بعصورهم اتصالاً متيناً ، يقرأون ويدرسون ويبحثون ، فصاروا جهابذة أعلام يفتخر بهم في هذا اليوم أبناؤهم المتكاسلون في فصول الجامعة وقاعاتها . وهؤلاء الكسالى يقتنعون بما عندهم من الكتب القديمة ومناهج نقد الحديث القديمة ، ويحملونها كل شيء فتثقل بهم ويصيبهم العقم والفساد!

وظاهرة الكسل هذه التي نجدها عند علماء الحديث في هذا اليوم والتي تفسد عليهم السنة النبوية ، تنتقل منهم بطريق العدوى - فيما يظهر - إلى جماعة أهل السنة ، فيصيبهم الكسل أيضاً ، يصيبهم هذا الكسل العقلي فيفسد عليهم ذوقهم الأدبي ، وإذا هم يحبون من مناهج نقد التراث النبوي ما أكل عليه الدهر وشرب ، ويكلفون به ، بل يكتفون به بل يعجزون عن فهم شيء جديد من مناهج النقد الحديثة فيه أثر من آثار الحياة العقلية القوية . مثلهم في ذلك كمثّل الرجل الذي عودّ معدّته لوناً أو ألواناً من الطعام اليسير السهل الذي لا يغذي ولا يجهد ، فإذا اضطر إلى لون آخر من ألوان الطعام فيه شيء دسم أو غداء لم يسعفه فإن أساغه لم يهضمه ، فما أشبه هؤلاء بأهل الكتاب الذين وصفهم الله في هذه الآية الكريمة : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة: 5)

أما نحن - فإن شاء الله - سنقوم بتطبيق هذا المنهج الشامل على صحيح البخاري وغيره على قدر الاستطاعة في أجل قريب ، ونحن لا نريد به إقناعكم على صلاح هذا المنهج في تهذيب التراث النبوي ، وإنما نريد به خدمة الأمة في تراثنا القديم ، ومواصلة بجهود علمائنا القدامى حتى يتحقق المأمول في الواقع إن شاء الله!



ثم بقيت مسألة عظيمة الخطر جداً في هذا التنقيح والتهذيب ، وهي أن لا نسيء إلى القدماء من أئمة الحديث في أعمالنا ، حيث لا نضطر في هذا التهذيب والإصلاح إلى التغيير والتبديل وإلى المسخ والتشويه! ولا يمكن تجنب هذه الإساءة إلا بوضع كتاب مستقل فيه إصلاح ما في صحيح البخاري ، وغيره من عيب ونقص ومن ضعف واضطراب ، فيكون هذا الكتاب جزءاً أو جزئين أو أجزاء ، على نحو ما فعل بعض العلماء القدامى في مختصراتهم وتهذيباتهم . أعلن هذا كله ولا أغير من رأيي فيه شيئاً ، ثم نترك صحيح البخاري وغيره من الكتب كما هي ، وتبقى كتبهم كما وضعها مؤلفوها دون أن ينالها تغيير أو تبديل ، لأن كتاب المؤلف جزء من نفسه ، وما كان لنا مهما نريد من الخير للناس أن نعبث بنفوس الناس بعد مماتهم .

ثم مسألة أخرى تحتاج إلى النظرة ، هي مسألة الإلغاء أو النسخ من الكتاب! وأنا أعلم حق العلم أن من المتقدمين من كان يعذر عن رواية الحديث من الفاحش ، سواء أكان فحشه مؤذيا للمعتقدات الدينية أو الأخلاق والآداب ، أعرف أن أئمة الحديث قد أعرضوا عن رواية شيء من أبي نواس لأجل ما فيه من فحش وفسق ومجون ، وأعرف أنهم لم يأخذوا شيئاً من سبويه احتراماً للتخصص في علم الحديث ، لكن مما ليس فيه شك أن الخصومة السياسية التي تجري منذ أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما إلى يومنا هذا ، قد أحدثت أشياء كثيرة في رواية الحديث متنا وسنداً . وليس من شك أن هذه الخصومة قد وضعت لأجلها أحاديث تتصل بفضائل أهل السنة من أصحاب النبي وأهل التشيع . مما أحدثت في هذا اليوم خلافا لا ينقضي بين المسلمين ، وإذا دعونا إلى نسخ هذه الأحاديث معنى وفكرة ، وبقاؤها في كتب الحديث لفظاً وقراءة ، فمثل

هذه الدعوة ، لا إلحاد فيها ولا زندقة ، كما تقولون ، إذ هذا النوع من النسخ موجود في القرآن بكثير⁽¹⁾. وحكمة نسخ معنى هذه الأحاديث دون لفظها لا تخفى على العاقل ، وهي تخفيف الحدة والعنف والتوتر بين أهل التسنن وأهل التشيع .

أما الدكتور وجماعته فهم لا يرون ذلك ، وإنما يرون فيها هدم الثوابت الدينية ، وهم يعيشون في بطون الأوراق ولا ينظرون إلى المجتمع ، فما فائدة الأحاديث الصحيحة إذا لم تكن الوحدة بين المسلمين ، أنا أنظر إلى الحروب الواقعة بين المسلمين في الشرق العربي اليوم ، وهؤلاء ينظرون إلى الصحيحين في فصول جامعاتهم ، أين وجه الاتفاق في هذا النظر؟ هذه الحروب المتتابة في اليمن والبحرين والعراق وسوريا ، أليست هي تهدم الثوابت وتهدم أعمال الصحيحين في العالم العربي الإسلامي؟ أجل! إن جوابكم على هذا السؤال يعود إليكم سلباً أو إيجاباً .



(1) يقول الشيخ محمد العثيمين في كتابه «الأصول من الأصول»
ينقسم النسخ باعتبار النص المنسوخ إلى ثلاثة أقسام
الأول : ما نسخ حكمه وبقي لفظه وهذا هو الكثير في القرآن .
الثاني : ما نسخ لفظه وبقي حكمه .
الثالث : ما نسخ حكمه ولفظه .
راجع ذلك ص 75-77 ، ط . دار نوبار للطباعة ، 1993م.



(2)

اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم

- موقف أهل السنة من الصحابة في البحث العلمي الصحيح
- ابن تيمية وتعصبه المذهبي ضد آل البيت
- آراء علماء السنة في موقف ابن تيمية من آل البيت
- سوء الفهم في معنى الولاء والبراء
- في حديث أصحاب النبي وإخوانه دروس وعبر



موقف أهل السنة من الصحابة في البحث العلمي الصحيح

إن اعتقاد أهل السنة في الصحابة ليس محل نزاع بيني وبين سيدي عبد الرحمن وأنصاره ، أمّا الذي رأيته موضع خلاف بيني وبينهم فهو أسس البحث وقواعدها في درس سيرة أصحاب النبي وتحليل شخصياتهم وأخلاقهم ، لأن مثل هذا البحث كما ترى يركّز على الناحية العقائدية في جنب ، وعلى النظر في أحوال الصحابة وأقوالهم في جنب آخر ، وهذا كما ترى هو ما جعل هذا النوع من البحث خطيراً في منتهى الخطورة ، إذ لا يمكن للباحث المسلم أن يتجرّد عن عقيدته بأيّ حال من الأحوال ، إلا أن يكون كافراً بها ، ولا يمكن كذلك أن ينظر إلى الصحابة من حيث هم ناس ووصفهم بما يمكن أن يوصف به الناس ، وتحليل أخلاقهم وعاداتهم كما تحلل أخلاق الناس وعاداتهم ، أقول لا يمكن أن يقوم الباحث بهذا كلّه إلا إذا أراد أن يتجرّد عن عقيدته تجرّداً علمياً ، فيصبح مسلماً في دينه واعتقاده ، ويمسى كافراً في بحثه وموضوعياته ، لأنه سيجرّد أصحاب النبي من المكانة التي وضعهم الله فيها ، وسيلغي عدالتهم ويخوض فيما شجر بينهم ، ويطعن في سلوكهم وأخلاقهم وما إلى ذلك مما حرّمه الله شرعاً وعقلاً . وهذا كما ترى هو ما جعل أهل السنة والجماعة يكتبون شيئاً كثيراً عن الصحابة ، ويضربون لهذه المباحث الكثيرة حدّاً ومطلعا ، ويضعون فيها أحكاماً لمن يتجاوز ذلك الحد . ويبنّوا في أحكامهم عقوبة من سبّ صحابياً أو طعن في عدالته ، وحُكم من سبّ ما تواترت النصوص بفضلته وما دون ذلك ، وحُكم من سبّهم جملة أو سبّ بعضهم في قولٍ

وعمل ، وحكم من سبَّ أم المؤمنين بما برأها الله منه ، ومن ثمَّ أحكام بقية أمهات المؤمنين ⁽¹⁾

وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي سعيد قال : كان بين خالد ابن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله (ﷺ) لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه ⁽²⁾

قال ابن تيمية في كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » وهو يعلّق على هذا الحديث :

« فإن قيل : فلم نهى خالداً عن أن يسبَّ أصحابه إذ كان من أصحابه أيضاً؟ قلنا : لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه ، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل ، فنهى أن يسبَّ أولئك الذين صحبوه قبله ، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد » ⁽³⁾

وهناك أحاديث أخرى ذكرت فضائلهم على التفصيل ، وكان الإمام أحمد رحمة الله عليه قد جمع في كتابه « فضائل الصحابة » قريباً من ألفي

(1) راجع ذلك بالتفصيل كتاب « اعتقاد أهل السنة في الصحابة » ، دكتور محمد عبد الله الوهيبي ، ط . المنتدى الإسلامي بلندن .

(2) راجع كتاب فضائل النبي باب قول لو كنت متّخذاً خليلاً حديث 3673 ومسلم باب تحريم سب الصحابة .

(3) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص 576

حديثٍ وأثر منها ما هو مرفوع ومنها ما دون ذلك ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عناية أهل السنة بأصحاب النبي ، وعدم الخوض فيما وقع بينهم من الفتن والحروب ، والتماس المعاذير لهم فيما اختلفوا فيه من رأي أو اجتهاد .

كذلك كانت الحال قديماً في اعتقاد أهل السنة في الصحابة ، وكذلك كانت الحال في هذا العصر الذي نعيش فيه ، حيث لا نرى من أهل السنة من ينظر إلى هؤلاء الصحابة نظراً علمياً مجرداً بريئاً ، وإنما كانوا ينظرون إليهم نظراً دينياً ملؤه الإعجاب والإكبار .

أما الباحثون من علماء السنة والجماعة فقد يوجد منهم من لا يكاد يعرض لتطبيق هذه المبادئ الضرورية على أمور الصحابة ، حتى يتورط في مثل ما تورط فيه المؤرخون القدامى من قبل في كتب التاريخ ، لأنه كان متأثراً بالخصومة السياسية والفتن القائمة بين أصحاب النبي في أيام الإسلام الأولى ، فينسى مثل هذا الباحث ما اتفق عليه علماء الأمة في عدالة الصحابة والنهي عن سبهم والطعن فيهم والإمساك عما شجر بينهم ، فيميل هو ميلاً عظيماً عن تمجيد الصحابة وتنزيههم عما لا يليق بمقامهم إلى إثارة الحقد والضغينة ضد طائفة من أصحاب رسول ﷺ .

ولعلّ أروع مثال فيما نقول من هذا الأمر هو مولانا شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، وهو ممن يحذر من أخطار كثيرة تحيط بتاريخ الصحابة ، ويتحذر بنوع خاص من تحكيم العقل والتسرع فيما يروى من حوادثهم ، وهو يصل من هذا كله إلى استكشاف قواعد علمية قيمة في التمييز بين الغث والسمين من الروايات حول الفتنة التي وقعت بين الصحابة ، ثم يبيّن أحكامه بالاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم ، ولكنه لا يكاد يعرض لتطبيق هذه القوانين العلمية القيمة كما يقولون ،



حتى يتورط في مثل ما تورط فيه المؤرخون القدماء من قبل ، لأنّه متأثر بالخصوصية السياسية الواقعة بين أهل السنة والشيعة ، ذلك في كتابه « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية » وهو كتاب ضخّم من تأليفات ابن تيمية ، ويعدّ سلسلة هذه الكتب الضخمة من أشهر مؤلفاته على الإطلاق . وقد ردّ ابن تيمية بهذا الكتاب على الشيعة والقدرية ، وإن كان في الأصل كتاب يردّ به على الفقيه الشيعي ابن المطهر صاحب كتاب « منهاج الكرامة في معرفة الإمامة » .





ابن تيمية وتعصبه المذهبي ضد آل البيت !

إن جمال الدين ابن المطهر الحلي هو الذي ألف كتاب «منهاج الكرامة» وعرض فيه أقوال المذاهب الإسلامية حول الإمامة ، وذكر فيه معتقدات الفرقة الإمامية وضرورة العصمة للإمام وعدم اعتقاد أهل السنة في ذلك كله . ثم ذهب إلى إثبات ما هو أعمق من ذلك فهو إيراد أدلة عقلية ونقلية على إقرار إمامة عليّ بين الخلفاء الراشدين . ثم استدل في الفصل الأخير من الكتاب على عدم صحة إمامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وأن ما ورد فيه من الفضائل كآية الغار لم تجعله رجلاً كاملاً يستحق الإمامة أو يُقتدى به . وكان ابن المطهر في هذا كله لم يعتمد إلى بحث تاريخي دقيق ، ولم يذهب مذهب المؤرخين في تحقيق الأخبار والروايات وإنما ينظر إلى الإمام عليّ رضي الله عنه بمنظار العصمة والتقديس ، فهو يعجب به ويكبره ويريد أن يضعه هو وغيره من آل البيت موضع الإمامة والقدوة الصالحة والمثل الأعلى . عرض ابن المطهر هذا كله في منهاج الكرامة ، ولم يفكر في أن من حق مؤلف آخر أن ينكر عليه ويجعله يفهم أن القصد والإنصاف هو أن يعرض جميع أخبار الإمام عليّ المختلفة بالنقد والتمحيص ، فيتبين بقدر ما يستطيع ما كان صادقاً وما كان منحولاً . هذا التمييز بين الحق والباطل هو ما أراد أن يقوم به شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة» لكنه في نهاية الأمر قد تورط في ضروب من الخطأ في الحكم ، حيث كانت الغاية التي يسمو إليها في منهاجه ليست علمية بالمعنى الصحيح ، لأنه يسمو إلى الطعن في الإمام عليّ وفي انتقاص قدره ، لا إلى التحقيق الذي لا يسمو إلى مدح ولا إلى ذم والذي لا يحفل بحمدٍ أو هجاء .

انظر كتاب ابن تيمية ، وإلى الجزء الأول من هذا الكتاب الضخم «منهاج السنة النبوية» انظر بنوع خاص إلى منهجه التاريخي وإلى هذا النقد الذي بسطه لبيّن للناس رأيه في خلافة الإمام علي رضي الله عنه وفي ذلك يقول :

«وأما عليّ رضي الله عنه» فإنه بويح عقيب قتل عثمان ، والقلوب مضطربة مختلفة ، وأكابر الصحابة متفرقون وأحضر طلحة إحضاراً حتى قال من قال : إنهم جاؤوا به مكرها ، وإنه قال : بايعتُ والليح أي السيف على ققيّ .

وكان لأهل الفتنة بالمدينة شوكة لما قتلوا عثمان وماج الناس لقتله موجاً عظيماً ، وكثير من الصحابة لم يبايع علياً ، كعبد الله بن عمر وأمثاله ، وكان الناس معه ثلاثة أصناف : صنفٌ قاتلوا معه ، فكيف يجوز أن يقال في عليّ بمبايعة الخلق له ، ولا يقال مثل ذلك في مبايعة الثلاثة ولم يختلف عليهم أحد ، بل بايعهم الناس كلهم ولا سيما عثمان⁽¹⁾

« فلا ريب أن أهل السنة وإن كانوا يقولون إن النص على أن علياً من الخلفاء الراشدين لقوله « خلافة النبوة ثلاثون سنة » فهم يروون النصوص الكثيرة في صحة خلافة غيره »

وهذا أمر معلوم عند أهل العلم بالحديث يروون في صحة خلافة الثلاثة نصوصاً كثيرة بخلاف خلافة عليّ فإن نصوصها قليلة ، فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهم فحصل بهم مقصود الإمامة ، وقوتل بهم الكفار ، وفتحت بهم الأمصار وخلافة عليّ لم يقاتل فيها كفار ، ولا فتح مصر ، وإنما كان السيف بين أهل القبلة⁽²⁾ .

(1) منهاج السنة النبوية ، 535/1 ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم . ط.1 ، 1406هـ ، 1986م

(2) « منهاج السنة النبوية » 545/1 ، 546

على هذا النحو من التعصب المذهبي السني كان ابن تيمية يسير في أمر الإمام عليّ ، وفي أمر خلافته ، وكان يطعن في مناقبه ويسلب منه كلّ ما نسب إليه من فضائل ، أو يشاركه أحيانا غيره في خصائصه حتى لا يستطيع الإمام عليّ أن ينفرد بتلك الخصائص دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . ثم لا يكتفي بنقد الإمام عليّ ولا بانتقاص قدره ، وإنما انتقل بعد ذلك إلى زوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأخذ يجرّدها عن كلّ خصيصة وفضيلة ، ويعاتبها مباشرة أو غير مباشرة على قليل من الأمور أو كثير فاستمع إليه في هذا الحديث :

« ونحن نعلم أن ما يحكى عن فاطمة وغيرها من الصحابة من القوادح كثير منها كذب وبعضها كانوا فيه متأولين ، وإذا كان بعضها ذنباً فليس القوم معصومين ، بل هم مع كونهم أولياء الله ومن أهل الجنة لهم ذنوب يغفرها الله لهم ، وكذلك ما ذكره من حلفها أنها لا تكلمه ولا صاحبه

» تلقى أباهما وتشتكي إليه ، أمر لا يليق أن يذكر عن فاطمة رضي الله عنها ، فإن الشكوى إنما تكون إلى الله تعالى كما قال العبد الصالح ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (يوسف: 86) (1)

« وكذلك ما ذكره من إيصائها أن تدفن ليلاً ولا يصلي عليها أحد منهم ، لا يحكيه عن فاطمة ويحتج به إلا رجل جاهل يطرق على فاطمة ما لا يليق بها ، وهذا لو صح لكان بالذنب المغفور أولى منه بالسعي المشكور ، فإن صلاة المسلم على غيره زيادة خير تصل إليه ولا يضر أفضل الخلق أن يصلي عليه شر الخلق » (2)

(1) « منهاج السنة النبوية » ، 4/246 .

(2) المرجع السابق ، 4/247 ، 248

«..... وأما قوله «وروا جميعاً أن النبي ﷺ قال : يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك فهذا كذب منه ما روى هذا عن النبي ﷺ» ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة ولا له إسناد معروف عن النبي ﷺ» لا صحيح ولا حسن ، ونحن إذا شهدنا لفاطمة بالجنة وبأن الله يرضى عنها فنحن لأبي بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف بذلك نشهد ونشهد بأن الله تعالى أخبر برضاهم عنه في غير موضع كقوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة:100) وقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح:18) وقد ثبت أن النبي ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ ، ومن رضي الله عنه ورسوله لا يضره غضب أحد من الخلق كائناً من كان»⁽¹⁾

على هذا النحو كان ابن تيمية يجعل سيدتنا فاطمة خصماً في هذا الأمر وينصب نفسه حكماً ، وهو بلا شك قد نسي خصمه الحقيقي الذي هو ابن المطهر وغيره من الشيعة . وجعل يتعدى على حقوق عليّ وزوجه وينكر حديث الكساء الذي ظهر فيه فضل بنيه ، ويطلق عنانه في نقد زوجات النبي دون قيدٍ ولا حساب⁽²⁾.

فما رأي الدكتور وأنصاره في مثل هذا التصرف الجاهلي من العالم السني الذي لا يؤمن بأن الطعن في آل البيت حرام ، ولا يؤمن بأن تاريخ

(1) «منهاج السنة النبوية» ، 4/249 .

(2) راجع حديثه عن مسألة التفضيل بين السيدة خديجة وعائشة في الإيمان. 4/303 .



الصحابة وخاصة تاريخ آل البيت من الثوابت الدينية التي تقرونها في كتابكم بلا قيد ولا حساب؟ وهل كان ابن تيمية من علماء الشيعة أو من المستشرقين ، لذلك كان يأخذ آراءه منهم بنيات خبيثة في هدم الإسلام ، ويخوض فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي علمنا إياها ربنا عز وجل ورسوله ﷺ ، أم أن آل البيت لم يكونوا من أصحاب النبي الذين وجب الإمساك عن ذكر هفواتهم وتتبع ذلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم ، فلماذا لم يؤمر ابن تيمية بالتوبة والاستغفار في عصره عندما وصلت به هذه الهجمات إلى حد التطرف والزندقة ؟ وهل فعل أبو رية والشيخ الغزالي والشيخ محمد عبده وما إلى هؤلاء الذين تسمونهم عقلانيين ، وهل فعل هؤلاء بأبي هريرة مثل ما فعل ابن تيمية بالإمام عليّ وزوجه وبنيه وبزوجات النبي وآل بيته في كتابه المنهاج؟

فلماذا لا تتهمونه بالنفاق في كتابكم كما تتهموني في هذا اليوم وتتهمون أولئك الأعلام الإسلاميين في عقيدتهم وإيمانهم؟ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء: 112) ومهما يكن من شيء فأنا أتوب إلى الله وأستغفره فيما اضطرني إليه هذا الزمان ، واضطرني إليه هؤلاء الغلاة من أهل السنة! ولولا ما رأيناه كل يوم من تحديات معاصرة وما يقوم به هؤلاء الغلاة في المجتمع الإسلامي ، أقول لولا هذه الأشياء الغريبة التي تقع في مرأى أعيننا كل يوم ما نخوض في الكلام عن الصحابة ، ولا ندعو إلى النقد والتمحيص في رواياتهم ، أمّا هؤلاء الغلاة من المتسلفين النيجيريين فقد تحاملوا عليّ في كتاباتهم وحرّفوا كثيراً من آرائي تعمداً وتشويهاً ، واختلطوا بين النقد والشتم ، مع أنّ النقد والتمحيص شيء ، والطعن والشتم شيء آخر ،



ولا اختلاط بينهما إلا عند أكابر مجرميهم الذين تأثروا بسلوك اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه ، وإذا كان هذا شأنهم فليس من الممكن أن نمرّ به مرأً سريعاً دون أن نقف وقفة قصيرة في هذا الاختلاط والتشويه ، لكن قبل ذلك يجب أن نعرض شيئاً من آراء السلف حول موقف ابن تيمية من آل البيت ، وفي هذا العرض تظهر حقيقة أخرى لا نستطيع أن نستغني عنها في هذا الحديث !





آراء بعض علماء السنة في موقف ابن تيمية من آل البيت

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه «لسان الميزان» في ترجمة ابن المطهر الحلبي تعليقا على ابن تيمية في ردّه على ابن المطهر :
«لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في ردّ الأحاديث التي يوردها ابن المطهر ، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات ، لكنه ردّ في ردّه كثيرا من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها ؛ لأنه كان لاتساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره ، والإنسان عامدٌ للنسيان ، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته إلى تنقيص عليّ رضي الله عنه ، وهذه الترجمة لا تحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثله»⁽¹⁾

قال الحافظ وليّ الدين العراقي في جوابه عن سؤال الحافظ ابن فهد المسمى بالأجوبة المرضية عن الأسئلة المكيّة :
«وأما الشيخ تقيّ الدين ابن تيمية - لكنه كما قيل فيه علمه أكثر من عقله - فأداه اجتهاده إلى خرق الإجماع في مسائل كثيرة ، قيل إنها تبلغ ستين مسألة ، فأخذته الألسنة بسبب ذلك ، وتطرق إليه اللوم وامتنحن لهذا السبب ، وأسرع علماء عصره في الردّ عليه وتخطيئته وتبديعه ومات مسجوناً بسبب ذلك»⁽²⁾

(1) لسان الميزان. 319/6 . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية .

(2) الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكيّة : الحافظ وليّ الدين العراقي ، ص 40 ، مكتبة التوعية الإسلامية مصر .



قال الحافظ الذهبي في كتابه «زغل العلم»

«فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له ابن تيمية مع الزهد في المأكل والملبس والنساء ومع القيام في الحق والجهد بكلّ ممكن ، وقد تعبت في وزنه وفتشه حتى مللت في سنين متطاولة ، فما وجدتُ قد أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكفر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار ، فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة الظهور نسأل الله تعالى المسامحة»⁽¹⁾

وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة من قول الذهبي :

«بالحق لا يأخذه في الله لومة لائم قال ومن خالطه وعرفه فقد ينسبني إلى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه ، وقد أوديت من الفريقين من أصحابه وأضداده وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية ، فإنه كان سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمت الدين بشرا من البشر تعثره حدة في البحث وغضب وشظف للخصم تزرع له عداوة في النفوس .»⁽²⁾

هذه هي النصوص الواردة عن ابن تيمية وخاصة ما قال عنه تلميذه الذهبي المؤرخ وقد يسألني سائل الآن : ما مقصودك في إيراد هذه النصوص؟

فأقول له مجيباً : إن القارئ لا يستطيع أن يفهم ما جعل ابن تيمية يتصرف تصرفاً جاهلياً في حق أهل البيت ، وجعله مغالياً في الدفاع عن المذهب السني ضدّ الشيعي إلا بالنظر إلى تلك النصوص التي قالها بعض

(1) زغل العلم . شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ص 118 . ط المكتبة الوقفية .

(2) الدرر الكامنة . الحافظ ابن حجر العسقلاني ، 176/1 .



علماء السنة عن شخصيته ، وبنوع خاص ما يقول عنه تلميذه الذهبي المؤرخ الأمين ، حيث كان يجعل القارئ يفهم أن أستاذه ابن تيمية إنسان تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم ، تزرع له عداوة في قلوب الناس ، وإذا كان الأمر كما يقول الذهبي ، وجئت أنا وبنيت الحكم على هذه الحقيقة التاريخية ، وقلت مثلاً إن ابن تيمية رجل متشدد في دينه ومتعصب في سنته إلى حد التطرف ، لذلك كان يهاجم الإمام عليّ مهاجمة لا هuada فيها ، ولذلك كان ينقص قدره عندما وصل به الحديث إلى الدفاع عن مذهب أهل السنة ضد شيعة الإمام عليّ وتاريخ خلافته ، وإذا قلت هذا كله فهل أنا موفق في هذا الرأي ومصيب أم أنا مخطئ ومتعصب للإمام عليّ؟

هذا السؤال كما ترى هو الذي يمهد لنا الطريق إلى توضيح الفرق بين النقد والشتم أو بين الطعن والتحقيق . إذ من السهل جداً أن نفهم أن النقد والتمحيص مبنيّ على الحقائق العلمية الثابتة ، لا يتدخل فيها الغرض والهوى ، ولا يتأثر بالميول والعواطف . أما الطعن والشتم فقد يخرج الغضب باحثاً شاتماً عن طوره - كما فعل بابن تيمية - فيختلط بين الحق والباطل في حديثه ، ويتأثر بالميول والعواطف في الدفاع عن رأيه ، وفي بلوغ غايته التي هي التغلب على الخصم بكل وسيلة ، من هنا نفهم أن الكلام الذي ضربنا به مثلاً في ابن تيمية حق لا ريب فيه وصدق لا يقصد به طعن ، ونقد لا يحفل بحمد ولا هجاء ، لأن هذا الكلام مبنيّ على الحقائق التاريخية الثابتة التي لا يتطرق إليها الشك ولا الريب .

هذا كما ترى هو ما لا يفهمه الدكتور عبد الرحمن وأنصاره ، فأخذوا يذهبون برأينا في ابن عمر وأبي هريرة كل مذهب ، مع أن هذا الرأي مبنيّ على الحقائق العلمية الثابتة المنتجة من النصوص الواردة في



الصحيحين والكتب الستة ، ولستُ الذي أقول إن ابن عمر متشدد ، فإن النصوص الواردة في حقه أو في رواياته هي التي صورته متشدداً ، ولستُ الذي أقول إن أبا هريرة صحابي متساهل ، فإن الروايات والأخبار التي وردت في حقه هي التي جعلته متساهلاً في نقل الروايات والأخبار ، ثم لستُ شيعياً كما تعلمون حتى أبغض أبا هريرة وأبغض أبا بكر وعمر وعثمان وأشتهم كما يشتمهم غلاة الشيعة والخوارج وبسطاؤهم ، ثم لستُ سنياً متطرفاً كابن تيمية حتى أهاجم آل البيت وأتعصب لسنيّتي ضدهم ، ولستُ رجلاً مستشرقاً حتى أودّ هدم الإسلام وتاريخ الصحابة ، أنا كاتب متواضع يحب الحق والصدق ، ويوالي اهتمامه للحق والصدق ، ويبحث عن الحق والصدق في النصوص والأخبار حتى يمكن لي بناء الحكم على الحقائق العلميّة الثابتة في تاريخ الصحابة وغيرهم .

ومن الحق الذي لا يستطيع أحد أن ينكره هو أن العبرة بكمال الإنسانية في الصحابة لا تخلو من استيلاء نقص البشرية ، وأن العيوب والآفات التي تدلّ على بشريتهم لا تنافي عدالتهم عند العاقل ، ولا تنقص من درجاتهم عند الله في الإيمان والتقوى ، ثم لا تطعن في مكانتهم في قلوب أجيال الأمة ذات ثقافة علمية راقية ، إذ أن ما قام به هؤلاء من حسن الصحبة وصلاح النية ونقاوة الضمير ، ثم ما قاموا به من جلائل الأعمال ومحاسن الأحوال لا تزال آثارها ظاهرة في حياتهم وبقايتهم بعد مماتهم .

هذا هو ما أؤمن به حقاً في داخل قلبي ، أما إذا رأيتموني على غير هذه الصورة فقد تكون رؤيتكم هي صورة ما تعتقدون في نفوسكم ، لأن المؤمن - كما ورد في الأثر - مرآة أخيه المؤمن ، أما أنا فشهد الله أنني براء مما تقولون ، وهو المستعان على ما تصفون .



وبعد ، فإنّ خلاصة القول هي أن مولانا شيخ الإسلام ابن تيمية قد تورّط فيما تورّط فيه من الطعن في آل البيت ، لأنه مصاب بالتعصب المذهبي - كما أقول أنا - ومصاب بالغضب والحدة والشظف في حقّ الخصم كما يقول الذهبي ، فنسي أن يمنح دفاعه للحق من حيث هو حقّ لا ريب فيه ، فتورّط في ضروب من الخطأ في النقد والردود ، وهذا الخطأ قد نشأ في نظري من مبدأ جوهريّ جدّاً وأساسي بأدق معنى الكلمة ، وهذا المبدأ الجوهرى الأساسى هو الولاء والبراء ، وكم من غلاة أهل السنة والجماعة من يتورط في الخطأ لأجل اعتقاده مفهوم خاطئ في الولاء والبراء ، والنظر إليهما بطريق غير صحيح على حسب ما سنفصله في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى !





سوء الفهم في معنى الولاء والبراء

وإذا أردنا تحديد مفهوم الولاء والبراء في حقيقته ، فإن المقصود بهما هو الحب في الله والبغض في الله ، وموالاته أهل الله ورسوله من المؤمنين ومعاداة أعداء الله ورسوله من الكافرين والمنافقين⁽¹⁾.

وهذا هو ما يراد بولاء المؤمن لدين الله ولرسوله ، وولاء المؤمنين بعضهم لبعض في اليسر والعسر كما أمرهم الله في كتابه الكريم ، يقول الله عز من قائل :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: 71)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (النساء: 144)

﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أَيْتَغُوثٌ عَبْدُهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: 139)

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

(المائدة: 51)

(1) راجع كتاب « الولاء والبراء في الإسلام » محمد بن سعيد القحطاني ص 85-92 دار الطيبة مكة المكرمة.

على هذا الوجه الصحيح كان الولاء والبراء في أيام النبي إلى أن وقع الخصام بين المسلمين أنفسهم في أيام عثمان وعلي رضي الله عنهما ، وفي الحق أن سيدنا علياً رضي الله تعالى عنه لم يكذب ينهي أجله حتى بدأ معنى الولاء والبراء ينقلب إلى شيء آخر بين شيعة وبين معاوية ابن سفيان ، ولم يكذب يظهر سيدنا الحسين بين شيعة أبيه حتى استحال ذلك الولاء والبراء من حب في الله وبغض في الله إلى حب الإمام علي من طرف الشيعة ، وبغض الإمام علي وآل البيت من طرف غلاة أهل السنة ، ثم استحال هذا الحب المفرط أو البغض المفرط إلى تعصب وحماسة بين شيعة الإمام علي ومناوئيه ، فأدى هذا التعصب المقيت في نهاية الأمر إلى اصطدام مسلح أدرك الحسين أوله وانتهى به خلفاء بني أمية إلى أقصى حدوده .

كذلك كان الولاء والبراء قد خرج منذ ذلك اليوم من معناه الحقيقي الذي أسس على البر والتقوى ، وأسس على الدفاع عن الدين بالحق والصدق ، أقول قد خرج الولاء والبراء من هذا المعنى الحقيقي كله إلى معنى آخر لم يعرفه الإسلام في أول أمره ، وهو التحزب السياسي بين المسلمين أنفسهم والتعصب المذهبي .

وليس من شك أن معنى الولاء والبراء الذي تحول إلى معنى التحزب والتعصب عند الفرق الإسلامية المتخاصمة ، هو الذي أدى إلى الهجوم الذي قام به شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ضد الإمام علي وشيعته في كتابه المنهاج ، لأن ابن المطهر الذي قام بإقرار إمامة علي وتنقيص قدر إمامة أبي بكر هو الذي هيج غضب ابن تيمية وأثار حفيظته ، فأخذ يتحزب وراء أهل السنة ويتجند باسم الولاء والبراء ضد حزب آخر من الشيعة والرافضة والخوارج ، ثم لم تقف الأمور عند هذا الحد وإنما تجاوز سوء الفهم في



معنى الولاء والبراء إلى مفهوم جديد عقب ظهور تيار السلفية في العالم الإسلامي كله ، وفي هذا العصر الذي نعيش فيه بالذات . حيث اصطبغ معناه بصبغة دينية أو سياسية بعد ظهور المناوشات بين أهل السنة وأهل البدعة في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي ، وليس من شك أن الأمور التي أدت إلى هذه المناوشات تدور حول الغلو والتطرف في الدين ، وتدور حول أسبابه ومظاهره وبيان صورته .

كان أهل السنة والجماعة يتحزبون وراء الإمام السني ويتجندون باسم العقيدة أو السلفية ضدّ حزب آخر من الأحزاب الإسلامية ويرمونهم بسهام البدعة والفسق والجهالة ، وخاصة في كلّ وقت يتكلمون عن الغلو في عقائد أتباعهم وتقديس مشايخهم إلى حدّ الجنون في التبرك .

وليس من شك أن معنى هذا الولاء والبراء الذي تحوّل في هذه الأيام إلى التحزب السلفي والولاء السلفي هو مبدأ الفرقة والانقسام بين علماء المسلمين في نيجيريا وعامتهم . حيث كان أهل السنة يرون أنفسهم من أهل الهدى وأهل الحق ، وينظرون إلى غيرهم من المؤمنين على أنهم أهل البدعة وأهل الضلال . وليس من شك أن هذا المفهوم الخاطئ القائم على التحزب السلفي والولاء السلفي هو مصدر الخصام في أول الأمر بين الشيخ محمد حبيب الله آدم عبد الله الألوري وبين طائفة من غلاة أهل السنة في نيجيريا ، وعلى رأس هؤلاء الغلاة هو الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام ، أقول هذا بعد ما رأيت أن مفهوم البراء عند هؤلاء الغلاة السلفيين لا يقتضي بغض أعداء الله ومعاداتهم كما يقول الكتاب والسنة ، أو التبري منهم ومحاربتهم بكل أنواع الأسلحة التي تناسب كلّ عدوّ ، والتي تردع كل كافر والتي تخزي كل منافق بالقلم تارة وباللسان مرة وباللسان تارة أخرى ، وما إلى ذلك مما فصلها أهل العلم والصلاح في مؤلفاتهم⁽¹⁾

وإن مفهوم الولاء والبراء عند هؤلاء الشرذمة الغلاة المتسلفين هو ما صورّه الدكتور عبد الرحمن الإمام بحديثه الآتي في كتابه «عن صحيح البخاري» وفي ذلك يقول :

« وإذا رأيت أحداً يبغض أهل الحديث وبخاصة الملتزمين بتطبيق ما ثبت من السنة فاعلم أنه إما جاهل مبتدع وينتسب إلى العلم وأهله ، أو أنه فاسق متعصب للمذهبية أو العادات والتقاليد الموروثة ، أو أنه زنديق يكره الثوابت الدينية وينجر إلى الانفتاح الغربي السلبي المناهض للثوابت والقيم الإسلامية»⁽¹⁾

انظر إلى حديث هذا الدكتور المغالي المسرف المتعصب لمذهب أهل الحديث فقط دون غيره من أهل العلوم والمذاهب الإسلامية الأخرى ، فهو يذكر أهل الحديث فقط من العلماء المؤمنين ، ولم يذكر أهل الفقه ولا أهل النحو والصرف والبلاغة ولا أهل العقيدة والشريعة وما إلى هؤلاء من علماء الإسلام قديما وحديثاً . وفوق هذا هو لم يذكر أهل القرآن والتصوف الحقيقي من المؤمنين . كل ما يهّمه في الأمر هو أهل الحديث وأهل السنة ، مع أن المؤمنين دون تفريق بين أحد منهم . هم الذين أمرنا الله موالاتهم والتجنب عن بغضهم لا أهل الحديث فقط ولا أهل السنة ، ثم أمرنا الله بتطبيق ما ورد في الكتاب والسنة لا ما ثبت في السنة فقط كما ذكره شيخنا الدكتور في حديثه .

على هذا النحو من تضيق الدائرة الواسعة للولاء والبراء . وفتح أبواب جنتها لأهل السنة فقط دون غيرهم من المؤمنين ، كان هؤلاء الغلاة

== تأليف الشيخ محمد سعيد القحطاني ، وكتاب آخر كان اسمه « حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة » تأليف الأستاذ سعيد عبد الغني تحت إشراف مشايخ السلفية

(1) عن صحيح البخاري ص 250



ينهجون في دعوتهم وعقيدتهم ، ويرمون كل من خالفهم على هذا الرأي بحجارة من سجيل ، ويسمونهم جاهلاً ومبتدعاً أو فاسقاً وزنديقاً . وما إلى ذلك من النعوت السلبية التي وردت في حديث الدكتور والتي نهانا الله عنها في كتابه العزيز ، ويقول عز من قائل : ﴿ يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِ بِئْسَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات: 11) .

وخلاصة القول هي أن هؤلاء الغلاة إذا دعونا في كتابهم إلى الولاء والبراء للكتاب والسنة فلتكن دعوتهم إليهما بالحق لا بالباطل ، وبمفهوم صحيح واسع لا بمفهوم خاطئ ضيق ، وبقصدٍ وتوسطٍ واعتدالٍ لا بغلوٍ وإسرافٍ وتطرفٍ ، ثم يكون هذا الولاء لعلماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها المسلمين منهم والمؤمنين قديماً وحديثاً ، لا للإمام البخاري فقط وغيره من العلماء السنيين . وإذا فعلوا ذلك عصموا منا كتابهم وأقلامهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى . وهو عليهم بما يعتقدون وخبير بما يصنعون .

يقول الله عز من قائل في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(الأنعام: 159)





في حديث أصحاب النبي وإخوانه دروس وعبر

ورد في صحيح مسلم حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، ووددتُ أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال : أرايت لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مخجلةٌ بين ظهري خيل دهمٌ ألا يعرف خيله ، قالوا : بلى يا رسول الله قال : فإنهم يأتون غرا مخجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول : سحقاً سحقاً .⁽¹⁾

وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله .⁽²⁾

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ووددتُ أني لقيت إخواني قال : فقال أصحاب النبي ﷺ : أو ليس نحن إخوانك؟ قال : أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني⁽³⁾

(1) راجع كتاب الطهارة ، باب «استحباب إطالة العزة والتحجيل» وأخرجه مالك 58 والنسائي ، 93/1 ، 94 وابن ماجه رقم 4306 وغيرهم : عن عبد العلاء بن عبد الرحمن

(2) حسنه الألباني في «الصحيحة» (1676).

(3) 502/10 رقم 12517 ، ط ، دار الحديث ، إسناده صحيح



وروى الإمام أحمد من طريق أبي محيريز قال : قلت لأبي جمعة - رجل من الصحابة - حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ : قال : نعم ، أحدثكم حديثاً جيداً : تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة ابن الجراح ، فقال : يا رسول الله أأحد خير منا ، أسلمنا معك ، وجاهدنا معك؟ قال : نعم ، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني⁽¹⁾

إذا قرأت هذه الأحاديث النبوية بتوعدة وتأن ، فلن تجد فيها فضل أصحاب النبي فحسب ، ولا ذكر مكانتهم فيها مما تعودنا أن نذكر من قبل في أوساط علماء السنة وأتباعهم ، ولكنك ستجد فيها شيئاً آخر له قيمته وخطره ، وقد يكون أقلّ درجة وأسفل مقاماً من فضل أصحاب النبي ومكانتهم ، ومع ذلك كان أعظم قيمة وأجل خطراً ، وهذا الشيء الذي له قيمته وخطره هو درجة الذين آمنوا بالنبي ولم يروه ، وليس من شك أن هؤلاء الذين ذكرهم النبي في حديثه ، ليسوا من أصحابه كما قال ، بل كانوا من إخوانه ، أقول إن النبي لا يريد بهم التابعين أو تابعي التابعين فحسب ، وإنما يريد بهم كل من اتبعه بالإيمان والإحسان إلى يوم الدين . وأكاد أعتقد - بعد هذا - أن ليس لهؤلاء الإخوان أنصار كما كان لأولئك الأصحاب أنصار ، لأن علماء السنة من بني جلدتنا ليسوا مخلصين في نصر إخوان النبي كما يتحمسون في إخلاصهم لأصحاب النبي ، لذلك كانوا يكرهون إثبات فضل بيوت العلماء في بلادهم ، ويرون أن ذلك من العادات والتقاليد الموروثة التي يجب إلغاؤها طوعاً أو كرهاً . ما دامت هذه العادات والتقاليد لم تذكر في الكتاب والسنة ، على هذا النحو كان هؤلاء الغلاة من أهل السنة يكرهون البيوت الدينية الموروثة ، وينجرون

(1) قال الشيخ الألباني أخرجه الدارمي وأحمد والحاكم وصحّحه ووافقه الذهبي ، وإسناد الدارمي وأحد إسنادي أحمد صحيح .

إلى الانفتاح السلفي السلبي المناهض لتوابع الثوابت الإسلامية . ولذلك
كان كبيرهم يقول في كتابه

عن صحيح البخاري :

« وسنة الله في بلداننا الأفريقية أن وصل إلينا القرآن أولاً ، ثم علوم
التفسير والفقه ، ثم تلت ذلك علوم اللغة العربية ، وقد ضارعت مؤلفات
أجدادنا وآبائنا العباقرة في أفريقيا كثيراً من مؤلفات العرب بل ونازعتها
في كثير من فروع العلم ، وليس ببعيد عنك مؤلفات عمر الفوتي وآل
كانم وآل فوديو وخليفتهم الشيخ آدم الإلوري رحمهم الله أجمعين لكن
مشاركتهم في علم الحديث أقل بكثير بمقارنتها بمؤلفاتهم في غيرهم ⁽¹⁾ »

أضف إلى ذلك أن أولئك الأجداد من العلماء عنوا من كتب الحديث
بأمثال كتاب « الترغيب والترهيب » وإحياء علوم الدين هذا ما وصل إليهم ،
أما وصول أمثال « الموضوعات » و « اللآلي الموضوعات » و « العلل
المتناهية » وغيرها من كتب تنقيح الغيث من الزبد من متون الحديث فقد
تأخر وصولها إلى كثير منهم إن لم يكن قد غاب أكثرها عن أغلبهم ،
فلذلك لم تجد أثراً إصلاحياً في قمع البدعة من جذورها بما ألفه الشيخ
عثمان بن فوديو بكتابه « إحياء السنة وإخماد البدعة » ، أو « فقيه العصر »
ومحدثه الشيخ أبوبكر محمود غومي بكتابه « العقيدة الصحيحة » ،
أو الشيخ آدم عبد الله الألوري « الإسلام وتقاليده الجاهلية » أو « الدين
النصيحة » ، ولغير هؤلاء المذكورين أيضاً رسائل ومؤلفات في تطبيق السنة
ومكافحة البدعة ، لكن هي قطرة من يَمِّ المؤلفات غير السنية وتلاطم
الأمواج البدعية رحمهم الله أجمعين .

(1) راجع ، عن صحيح البخاري ص 201

فهذا هو سبب انتشار البدعة ، وتمسك الخلف باللغويات والأشعار وإنكار الثوابت الدينية بالدليل الشعري أو الانفتاح العصري ، رحم الله أجدادنا وآباءنا فقد جادوا وأفادوا وعملوا على قدر طاقتهم بما وصلت إليهم من المصادر . اللهم اغفر لهم وارحمهم وتجاوز عنهم ⁽¹⁾

انظر إلى هؤلاء القوم ، وبنوع خاص إلى حديث هذا الدكتور الجاهل بقيمة علماء بلاده وبتراثهم في علوم الدين ، انظر إليه كيف كان يقوم بتأكيد الذم بما يشبه المدح في حق هؤلاء العلماء العظام ، وقد يغتر بحديثه الطالب المبتدئ ويظن كما يظن هو أن علم الحديث لم يصل في أول يوم إلى أولئك العلماء العظام كما تصل إليهم علوم التفسير والفقه وعلوم اللغة العربية ، ثم يظن بعد ذلك أنهم أغمار ضعاف البضاعة في علوم الحديث إذ لم يقرأوا - في نظره - إلا أحاديث الترغيب والترهيب وكثير من الأحاديث الضعيفة في كتاب الإحياء للإمام الغزالي ، ثم يضيف إلى ذلك أن الحركة الإصلاحية التي قام بها آل فودي وآل كانم لم تقمع البدعة من جذورها ، وسبب ذلك يعود في نظره إلى قلة مؤلفاتهم في علوم الحديث والسنة ، وكثرة توأليهم في اللغة والأشعار ، وهذا في رأيه هو سبب انتشار البدعة وتمسك طلاب العلم بعلوم اللغة والأدب في هذا العصر الحديث .

هذا كله هو مضمون حديث ذلك الدكتور الجاهلي ، وقد يغتر به الطالب المبتدئ كما أقول لكن الباحث المدقق يستطيع أن يفند هذه الافتراءات الواهنة ، والجهالات المظمورة ، بشيء يسير . وهو أن يعود إلى كتاب « الثقافة العربية في نيجيريا » الذي ألفه الدكتور علي أبوبكر ، ويقرأ فيه ما يمس هذا الموضوع من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي ، والشيخ

(1) عن صحيح البخاري : ص 251 ، 252

عبد الله بن فودي ، والسلطان محمد بللو بن عثمان بن فودي ، من هنا يعلم أن حديثه عن تراث علمائنا الأفارقة لا أساس له من الصحة ، وليس من بأس الآن أن أنقل له شيئاً منه في ذلك الكتاب .

يقول الدكتور علي أبوبكر في باب « مؤلفات الشيخ عبد الله فودي ما نصّه :

« إن البلاد لتفخر بمؤلفات هذا العبقري لا لكثرتها وقيمتها فحسب ، بل لشمولها لمعظم العلوم من تفسير ، وفقه ، وتصوف ، وتاريخ ، وحديث ، ولغة ، ونحو ، وصرف ، ومنطق ، وعلم الكلام ، وعروض ، وأدب ، ولا شك أنه أكبر عالم وكاتب عرفته أفريقية الغربية أو يمكن أن تعرفه»⁽¹⁾ ثم يقول في صدر ذكر مؤلفاته في الفقه والحديث والتصوف :

1- « ضياء الأمة في أدلة الأمة » تناول في هذا الكتاب العبادات كالطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والإيمان ، والنذور ، ثم المعاملات كالنكاح ، والطلاق ، والإيلاء ، والظهار ، والنفقة ، والإقطاع ، وأزراق العمال ، والجهاد ، والأقضية ، والشهادات ، وأحكام الدماء ، والوصية ، والهبة ، والعتق ، والتدبير ، والكتابة ، وما إلى ذلك .

« اللؤلؤ المصون » لا يختلف هذا الكتاب عن الذي قبله إلا أن الأول منشور وهذا منظوم وتبلغ الأرجوزة ألف بيت ، تناول المؤلف فيها العبادات والمعاملات التي تناول نشره ، مما يؤكد شاعريته الممتازة .

« ضياء الأنام في الحلال والحرام » تناول المؤلف في هذا الكتاب بيان الحلال والحرام والشبهة وبيان خروج التائب من المظالم المالية ، وفيما

(1) الثقافة العربية : الدكتور علي أبو بكر ، ص 303 ، ط 2 ، دار الأمة مكتبة كنو نيجيريا.

يحل للمرء أن يأخذه من عطايا السلاطين وما يحرم منها ، وحكم مخالطة السلاطين الظلمة وغيرهم ، وبيان الفارق بين الرشوة والهدية ، واختتم حديثه ببيان محرمات القلوب والألسن .

« ضياء الحكام فيما لهم وما عليهم » يحتوي هذا الكتاب على خمسة أبواب : الأول : في الهجرة وأحكامها ، والثاني : في بيان حكم نصب الإمام الأعظم وماله وعليه ، والثالث : نوابه وأقسامه ومالهم وعليهم ، والرابع : في الجهاد وما يتعلق به . والخامس : في السياسات الشرعية كاللقاء القبض على المتهمين والمفسدين والأشرار .

« ضياء السياسات » هذا كتاب صغير ديني يقع في ستين صفحة ، وفضلا عن المسائل الدينية التي يحتوي عليها مثل الصوم والصلاة والنكاح فهو يتناول مسائل في السياسة الشرعية أيضا ، كاتخاذ تدابير لدرء المفسد ، واستنباط أحكام تتلاءم مع ما أحدثه الناس من الفجور ، ومعظم ما في الكتاب مأخوذ من تبصرة ابن فرحون .

« سراج الجامع للبخاري » هذا الكتاب عبارة عن منظومة تتناول بيان كيفية جمع البخاري لصحيحه ، والأمور التي تتعلق بتلك الأحاديث على ضوء ما ورد في فتح الباري .⁽¹⁾

على هذا النحو كان الدكتور علي أبوبكر يعالج مؤلفات العلماء القدامى ، ويجعلنا نقف على مقدرتهم العلمية وموسوعات السنية ، وجاء الدكتور الجاهل بتراث الأمة الأفريقية ، فوصفهم بعدم العناية بكتب الحديث والسنة ، وإذا كانت هذه المؤلفات المذكورة خارجة من دائرة السنة ، فأين مؤلفات الدكتور التي تثبت أنه أكثر منهم علما وأجل منهم ثقافة في علوم الحديث

(1) الثقافة العربية ، ص 303-317

والسنة ، والذي أرى في هذا الأمر هو أن هؤلاء الدكاترة الجهال من السنين قد بدأت مشكلتهم في أنهم خاضعون للسلطان العربي السلفي في هذا العصر ، فأصبح هؤلاء الممولون من العرب جيلا آخر من المستعمرين الجدد ، حيث دفعوا الشعب كله إلى العمل للتخلص من كل طريقة صوفيّة ، ثم لم يكد الشعب يتخلص منها حتى وجد نفسه في استعمار آخر أدهى وأمر وهو الاستعمار الديني السلفي ، وكان الشعب النيجيري يشقى أشد الشقاء حين يرى وطنه قد أتيح له الاستقلال منذ نصف قرن أو يزيد ، ثم لا يزال يعاني أزمة دينية وسياسية واقتصادية ، وهذه الأزمات تختلف قوة وضغطا باختلاف الظروف التي تحيط بأفراد الشعب في أوطانهم المختلفة ، وكان أهل البلاد أشقياء بالاستعمار السياسي الإنجليزي في أوائل القرن الماضي ، ثم انتقلوا من شقاء بالحكم البريطاني إلى شقاء بالحكم الأمريكي في هذا القرن الحاضر ، ثم لم يخرجوا من ذلك حتى بدؤوا يعانون مشكلة البؤس والفقر ، وأوقعتهم هذه الاقتصادية في براثن الاستعمار الديني السلفي ، فأصبح الشعب النيجيري يعمل على إيراد التراث السلفي وإهمال غيره من تراث علمائنا القدامى الأفارقة ، واستخفاف بمساهماتهم في أمور الدين ، وهذه الخطة المدبرة الحكيمة هي التي وقع الدكتور عبد الرحمن وغيره في أحبولتها دون شعور منهم ، حيث يعلمون شيئا كثيرا في التراث العربي السلفي ويجهلون أشياء كثيرة في التراث الأفريقي السني الأشعري ، ثم يجهلون أن علماءنا الأفارقة متبحرون في علوم الحديث والسنة منذ زمن قديم ، ويجهلون أن هؤلاء العلماء أكثر منهم علما وأجلّ منهم ثقافة ، لذلك كانوا يؤلفون كتباً دينية على مستوى طلابهم وجماعتهم وبالقياس إلى البيئة التي عاشوا فيها ، فالإنسان كما قلت سابقاً لا يحسن العلم ليجعله شيئا بينه

وبين نفسه دون أن يقع أحد من الذين يعيشون معه في بيئته أو في وطنه ، وإنما يحسن العلم والثقافة ليكون مصباحاً يضيء لمن حوله من الناس سبيل الحياة وسبيل الرقي وسبيل التطور أيضاً ⁽¹⁾

وكان هؤلاء العلماء القدامى يعيشون بين الناس كما نعيش ، لكنهم يفهمون حياة الناس فوق ما نفهمهم ، ويتعمقون في نظمهم الاجتماعية والسياسية أكثر مما نتعمق ما في عصرنا من نظم اجتماعية وسياسية ، ثم كانوا يلاحظون نشاط أهل عصرهم اليومي ، فاستطاعوا بهذا كله أن يعلموهم ما لم يعلموا ويدلوهم من سبل الرقي إلى ما لم يهتدوا إليه ⁽²⁾.

وكان هؤلاء لا يسرفون على أنفسهم ، ولا يسمحون لأحد من داخل البلاد وخارجها أن يسرفوا عليهم ويستعجلونهم حين لا تنفع العجلة ، بل حين تصبح أدنى الضرر منها إلى المنفعة ، كل هذا هو ما يسبب مؤلفات كتبها منسوخة من غيرها ، أو مختصرة من مطولات غيرها ، فنشروها للناس في أيامهم حتى يمكن لكل أفراد الشعب أن يفهموهم ويفهموا حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، والتي في بعضها مشاكل تعرض للناس في حياتهم اليومية ، ولذلك كان ما كتبه الشيخ عبد الله بن فودي من مؤلفات تحمل عناوين متنوعة تحت طابع «الضيئات» ، أعني بذلك ضياء التأويل ، وضياء السياسات ، وضياء الأمراء ، وضياء الحكام ، وضياء الأمة في أدلة الأمة ، كل هذه الضيئات عبارة عن تنوير عقول الناس في عصرهم ، وتثقيفهم في أمور دينهم ودنياهم ⁽³⁾

(1) آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني ، صراع الأجيال حول قضايا الإسلام في نيجيريا ص 150 مكتبة وهبة.

(2، 3) المرجع السابق ، ص 251

وهذا كله كما ترى هو ما جهله الدكتور الأفندي وأنصاره ، وجعلهم يقولون إنّ مؤلفات أولئك العلماء العظام في علم الحديث أقل بكثير بمقارنتها بمؤلفاتهم في غيره ، أو يقولون بأن الأثر الإصلاحي الذي قاموا به لم يجمع البدعة من جذورها ، هذا جهل بواح! وذنب لا يُغتفر لمن أحرز الألقاب الأكاديمية ، إذ هو لم يقرأ ما يجب عليه أن يقرأ من تراث علمائنا المتقدمين ، ثم لم يفهم أن مراعاة أحوال الناس عند التأليف أمر ضروري للعالم المؤلف أو الداعية المثقف . ولولا أنني أخاف إطالة الكلام في غير موضعه لنقلت لكم مقدمة ضياء الحكام ، فترون ما فيها من التوجيه والإرشاد ، وما فيها من ثقافة تلائم الثورة التي قام بها أولئك العلماء في أيامهم .

هذا - كما أقول - هو ما جهله بعض علمائنا المعاصرين وخاصة منهم علماء الدعوة من أهل السنة والجماعة ، وهذا كما ترى هو ما يغضني كثيراً في أمرهم ، فلما حاولت أن أردّهم إلى الصواب من القول والفعل بدأوا العجيج والضجيج ، ورموني في كتاباتهم بالفسق والزندقة ، والتعصب الأعمى للمشيخة الموروثة ، مع أن هؤلاء غير صادقين فيما ذهبوا إليه ، ولو كانوا صادقين في نصرهم للدين حقاً ، لقاموا مخلصين للدفاع عن حقوق الأولين والآخرين من علماء الإسلام ومن أصحاب النبي وإخوانه ، الذين وصفهم في حديثه أنهم غرُّ محجلين من أثر الوضوء والصلاة ومن أثر البر والتقوى . أما هؤلاء لم يفعلوا ذلك إنما يدافعون عن أصحاب النبي على حساب إخوان النبي ، ويدافعون عن السنن الموروثة القديمة على حساب السنن الموروثة الجديدة التابعة للقديمة في صيانتها من التطور وآثاره السيئة . ثم يدافعون عن الثواب الدينية على حساب هدم توابع الثواب في العالم الإسلامي ، أليس في هذا الدفاع جورٌ وظلمٌ وفي هدم توابع الثواب غشٌ وخيانة .



هذه هي المسألة التي يدور عليها الخلاف بيننا ، وهل من سبيل إلى أن نفرغ من مثل هذه المسألة اليوم أو غداً ، لأنها مسألة تلازم الأمم الإسلامية منذ العصور الأولى ، وتلازمها لأن الدين الذي أنتجها لا يزال حياً . وهي مسألة تتردد كما ترى بين الدين وسلوك التدين ، أعني بذلك أن مسألة الخلاف لم تكن قائمة على جهل أو فسق أو تعصب فحسب كما يتوهم الدكتور وأمثاله ، وإنما الخلاف قائم على شيء آخر غير هذا كله! قائم على الفهم قبل كل شيء ، وقائم على سلوك التدين عند المتدينين ، وعلى تفسير هذا القول نلتقي إن شاء الله في الفصل الآتي .





(3)

الدين وسلوك التدين

- الدين شيء وسلوك التدين شيء آخر
- سلوك التدين عند بعض أصحاب النبي
- سلوك التدين بين الحزب السنّي والحزب الشيعي
- سلوك التدين عند غلاة سلفية هذا الأوان



الدِّينُ شَيْءٌ وَالتَّدِينُ شَيْءٌ آخَرُ

نعم! إن الفرق عظيم بين هذا الدِّين كَأمر إلهي والتدين كسلوك بشريّ ،
وبعيد جداً ما بين ما وضعه الله لعباده إيماناً واحتساباً في ابتغاء خيره
ومرضاته ، وما قام به الإنسان تجاه هذا الدِّين على حسب فهمه وعواطفه
واعتقاده وسلوكه في تحقيق ما أمره الله في هذا الدِّين من أوامر ونواهٍ .
وهذا ما جعلنا نقول إنّ هذا الدِّين شيء وسلوك التدين شيء آخر .
ولا يستطيع المرء أن يفرق بينهما إلا بالفهم الدقيق . وهو أن يعلم أن
أمر الدِّين كلّها قائمة على النظرية والتطبيق ، وأن الجانب النظري هو
ما في هذا الدِّين من أوامر ونواهٍ ، والجانب التطبيقي هو ما في هذا الدِّين
من عمل وسلوكٍ ، وقد يفهم الإنسان نظرية هذا الدِّين بشكل حقيقي
فيخطئ عندما أراد أن يقوم بتنفيذ جانبه التطبيقي . هذا هو الذي يحدث
فعلاً منذ أن وضع الله للناس هذا الدِّين الحنيف .

يكفي أن ننظر إلى تاريخ الإسلام كلّه لنعرف هذا الفرق بين الدِّين
وسلوك المتدين منذ ظهور الإسلام على سطح الأرض ، ثم لنعرف الفرق
في سلوك المتدينين من عصر إلى عصر ومن جيل إلى آخر ، أقول يكفي
أن ننظر إلى سلوك المتدينين منذ عصر النبوة إلى يومنا هذا ، فتلاحظ أنهم
بشر وأنهم أناس ينقسمون إلى ثلاثة أنفار في كل جيل وعصر . فيهم
متشددون وفيهم متساهلون وفيهم معتدلون ولا رابع لهم .

وهذه الفكرة كما ترى هي التي أقرّها للناس في كتابي السابق وجاء
الدكتور فبدأ يحاسبني عليها في كتابه ، حيث أخذ يلومني ويشتمني في
أنني أتحدّث عن مظاهر التشدد في سلوك بعض أصحاب النبي ، وأتحدّث



عن كيف كان النبي يقوم أصحابه في هذا التشدد ، ثم أوردتُ على ذلك أمثلة من الأحاديث النبوية التي لا يستطيع هو أن يضعفها متناً وسنداً ، وهنا يراني فاسقاً وزنديقاً ، ثم قال بعضهم دفاعاً عن رأي الدكتور أنَّ هؤلاء الصحابة المتشددين قد استقاموا في سلوكهم بعد أن أشار إليهم النبي ومنعهم عن ذلك ، ولم يعودوا إلى ذلك التشدد مرة أخرى ، لا في حياة النبي ولا بعد مماته ، وهنا أقول لمثل هؤلاء إن الروايات الصحيحة لا تصدقهم فيما ذهبوا إليه ، بل كان بعض الروايات يخبرنا بأن عبد الله ابن عمرو رضي الله تعالى عنه الذي لاحظ رسول الله مبالغته وإفراطه في الصيام والقيام والتلاوة ، فردّه إلى الاعتدال قائلاً « إن لبدنك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه »⁽¹⁾. أقول إن هذا الصحابي الجليل الذي أصلح النبي من أمره ما استطاع أن يصلح ، واستقام في أمره ما شاء الله أن يستقيم في أيام الرسول ، أقول إن هذا الصحابي الجليل لم يتراجع عن مظاهر التشدد بعد وفاة النبي وإنه لم ينثن ولم يستكف ، ولم يتغير شيء من أحواله إلى أن نال منه الكبر ، فندم على ذلك التشدد ، هذا ما ورد من الروايات الصحيحة ، ولست الذي رويت هذا الحديث ولا قائله وإنما هي روايات ورد معظمها في الصحيحين وقليل منها ورد في أحدهما . وأرى من الخير أن أنقل لكم قطعة منها كما ورد في باب «الاقتصاد في الطاعة» من كتاب «رياض الصالحين للإمام أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي .



(1) أخرجه البخاري والترمذي في حديث أبي الدرداء الذي آخى النبي بينه وبين سلمان .



سُلوٰك التدين عند بعض أصحاب النبيؐ

«عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أخبر النبي ﷺ « أني أقول : والله لأصومنَّ النهار ، ولأقومنَّ الليل ما عشتُ فقال رسول الله ﷺ « أنت الذي تقول ذلك؟ فقلت له : قد قلتُه بأبي وأمي يارسول الله قال : فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ، ونم وقم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر ، قلتُ : فإنني أطيع أفضل من ذلك ، قال : « فصم يوماً وأفطر يومين » قلت : فإنني أطيع أفضل من ذلك قال : فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود ﷺ وهو أعدل الصيام » وفي رواية : « هو أفضل الصيام » فقلت : فإنني أطيع أفضل من ذلك : فقال رسول الله ﷺ : « لا أفضل من ذلك » ولأن أكون قبلتُ الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إليَّ من أهلي ومالي ، وفي رواية : ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت بلى يارسول الله قال : فلا تفعل صم وأفطر ، ونم وقم ، فإنَّ لجسدك عليك حقاً ، وإنَّ لعينيك عليك حقاً ، وإنَّ لزوجك عليك حقاً ، وإنَّ لزورك عليك حقاً ، وإنَّ بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام فإنَّ لك بكل حسنةٍ عشر أمثالها فإذا ن ذلك صيام الدهر » ، فشددتُ فشدد عليّ قلتُ : يارسول الله إني أجد قوَّة قال : صم صيام نبي الله داود ولا تزدد عليه قلتُ : وما كان صيام داود قال « نصف الدهر » فكان عبد الله يقول بعد ما كُبرَ ياليتني قبلتُ رخصة رسول الله ﷺ



« وفي رواية : « ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟ فقلت : بلى يارسول الله ولم أرد بذلك إلا بالخير قال : فصم صوم نبي الله داود فإنه كان أعبد الناس ، واقرأ القرآن في كل شهر ، قلت : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال : فاقرأه في كل عشرين ، قلت : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال فاقرأه في كل عشر قلت : يانبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال : فاقرأه في كل سبع ولا تزدد على ذلك » فشددت فشدد علي وقال لي النبي ﷺ « إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر » قال : فصرت إلى الذي قال النبي ﷺ « فلما كبرت وددت أنني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ » (1)

أظنك تقرأ هذا الحديث قراءة متأنية ، وتقرأ بنوع خاص كلام عبد الله ابن عمرو حين يقول فشددت فشدد علي ، ثم تقرأ بعد ذلك تعليق النبي على هذا التشدد وذلك في قوله : « إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر » فطال به العمر حقا بعد وفاة النبي ، ونال منه الكبر ، فأخذ يندم على ما أخذ نفسه به من التشدد في أيام الشباب ، وليته لم يفعل ذلك ، ويتمنى لو عاد الشباب إليه يوماً فيطيع النبي فيما أشار إليه من الرخصة والتيسير . وأنا لا أريد أن أعلق على هذا الحديث خوفاً من هؤلاء الغلاة ، وقد يقولون الآن بعد تعليقي عليه إني أطعن في الصحابة كما يقولون ، مع أنني لا أقصد الطعن في الصحابة ولا الهجوم ولا الشتم ، وإنما أقصد درساً نستفيد به في مثل هذا الحديث ، وكان عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه هو الذي تعلمنا هذا الدرس ، يربينا ويهذبنا بسيرة حياته ، وهو لا يستحي أن يظهر لنا ما في سلوكه من عيب ونقص ، وما في تشدده في

(1) ورد هذا الحديث في كتاب رياض الصالحين لأبي زكرياء يحيى النووي في باب « الاقتصاد في العبادة »

أيام الشباب من غلوٍ وتطرفٍ ، ثم يشير إلى ما آل إليه أمره في الكبر وما فرضت عليه هذه الشيخوخة من فتور وتعب وإرهاق ، وهو يرى في نهاية الأمر أن الاقتصاد في الطاعة ، والاعتدال في المزاج والتيسير في أمور الدين هو أحسن وأولى وأجمل من كل شيء . هذا الدرس الجيد الغالي النفس هو الذي قصد إليه ابن عمرو في حديثه بصدق وإخلاصٍ ، وضرب بسيرة حياته مثلاً لمن أراد أن يتذكر أو يخشى أو أراد شكوراً .

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ وهم أهل صدق وأمانةٍ ، وكان صدقهم لا يجعلهم يسترون عيوبهم أو يمارون غيرهم ، وكانوا مندفعين في هذا النوع من الصدق والأمانة في غير قصد ولا احتياطٍ ، وهم يؤمنون في ذلك كله أنهم بشر لا ملائكة ، يخطئون حيناً ويصيبون أحياناً ، ويتشددون حيناً ويتساهلون أحياناً ، وقد ينتهي بهم هذا التشدد إلى أن يتدخل النبي في هذا الأمر معظم الأحيان ، فيردهم إلى الاقتصاد والاعتدال ، وليس من بأس أن أشير إلى مثال أو مثالين يصدق ما أنا أذهب إليه في هذا الصدد : من روايات البخاري ومسلم .

« عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ : « مَرَوْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلْ وَلْيَقْعِدْ وَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ »⁽¹⁾

« وعن أبي ربيحٍ حنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبوبكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ قلت : نافق حنظلة! قال : سبحان الله ما تقول؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله عافسنا - أي عالجنا ولاعبنا - الأزواج والأولاد والضيعات - أي

(1) صحيح البخاري ، وفي كتاب « رياض الصالحين » حديث (152).



المعاش - نسينا كثيراً ، قال أبوبكر رضي الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبوبكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ . فقلت : نافق حنظلة يارسول الله : فقال رسول الله ﷺ وما ذلك . « قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ » والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ثلاث مرات ⁽¹⁾ .

أفأنت ترى في هذين الحديثين كيف كان بعض الصحابة يسرفون على أنفسهم في أمور العبادة ، إلى درجة لا يريد رجل منهم أن يستظل من حرارة الشمس ، ولا يريد أن يقعد ولا يريد أن يتكلم مع غيره من الناس . فيسمع النبي خبره ، فيأمره بالقعود والكلام وتجنب حرارة الشمس أثناء الصيام . وفوق هذا كان منهم رجل آخر مثل حنظلة يتهم نفسه بالنفاق ، وما هو بمنافق وإنما يحاسب نفسه حساباً عسيراً . فيتشدد في ذلك من شدة المراقبة ، ويحمل نفسه على ما لا يطاق ، ويأتي إلى النبي بعد ذلك مستفسراً عما يرى من عيوب نفسه ، في عدم ملازمة الحضور إلى الأبد ، فيقول له النبي بأن أحوال المؤمن تتردد بين حضور وفتور ، ينفق ساعة في حضور مع الله ، وينفق ساعة أخرى مع حوائج نفسه ، وهذا التردد بين هاتين الحالتين لا يخرجها من دائرة أهل الله ، وأهل الإيمان الصادقين في أقوالهم وأفعالهم ، فليطمئن حنظلة وليؤمن ، في أن تردده بين حالة الحضور حيناً وحالة الفتور أحياناً هو أقرب إلى الفطرة وأدنى إلى الطبيعة الإنسانية .

(1) صحيح مسلم : أخرجه مسلم في كتاب التوبة : باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا (4\2\06) رقم 2750



ومعنى هذا كله هو أن أصحاب النبي الذين نقلوا إلينا هذه الأخبار والروايات التي تتصل بسيرة حياتهم مع النبي اتصالاً قوياً ، لم ينقلوها عبثاً ولا سدى ، وإنما نقلوها إلينا ، نقل علم ودرس ونقل صدق وأمانة ، وهم لا يريدون بها إلا النصح والتوجيه والإرشاد . ليحيا من حيٍّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، أما إذا رأينا في هذا اليوم من ينظر إلى هذه الروايات أنها طعن في مناقب الصحابة ، أو يقول في من نقل هذه الروايات لأجل العبرة والعظة أنه يطعن في أصحاب النبي ، فمثل هذا الرجل لا يخلو أمره من شيئين : إما هو جاهل متجمد لا يحسن العلم والفهم ، وإما مفتر كذاب لا يحفل بصدق ولا بأمانة ، وإنما كان يأخذ الآراء حيث وجدها في بطون الأوراق وينقلها ما استطاع إلى نقلها سبيلاً ، وليس من شك أن الذي أدى إلى وضع الأحكام في من يسب الصحابة أو يطعن في دينهم وأعراضهم ، وأسرفوا في نقل هذه الأحكام إلينا جيلاً بعد جيل ، أقول إن سببها يعود إلى سلوك التدين عقب ظهور التحزب والاختلاف بين المسلمين ، ذلك التحزب الذي لم يكن معروفاً في أيام النبي ولا في أيام أبي بكر وعمر ، رضي الله تعالى عنهما ، أما في خلافة عثمان وعليٍّ فقد ظهرت الفتنة ، ومن هذه الفتنة ظهر لون جديد في سلوك التدين في الخلافة الإسلامية ومملكاتها ، وأوقع هذا اللون الجديد من التدين أمور العلم والدين في مأزق صعب مضطرب وفي موقف حرج جديد . ألا وهو كثرة الجناية على أصحاب رسول الله ﷺ ووضع العقوبة لمن اقترف هذه الجناية في اليوم وغداً .





سلوك التدين بين الحزب السنّي والحزب الشيعي

خرج سلوك التدين من طبيعتها الفطرية الساذجة المألوفة في أيام النبي وأصحابه إلى طبيعة غريبة معقدة منذ أيام بني أمية ، إلى يومنا هذا ، وليس من شك أن السياسة الأموية هي التي أسهمت بكثير في غرس هذه الطبيعة الغريبة في سلوك التدين وفي تطويرها وتعقيدها إلى أقصى الحدود . وليس من شك أن انقسام المسلمين إلى الحزبين : حزب عليّ وحزب معاوية رضي الله عنهما هو الذي أدى إلى ظهور التعصب الديني والحزب السياسي ، ومن هذا التعصب المقيت ظهرت الاختلافات ، فظهرت الجنايات بعد ذلك على السلف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ .

ومن الحق أن الحزب الشيعي هم الذين بدأوا الهجوم على الخلفاء الراشدين إلاّ عليّ وحده الذي استأثروه على أنفسهم . واستأثروه على غيره من أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك بعدما استقامت الخلافة لمعاوية وبنيه ، ولذلك كان إثارة الشيعة لعليّ رضي الله عنه يتضمن أموراً سياسية أكثر مما يتضمن أموراً دينية .

قيل : إن الإمامية ترى أن المجهودات الجبارة التي بذلها رسول الله لم تنتج إلا ثلاثة أو أربعة ظلوا متمسكين بالإسلام إلى ما بعد وفاته ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام - والعياذ بالله - فور وفاته ﷺ ، وأثبتوا أن صحبة النبي وتربيته أخفقت ولم يعد لها أي تأثير (1)

(1) اعتقاد أهل السنة في الصحابة ، دكتور محمد بن عبد الله الوهبي ص 72 ، طبع بإشراف المنتدى الإسلامي بلندن .



وكانت ردود الفعل على هذه الآراء الباطلة قد ظهرت على أيدي علماء السنة الذين ينتسبون إلى فرقة معاوية ومن والاه من أصحاب رسول الله ﷺ فأخذوا يروون أحاديث نبوية فيها فضائل الصحابة ، وفيها التحذير من الوقوع في أعراضهم ، ثم يؤيدون تلك الأحاديث النبوية بنصوص قرآنية وردت في الآيات والسور في مدح أصحاب النبي والثناء عليهم . ولم يلبث أن تفاقمت الأمور السياسية وتعقدت ، فاضطر علماء السنة إلى وضع الأحكام في سب أصحاب النبي أو الطعن في أعراضهم . وكانت هذه الأحكام في الأمر مبنية على نصوص القرآن والأحاديث النبوية ، لكن لما بدأ علماء السنة يفيضون عليها بالبيان والشرح والتوضيح ، ظهرت مشكلة أخرى جديدة ، وهي أن بيانات علماء السنة وتوضيحاتهم في عقوبة من سب صحابياً من أصحاب الرسول ، بيانات متفاوتة وتوضيحات متفرقة ، في بعضها تشدد صارم ، وفي بعضها اعتدال وسط ، وكلها وردت تابعة لمزاج علماء السنة في تشدد بعضهم في أمور العقيدة والعبادة ، واعتدال مزاج الآخرين منهم .

أما كلام المعتدلين من علماء السنة في أمور الصحابة فهو ما ذهب إليه الذهبي رحمه الله في بعض أحاديثه ، وفي ذلك يقول :

« فالقوم - أي الصحابة - لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم ، وجهاد صحاء ، وعبادة ممحصة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ولا ندعي فيهم العصمة » .⁽¹⁾

وإلى هذا الرأي يميل الإمام الغزالي في كتابه المستصفى ، وفي ذلك يقول :

« فاعتقادنا بعدالة الصحابة لا يستلزم العصمة ، فالعدالة استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس ، تحمل على ملازمة

(1) راجع ذلك ، سير أعلام النبلاء ، 93/1

التقوى والمروءة جميعاً . حتى تحصل ثقة النفس بصدقه ، ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي»⁽¹⁾

هذا هو موقف علماء السنة المعتدلين في أمور الصحابة ، أما موقف المتشددين منهم فهو يتجلى فيما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل من حديثه الوارد في كتاب «طبقات الحنابلة» وفي ذلك يقول :

«لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئ الصحابة ، ولا يطعن على أحد منهم بغيب ولا نقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ويستتيه ، فإن تاب قبل منه ، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت»⁽²⁾.

فانظر - يا أخي المسلم - إلى قول إمام أهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحدٍ منهم ووجوب عقوبته وتأديبه ، وقد حكم فعلاً بحديثه هذا أن سب الصحابي من كبائر الذنوب التي لا تغتفر ، وجعل حكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفره البواح ، وفي إراقة دمه حلال .

وعلى هذه القاعدة الحنبلية التشديدية يبنى عبد الملك بن حبيب حكمه الفقهي الجنائي في حديثه الآتي :

«من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدبٌ أدباً شديداً ، وإن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر ، والعقوبة عليه أشد ، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت»⁽³⁾

ليس من شك أن حكم الإمام أحمد بن حنبل في عقوبة التعزير المشار إليها آنفاً ، قد خرج ذلك الحكم من الاعتدال إلى التشديد ، بل إلى التكفير

(1) كتاب المستصفي للغزالي ، 107/1 تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي 1993م

(2) طبقات الحنابلة أبو الحسين بن أبي يعلى 24/1 ، الناشر : دار المعرفة بيروت .

(3) صحيح مسلم شرح النووي 93/16

الذي يوجب القتل عليه ، وليس من شك أن هذا الحكم كما ترى مبني على سلوك التدين عند ابن حنبل لا على أحكام الدين في أصولها وفروعها . لذلك كان بين علماء السنة خلاف في هذه المسألة ، قال الهيثمي : « أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق »⁽¹⁾

وقال الإمام ابن تيمية في كتابه « الصارم المسلول »
ما نصه :

« وأما إن سبهم سباً لا يقدر في عدالتهم ولا في دينهم ، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا تحكم بكفره بمجرد ذلك وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء »⁽²⁾

وجملة القول أن سلوك التدين قد بدأ يؤثر في أحكام الدين منذ العصر الأموي ، نتيجة التعصب المذهبي والتحزب السياسي في ذلك العصر ، ثم لا يزال هذا التأثير يطغى في سلوك العلماء المتشددین في كل عصر من العصور الإسلامية ، وجاء هذا العصر ، وظهر لون آخر من سلوك التدين عند علماء المتشددین ، وهذا اللون الجديد لم يتأثر بالتعصب المذهبي فحسب ، ولا بالتحزب الديني السياسي كما في الأيام القديمة ، وهو يتأثر بالاستعمار الديني والاستشراق السلفي والتمويل الخارجي . وعلى هذه النقطة نلتقي إن شاء الله في الفصل الآتي .



(1) الصواعق المحرقة ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد السعدي الأنصاري ص ، 383

(2) الصارم المسلول ، ص 586 مؤسسة الرسالة - لبنان .



سلوك التدين عند غلاة سلفية هذا الأوان

إن سلوك التدين في عصرنا هذا سلوك اجتماعي مضطرب لا يستقر على حال ولا يثبت في مقام ، وكانت هذه الاضطرابات في سلوك التدين هي نتيجة التنازع على السلطة الدينية في جنب ، ونتيجة الثقافة الدينية المعاصرة في جنب آخر ، وكان كل منهما هو مصدر تفريق الوحدة الإسلامية الذي رأيناه اليوم في العالم الإسلامي .

وليس من شك أن العالم الإسلامي لم يشهد عصراً كثرت فيه الفتن والقلق والاضطراب كهذا العصر ، ولم يشهد عصراً كثر فيه الجدل والنقاش حول القضايا الدينية كهذا العصر ، وكان هذا التطور الجدلي الديني لم يكن معروفاً من قبل إلى هذا الحد في بلادنا الإسلامية ، لا في القرن الذي مضى ، ولا في القرون التي سبقتة وإنما هو أثر من آثار الثقافة الدينية المعاصرة التي أنشأت هذه الاضطرابات الدينية والمشاغبات العلمية .

وفوق هذا كانت الخصومات الدينية تتشعب وتتفرع وتمتد أطرافها وتشكل بأشكال الظروف السياسية والإقليمية التي تحيط بها ، حيث كان لها شكل في السعودية وآخر في مصر ، وثالث في إيران ورابع في إفريقيا .

وليس من شك أن هذه الخصومة هي التي أزال سلطان الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم ، لأن رجال الدين يتنازعون فيما بينهم ، وأراد كل فريق منهم أن يعتز بطائفة من علماء العرب والعجم على فريق آخر ، فقروا العصبية في التمدب ثم عجزوا عن ضبطها ، فأدى ذلك كله إلى فقدان القيادة الإسلامية التي تجمعهم تحت راية واحدة ، وتوحيد صفوفهم وراء خليفة يتكلم بلسانهم ويحمي ذمارهم ويدافع عن حقوقهم .



ومن الحق أن هذه المشكلة هي التي أدت إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وكانت هذه الرابطة هي التي تعمل على توحيد صفوف المسلمين في أنحاء العالم كله . أمّا خطط الرابطة الاستراتيجية الحكيمة فهي لم تعش طويلاً ، لأنها لم تستطع أن تخدم نار العداوة والتعصب التي كانت متأججة بين علماء الفرق والمذاهب الإسلامية ، بل أذكوا نارها من جديد ، وأحيوها فوق ما كانت هي من قبل ، وجعل بعضهم يضرب رقاب بعض ، ثم يمهدون لذلك الضرب أسبابه ووسائله ، ثم يسرفون في ذلك إسرافاً كبيراً . فأصبحت الوحدة بين المسلمين عسيرة المنال وظلت أمور دينهم شيعاً وأشتاتاً

من هنا أخذت كل فرقة من الفرق الإسلامية تناضل لتحفظ بمكانتها وسلطانها ، فكثرت الآراء واختلفت ، واستطاعت أن تجاهد وتختصم وتتنافس في قوة وبأس لم يكن للناس بهما عهد من قبل ، وكانت المطبعة قد أثرت فيه تأثيراً لا نستطيع جحوده وإنكاره ، وهي التي نشرت كتب القدماء والمحدثين وتمضي في هذا النشر ، لا تقف عند حد ، ولا تنتهي إلى غاية ، ولا تستطيع القوانين والنظم المختلفة إلى تقييدها فبينما تنشر في هذا البلد كتباً سلفية ، كانت تذيب في ذلك البلد كتباً صوفية أو شيعية ، وكانت تنشر في بلد آخر مجموعة من الكتب الأدبية والعلمية والفنية .

وهكذا كانت المطبعة تيسر لكل ذي رأي أن ينشر رأيه ، ويناضل عنه ، وقل مثل ذلك في المنهج الدراسي في كل جامعة أو مدرسة ، فإنها تحمل أبناءها وطلابها على مذهب معين يحفظ بها مكانتها وسلطانها في نفوس الناس .

وليس من شك أن الحركة السلفية التي قامت بها المملكة السعودية منذ نصف القرن الماضي هي أقوى حركة عمّت تياراتها جميع بلدان العالم

الإسلامي ، حيث استخدمت هذه الحركة أجهزة هائلة في استعمار العالم الإسلامي ، وفرض ميولها عليهم في التدين . ذلك عن طريق بعث الوفود والنقود والكتب إلى العالم الإسلامي وهيئة الدعوات والإغااثات الممولة ، فقامت هذه الأجهزة الهائلة بتدريب طلبة العلم من أقطار الأرض على نشر العقيدة السلفية ، وترغيبهم في بث الدعوة إلى منهج السلف ورفض غيره من المذاهب الدينية الشائعة المعروفة في العالم الإسلامي من قبل ، ولم يلبث أن كان هؤلاء الطلبة كلاب صيد على أيدي ساداتهم الصيادين الممولين السلفيين ، يسلطونهم على فرائسهم من العلماء الذين لا يهمهم من أمور الدين إلا الخير والصلاح .

ولعلّ خير مثال فيما أذهب إليه في هذا الصدد هو هذه القطعة الكبيرة التي كتبها أحد أبنائنا من عملاء السعودية في جنوب نيجيريا ، الشيخ عبد الرشيد هديّة الله في كتابه « الرد المنيع على خطاب العميل » ، ففي هذه القطعة يقف القارئ على أمرين هامين : أولهما : الوقوف على تيار الحركة السلفية وتأثيراتها على هذه البلاد ودعاتها ، وثانيهما : الوقوف على مدى تحويل هؤلاء الدعاة إلى جنود ساداتهم المرتزقة وكلايهم اللاهثة وراء العطاءات السعودية ، فأصبحت عقولهم مبرمجة يعملون لصالح ساداتهم . وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرشيد هدية الله :

« فنحن نُقرّ ونعترف بفضلكم وبعطاءات المملكة العربية

السعودية منذ أكثر من خمسين سنة » .

« تعمير المساجد ، والمدارس ، والمراكز الإسلامية ، ومباني لبعض الجامعات الدراسية ، والمساعدات المالية للعلاجات - علاج العيون والأمراض المستعصية - وما قامت به السعودية من إيواء رئيس نيجيريا السابق عمر يرادوا ، والإشراف على علاجه في إحدى المستشفيات



التخصّصية ، لأكبر دليل على أنّ السعودية لا تحب إلا خيراً لنيجيريا وأهلها»

«وماذا نقول؟ كيف احتضان حجاج نيجيريا في الأراضي المقدسة ، وطلاب نيجيريا في جامعات المملكة ، وكيف سجايا وسخاء المحسنين جزاهم الله عنا خيراً ، وكيف أئمة الدعوة العلماء الكرماء الذين يبثون الدعوة الإسلامية في أنحاء نيجيريا ، وكيف آثار سماحة مفتي الأمة الإسلامية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة في التعليم والتربية والدعوة ، وإيفاد الدعاة على حساب الحكومة ودار الإفتاء ، وبيت الشيخ ، وكيف حركات معالي الشيخ محمد على الحركان في إصلاح الأوضاع الدعوية والاجتماعية ، ومعالي الشيخ سرور الصبان وغيرهما من أمناء الرابطة ، وكيف جهود البنك الإسلامي السعودي للتنمية المثمرة في التعمير والإغاثة والتثقيف والتعليم ، وكيف آثار طيبة في نيجيريا لمعالي الشيخ عمر نصيف ، ولمعالي الشيخ صالح العبود ، ومعالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ومعالمه وآثاره في نيجيريا ، وهل تنسى نيجيريا وما يمكن لها أن تنسى دور وزارة التعليم العالي ووزارة المعارف السعودية ، والجامعات الدراسية التي تشرف عليها هذه الوزارات ، وهل ينسى علماء نيجيريا أماكن السقيا العلمية والتربوية لهم في السعودية مثل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، جامعة الملك سعود ، فهذه الجامعات هي ينابيع العلم والعرفان والعقيدة السلفية القحة لهؤلاء العلماء ، الذين يكون بالفضل والعرفان لعلماء السعودية وجامعاتها التي نبغوا منها»⁽¹⁾

(1) مجموعة الخطابات المتبادلة ، ص 50-52

نرى في هذه القطعة الكبيرة كيف كانت هذه العطاءات السعودية الكثيرة قد غيّرت وجه التاريخ في سلوك التدين ، وخاصة حين نذكر عدالة علماء الدعوة في هذا العصر ، وإمعانهم في البرّ والتقوى ، فقد كان منهم الأبرار والأتقياء حقاً ، ولكن كان منهم أيضاً الذين يظهرون للناس براً وديناً ثم من ورائهما شيء كبير ، ولعلّ خير مثال فيما نقول هو ما ذكره الدكتور عبد الرحمن أحمد في كتابه « عن صحيح البخاري » بأن هناك أناساً من علماء الدعوة يتاجرون بالسنة في السعودية ، ويبيعونها في نيجيريا ، وفي ذلك يقول :

« والشيخ آدم أيضاً ليس من الشباب الذين يتاجرون بالسنة في السعودية ويبيعونها في نيجيريا ، فأولئك يجلس أحدهم ستة أشهر في السعودية لجمع تبرعات بطرق سليمة أو مشبوهة ، ثم يأتي إلى نيجيريا يحارب السنة بأموال السعودية إما علناً وإما سراً ، وإما بتمويل برامج إذاعية لإعلان البدع والشرك أو تضليل العوام عن السنة الصحيحة ، سنيّ قانع للبدع في السعودية ، صوفي مرتزق أو بدعيّ متخفٍ في نيجيريا ، أما الأخ آدم فهو صريح بمخالفته معنا مشافهة في بعض المسائل ، جرىء في التصريح بمخالفته - لكن لا نفاق فيها أيّ خداع - ولعلّ جرأة الأخ آدم هذه هي التي قادت إلى الغلو في الجرأة والاعتداء على الصحابة والموروثات والله أعلم » .⁽¹⁾

انظر إلى الدكتور كيف يصفني في حديثه بالمخالفة الصريحة والغلو في الجرأة والاعتداء على الصحابة والموروثات ، ثم انظر إليه كيف يصف شخصاً آخر ممن لم يسلك مسلكهم في التشدد والتبديع والتفسيق والتكفير ، انظر كيف يصفه بالمتاجرة بالسنة النبوية ، حيث كان خصمه

(1) عن صحيح البخاري ، ص 12



يجمع الأموال والتبرعات باسم السنة في السعودية ، ثم يعود إلى نيجيريا وينقلب صوفياً مرتزقاً ينفق كيف يشاء في حلال وحرام . هذا هو ما يراه الدكتور في من لم يسلكوا منهجهم في الدعوة وفي سلوك التدين ، أما هو وجماعته فهم صنفان يمدح كلا منهما في حديثه الآتي :

« ومنهم » ملتقى هذا بيان للناس « وهم أحد عشر كوكباً فدية آمنوا بربهم وعنوا بدعوة جميع شرائع المجتمع بأساليب تناسب كل فئة ، وهي دعوة سنية وسطية سلمية مؤيدة بالدليل الشرعي مرفقة بالحكمة - مبتعدين عن التفسيق والتبديع والتكفير والشتائم ، صادعين بالحق لا يخافون في ذلك لومة لائم . فزادهم الله هدى وجزاهم الله خيراً

ومنهم أي شاب سنيّ أبيّ يرفض الموروثات الأفريقية من العيش بالسكر الأبيض - النقل المطلسم - هو وأمثاله لا يتلقون أية مساعدة من أحد لا في الداخل ولا في الخارج ، فكانوا يعيشون على كفافٍ ولا يغرنهم تقلب شباب آخرين ، يتناولون في البنيان ، ويغرقون أنفسهم في ملذات ما بين الفكين والفخذين ، أسأل الله لهم الثبات ، وأن يهدي الله الآخرين ، فנסعد جميعاً بالسنة الصحيحة المؤدية إلى الجنة إن شاء الله ! »⁽¹⁾

قاتل الله الكفر والنفاق والبغض والحسد والكبرياء ، انظر إلى الدكتور كيف وصف جماعته التي قلتُ لك من قبل إنهم ينقسمون إلى صنفين : أما الصنف الأول فهم أحد عشر كوكباً ، وهم كما عرفناهم عمال مبعوثون من قبل الدولة السعودية يحصلون على التمويل الخارجي السعودي ، ويحصلون على عطاءات وتبرعات من خزائن النفط والغازات ، لذلك كانوا صادعين بالحق كما قال ولا يخافون في ذلك لومة لائم .

(1) عن صحيح البخاري « في مقالة شكر وتقدير »

أما الصنف الثاني فهم أتباعهم من أهالي هذه البلاد ، وهؤلاء كما يصفهم فقراء ، لا يعيشون إلا على كفافٍ ، لأنهم لم يجدوا ما ينفقون ولم يحصلوا على أية مساعدةٍ من الخارج والداخل ، ومعنى هذا هو أن أحد عشر كوكبا من علماء الدعوة لم يساعدوا هؤلاء الفقراء ، ولم يعطوهم مما يأخذون من ساداتهم الأغنياء في السعودية ، وكل ما يستطيع هو وغيره من الذين يأخذون أجور الدعوة عن طريق التمويل الخارجي ، هو أن يمدحوا هؤلاء الفقراء لأجل صبرهم على الكفاف ، ويشجعونهم على فقرهم ويجعلوهم يعلمون أن صبرهم على الجوع والعطش خير من أن يغتروا بسباب آخرين يتناولون في البنيان ويتقلبون في البلاد .

انظر إلى هذا الدكتور الغاشم وإلى وجهة نظره في أمور العيش وأمور الأموال ، وهو يأخذ ولم ينفق ، ويتضخم فيما يكتنز من الأموال ويتخم ، ثم يقول لغيره أن يصبر على الفقر والكفاف ، وفي الوقت نفسه لا يريد من أولئك الشباب الفقراء أن يفيقوا من غفوتهم ، فيسعون في طلب العيش وطلب التطاول في البنيان مما غرق هو فيه باسم الدعوة والسلفية منذ عقود من الزمن! سبحان الله! ما هكذا الدين يادكتور ! وما هكذا كان النبي وأصحابه يفعلون ! إن هذا إلا خدعة وتضليل ، فاستمع إلى القرآن كيف يصف أصحاب النبي في الإنفاق والإيثار : يقول عزّ من قائل :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: 9)

ثم بعد هذا كان الدكتور يتكلّم عن شاب سنيّ كان أبيّ النفس ، وكان يرفض الموروثات الأفريقية ، ويرفض بنوع خاصّ العيش بالسحر الأبيض والنقل المطلسم ، وأنا أسأل الدكتور بعد حديثه هذا ، من الذي أتى بهذه



الموروثات الأفريقية؟ ومن الذي أتى بالسحر الأبيض والنقل المطلسم؟ فالجواب طبعا هو أن آباءكم وأجدادكم هم الذين أتوا بالسحر الأبيض إلينا ، وهم أهل التصوف بالأمس ، وهم أهل السحر الأبيض والنقل المطلسم! وقد لا أعرف جميعهم ، لكن مما تعلم ياسيدي الدكتور أنني عرفت أباك كما عرفت أبي وأهلي ، وعرفتُ أبا عمران أليخا كما عرفت أُمي وأختي، وعرفتُ عمّ أكوريدي أبارغدوما معرفة لا يتطرق إليها الشك، وهؤلاء الثلاثة كما تعلمون أقطاب من الصوفية التجانية في بلادنا ، وإذا جئتم في هذا اليوم ووصفتموهم بالسحر الأبيض والنقل المطلسم ، فلا ضير عندي على ذلك ، إذ هي بضاعتكم بالأمس وقد ردت إليكم في هذا اليوم . أما الذي أراه عيبا كل العيب وظلما كل الظلم هو أن تقولوا للناس في هذا اليوم بأنكم بريئون من هذه الشعوذة والسحر والنقل المطلسم ، أو تقولون إنكم سنيون أبيون لا تعرفون شيئا عن الطلاسّم والعزائم والعهود السريانية والتجانية ، فإن هذا بلا ريب كذب وافتراء ، فليس أنا الذي أكذبكم وأتهمكم بالافتراء ، فإن النبي ﷺ هو الذي كذبكم ، ويفضحكم على افتراءكم ، ذلك في حديثه الصحيح وهو حديث مرفوع ، «أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسا حدثنا أبو كريب حدثنا عبده ابن سليمان عن عبد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قيل يارسول الله أيّ الناس أكرمكم؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : فعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا : نعم قال : خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»⁽¹⁾

صدق رسول الله ، فإن الناس كما يقول في حديثه معادن في طباع وأخلاق ، وكأن هذا الطبع وهذه الفطرة تتولّد مع الإنسان وتنمو وتتطور

(1) رواه البخاري وفي رواية مسلم (تجدون الناس معادن)

على حسب ما في العائلة من قيم وأعراف وسلوكٍ ، فمعدن الفرد يحدد كيف يكون هو من الخير والشر ، ومن العدل والظلم ، ومن الضعة والشرف ، قبل أن يوجّهه الدين إلى ما هو فيه من حلالٍ أو حرامٍ .

هذا ما يقول النبي ﷺ «فما موقف الدكتور من هذا القول إذا قيسَ بمواقف آبائهم وأجدادهم الذين كانوا شيوخ أمس في التجانية والقادرية؟ أكانوا خيارنا في جاهلية التصوف أم كانوا شرارنا؟ وإذا كانوا شرارنا الذين غرقوا في جاهلية التصوف بالأمس الغابر كما تقولون ، فماذا تكونون أنتم في هذا اليوم؟ أستم شرار الإسلام الذين انحدروا من شرار الجاهلية كما نفهم من حديث النبي ، لأن خيار الجاهلية هم خيار الإسلام إذا فقهوا ، كما أن شرار الجاهلية شرار الإسلام إذا جهلوا وضلوا ، وليس لكم في هذا الأمر إلا الاختيار بين الأمرين : إما أن تروا آباءكم وأجدادكم خيار الناس على رغم تصوّفهم في الأمس فتصبحوا أبناء خيار الناس في هذا اليوم ، وإما أن تعتبروا آباءكم شرار الناس لأجل استغراقهم في التصوف والسحر الأبيض والنقل المطلسم فتصبحوا شرار سلفية اليوم أبناء شرار صوفية الأمس! فالخيار بين أيديكم !

أما أنا في ما أذهب إليه من حين فهو أن أنبه القارئ على تغيير سلوك التدين إلى أسوأ ما يكون في هذا العصر عند هؤلاء الغلاة السلفيين ، من أجل التمويل الخارجي القائم على الاستعمار الديني والاستشراق السلفي ، وما إلى ذلك مما يترتب عليها نتائجها اللازمة : وهي الاضطرابات الدينية والمشاغبات العلمية . والاختلافات الفارغة والمجادلات العقيمة في أمور لا جمل للدين فيها ولا ناقة .

وليس من شك أن الإسلام قد خسر من هذا التطور الديني الجدلي وريح اليهود والنصارى ، حيث ينتهزون الفرص التي أهملها المسلمون أثناء

سعيهم وراء الجدل والنقاش . فأَيُّ شيء أُصدق دليل على هذا في أن هؤلاء الذين قاموا يجادلونني الآن قد أصبحوا مغلوبين في بلادهم ، حيث كانت الدولة النيجيرية العلمانية الكافرة التي يعيشون تحت رعايتها لم تسمح للعلماء أو أمراء المسلمين بالمشاركة في شيء من السياسة والإدارة ، وكل المشورة التي تطلب هي أن يجتهدوا في منع الفتنة أو إخمادها إذا حدثت ، وإذا دعوا إلى حضور اجتماع رسمي له علاقة بسياسة الدولة فدورهم لا يتعدى أن يكون تزيينا أو ديكورا للمجلس .⁽¹⁾

وبعد ، فإن سوء التصرف في سلوك التدين على النحو الذي فصلته في هذا الفصل هو الذي أدى إلى الجدل والنقاش حول صحيح البخاري في المجتمع النيجيري اليوم ، وليس في علمائنا القدامى من ينتقص قدر البخاري وكتابه ، وليس فيهم كذلك من يطعن في رواة من الصحابة والموروثات الدينية ، لأنهم لم يغلوا في دينهم ولم يتطرفوا ، ثم لم يكن بينهم خلاف قد ظهر من البغي والبغض والحسد والكبرياء ، فيؤدي إلى قيام علمائنا الأجداد ، ويناضل كلٍّ لرأيه وموقفه وعقيدته ، أما نحن الأحفاد فقد وجدنا أنفسنا في بيئة مقلوبة ، شرارهم هم علماؤها ، لا يرون في الوثام خيراً ، ولا في التسامح شرفاً وفضلاً ، ولا في الوحدة قوة وثباتاً ، فهؤلاء الفرقة من العلماء هم الذين أحدثوا الفتنة في هذه البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، فصبّ عليهم ربك سوط عذاب ، النقد والتجريح فيما غلوا فيه وتطرفوا ، أعني بذلك أن هؤلاء قد غلوا في حق الصحابة ، فرأوا فيهم العصمة وجردوهم من العيوب البشرية وأخلدوهم في مصاف الأنبياء والملائكة ، ثم غلوا في أمر الثوابت الدينية ، وأدخلوا فيها ما ليس منها ، ثم

(1) إبراهيم صالح الحسيني : العلماء والتوجيهات السياسية في نيجيريا ، ص 43 مكتبة الجندي القاهرة ، ط 1 .



جمدوا في ذلك قريحتهم ، وأخذوا يعتدون على توابع الثواب ويهدمونها هدماً كلياً أو تدريجياً ، ثم غلوا كذلك في تاريخ تدوين السنة النبوية ، وسووا بينها وبين تاريخ تدوين القرآن الكريم ، مع أن القرآن قد دُوِّن ثلاث مرات تدويناً رسمياً ، كان الأول في أيام النبي والثاني في أيام أبي بكر والثالث في أيام عثمان رضي الله عنهما ، أما السنة النبوية فإنها لم تدوّن كما عرفنا تدويناً رسمياً إلا بعد مئة وخمسين عاماً من وفاة النبي ﷺ ، أما رسائل النبي إلى الملوك وإلى الصحابة في أمر القيادة والزكاة والغزوات فإنها شيء آخر سوف نفيض عليها البيان إذا بلغ الكتاب أجله ، ثم غلوا كذلك في حق الصحيحين وتوابعهما الأربعة ، وسووا بينها وبين مكانة القرآن في حق التشريع والتنزيل ، ثم فعلوا أكبر من ذلك وقالوا بأن صحيح البخاري ليس فيه أحاديث ضعيفة ولا موضوعة ⁽¹⁾ مع أنه كتاب لا يخلو من أحاديث إسرائيلية وأقاصيص مختلقة .

قد فعلوا هذا كله بعدما آل إليهم زمام الأمور في العالم الإسلامي كله ، فكثّر القيل والقال ، ووضعوا للناس معتقدات غريبة خاصة لا تتفق مع مفاهيم إسلامية صحيحة ، مما عرفها علماؤنا القدامى وعملوا بها وماتوا عليها .

على هذا النحو كان هؤلاء العلماء الجدد يشكون فيما كان القدماء يرونه يقيناً ، وقد يجحدون ما أجمع الناس على أنه حق لا شك فيه ، وليس حظ هذا المذهب منتها عند هذا الحد ، بل هو يجاوزه إلى حدود أخرى أبعد منه مدى وأعظم أثراً ، فهم قد ينتهون إلى تكفير آبائهم وأجدادهم على أمور دينية ، قد أكل الدهر عليها وشرب ، فيتشدّدون في ذلك ، فيقبلون العلم القديم رأساً على عقب ، ويمحون شيئاً كثيراً منه إن لم يمحووا أكثره .

(1) راجع كتاب « عن صحيح البخاري » ص 21



قد فعلوا هذا كله حتى لا يستطيع رجل عادي أن يفرّق بين أمور الدين وسلوك التدين إذ خلطوا بينهما خلطاً عجيباً ، وبلغوا ما يريدون من الاختلاط بينهما أمداً بعيداً ، ثم بلغوا ما فوق ذلك من إثبات كيّانهم السلفي وإقامة دولتهم السلفية في أوساط أتباعهم من المسلمين .

أما عوام الناس فهم في هذا الأمر حيارى مضطربون ، وقد التبس عليهم الأمر ، كانوا لا يجيدون العلم ، فيمكن لهم أن يفرّقوا بين الحق والباطل ، ولا يجيدون الفهم فيمكن لهم أن يفهموا أن أمور الدين شيء وإدخال فيها سياسة التدين شيء آخر ، ولأجل هؤلاء من الناس نكتب ما نكتب ونفصّل ما نفصّل من قول وعمل ، ليحيا من حيٍّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، وما نحن بواصلين هذا البيان والتوضيح والتفصيل إلى أقصى الحدود ، إلا بعد كشف الغطاء عن أكاذيب الدكتور كاكوري في الدفاع عن صحيح البخاري في الفصل الآتي ، ذلك الدفاع الذي لا أراه إلا خدعةً وتضليلاً .





الفصل الثاني

صحيح البخاري بين مؤيديه ومعارضيه في المجتمع النيجيري

- أول من جاء بصحيح البخاري إلى المجتمع الإسلامي النيجيري
- صحيح البخاري بين المؤيدين والمعارضين
- في الصحيحين : البخاري ومسلم أحاديث موضوعة
- بعض أحاديث فضائل الصحابة موضوعة
- التعسف في تأويل الأحاديث
- تحريف الكلم عن مواضعه
- صحيح البخاري بين الدكتور كاكوري والشيخ الحريري



أول من جاء بصحيح البخاري في المجتمع الإسلامي النيجيري

قد قلت لكم من قبل إن من الخطأ الفاحش أن يعتقد الدكتور أن كتب الحديث لم تصل بكثير إلى علمائنا القدامي ، وأن مشاركتهم في علم الحديث أقل بكثير بمقارنتها بمؤلفاتهم في غيره ، ثم من الخطأ كذلك أن يعتقد أن علمائنا الجدد الوافدين من السعودية هم الذين قاموا بنشر علوم السنة من المصادر الصحيحة في جامعاتنا العصرية ، ولقد قال الدكتور هذا الرأي مخطئاً أو جاهلاً ، فقامت بتصويب هذا الرأي آنفاً بالإشارة إلى بعض مجهودات علمائنا القدامى في علم الحديث .

أما في هذا الفصل فأود أن أريه شيئاً آخر من مجهودات علمائنا القدامى ، يعني أريد أن أريه أول من جاء بكتاب صحيح البخاري في المجتمع الإسلامي النيجيري ، ثم أريه بعد ذلك المجهودات التي بذلها علماؤنا القدامى في درس ذلك الكتاب متناً وسنداً . ليعلم الدكتور وغيره من المتطاولين أن أولئك العلماء لم يكونوا كسالى ولا ضعاف العقول في العلم ، بل أفنوا أعمارهم في الدرس والتحصيل ، وبنوع خاص في درس صحيح البخاري ، ويعلمون كذلك أن كتاب البخاري لم يكن غريباً عند هؤلاء الأعلام ، ثم لم يكن فيهم من قصر في طلب علم الحديث متناً وسنداً ، لذلك نرى منهم من تخصص في دراسة السند إلى درجة الاجتهاد ، فمن الخير أن أنقل لكم الشواهد على ذلك من كتاب ألفه كاتب العصر الشيخ قريب الله بن محمد الناصر كبره ، وكان اسم الكتاب هو « الرسالة

الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة «صوكوتو» العاصمة العلية .
وفي ذلك يقول :

«من علماء القرن التاسع والعاشر الشيخ محمد زهر «ميكروغو» قديم الشيخ محمد زهر الشهير بـ «ولى ميكروغو» برزور ، وهي قرية بمدينة ففغينغ من أقاليم تونس ، واشتهرت القرية لتزاحم أهل الحديث فيها ، وهو فريد عهده في الحديث والإمام بأصوله والإدراك بأبوابه ، وهو أول من جاء بكتاب الشفاء للقاضي عياض والبخاري ، وكان يحفظ صحيح البخاري مع جميع أسانيده ، وهو صوفي تقي بل من أهل الصفا والنقا ، صبور على البلوى»⁽¹⁾

«ومن إسهاماته تأسيس دراسة الحديث وسائر الفنون بأسانيدها ، ودراسة الأسانيد والاهتمام بها قبل ذلك الوقت معدومة ، وهي عند فطاحل العلماء أهم من كل مهم ، وكانوا يقولون في ذلك : الأسانيد أنساب الكتب ، وقد ظهر لنا مدى تأثير ذلك في القرن الثاني إلى الثالث عشر ، حيث جمع الشيخ عثمان بن فودي المجدد جميع أسانيده ، ولم يترك شاذاً ولا فاذا ، وأسماءه أسانيد الفقير»⁽²⁾

«ومنهم الشيخ عبد الله الثقة الحافظ العلامة قديم من مالي ، وأخذ عن علماء أجلاء ، منهم الشيخ البكري الغزرغمي ، ولما سافر إلى فزان تضرع من مشايخها ، ثم تتلمذ أخيراً على يد الشيخ محمد زهرة التونسي الشهير بـ (ميكروغو)⁽³⁾

(1) الرسالة الجليلة ، ص 40 ، ط 1 .

(2) المرجع السابق ، ص ، 41 .

(3) المرجع السابق ، ص 42 .



ومن مناقبه أنه كعبة قصاد علم الحديث ، وكانت أسانيد علماء الحديث في بلادنا الحوسية تتصل به إن لم تكن تنتهي إليه ، وقد ازدحم ببابه الطلاب من شتى النواحي ، ووفدوا إليه من فج عميق ، حتى رثاه أحد أصحابه بقوله :

مدينة العلم عبد الله ثقة وفي التعداد خذ من بعده عمر

وكان يزوره الشيخ ابن الصباغ الكسناوي المعروف بـ «طن مرنا» للاستفادة منه ⁽¹⁾

هذا ما كتبه ثقة من علماء العصر ، وهذا ما قرأناه من تاريخ علماء السلف في هذه البلاد ، وجاء الدكتور عبد الرحمن في هذه الأيام ، وأخذ يقول شيئاً آخر ، لا يُصدِّقه فيه إلا غبيّ جاهل مثله ، وفي ذلك يقول :

« إن أولئك الأجداد من العلماء عنوا من كتب الحديث بأمثال كتاب «الترغيب والترهيب» و «إحياء علوم الدين» هذا ما وصل إليهم ، أما وصول أمثال «الموضوعات» «والآلي المصنوعات» «والعلل المتناهية» وغيرها من كتب تنقيح الغيث من الزبد من متون الحديث ، فقد تأخر وصولها إلى كثير منهم إن لم يكن قد غاب أكثرها عن أغلبهم ، فلذلك لم تجد أثراً إصلاحياً في قمع البدعة من جذورها» ⁽²⁾

وأنا أسأل الدكتور الآن : إذا كان علماؤنا القدامى لم يصلوا إلى هذه الكتب المذكورة فكيف بلغوا درجة الاجتهاد في علم الإسناد ، لأن جميع الكتب التي ذكرتها تتصل بعلم الإسناد أكثر مما تتصل بعلم المتن في علم الحديث؟ ثم إذا كان جميع الكتب التي وصلت إلى علماؤنا القدامى هي الكتب التي ملأت بالأحاديث الضعيفة ، فلماذا لم يذكر صحيح

(1) الرسالة الجلية ، ص 42

(2) عن صحيح البخاري ص 251 .



البخاري ومسلم أو الكتب الستة في ضمن الكتب التي عرفها أولئك العلماء العظام ، أم تظن أنهم جهلوا من عدم حصولهم على نسخة منها؟ أم أنهم لم يسعدوا في نظرك بدراسة كثير منها ، لذلك لم تذكرها من ضمن كتبهم العلمية . وإذا كان هذا هو وجهة نظرك فلماذا لُقّب الشيخ عبد الله بالثقة؟ ولماذا كان دهليزه كعبة قصاد علم الحديث في عصره؟ ثم إذا كانت كتب الحديث هي التي تقمع البدعة من جذورها كما تقول أنت ، فلماذا لم تستطع كتب الحديث المنتشرة في هذا اليوم أن تقمع البدعة من جذورها على رغم توفرها في المجتمع الإسلامي النيجيري اليوم . لأن البدعة لا تزال منتشرة في أنحاء بلادنا على ، رغم وجود أهل الحديث في جميع البلدان . وفوق هذا ما زالت أنواع الكفر والشرك والزندقة منتشرة في جنوب بلاد يوربا الحالية التي تسكن فيها أنت ، على رغم وجود ما لا يحصى منها إلا الله من أنواع كتب الحديث فيها مختصرة ومطوّلة؟

هذه التساؤلات هي التي تفرض نفسها عليّ وأقدّمها إلى جلالة الدكتور أن يطلب لها حلاً قبل أن يقع في هوة الطعن في إخوان النبي الذين هم ساداتنا وعلمائنا في هذه البلاد ! لكنّه لم يبحث ولم يسأل ولم يستعن بالشيخ محمد الثاني عمر ليمو الكنوي على أن يهديه إلى طريق الصواب في هذا الأمر ، بل كل ما يستطيع أن يفعل هو أن يقوم بالتصرف السلبي في تراث الأمة وتراث علماء قومه ! وأرى أن سبب هذا يعود إلى تأثره بأسلوب المستشرقين في جحود وإنكار تراث غيرهم ، إذن فلا عجب في أن يسلك الدكتور مسلك ساداته « فيلتمس اعتراض ولو يسير من قبل بعض العلماء المشهورين في المجال المنتقد ، فيؤولون الاعتراض ، ويضيفون إليه أكاذيب ويستنتجون منها نتائج باطلة »⁽¹⁾

(1) عن صحيح البخاري ، ص 248

هكذا قال هو عن المستشرق الغربي في كتابه ، وهكذا كان يفعل في كتابه - كالمستشرق السلفي الأفريقي - في تعمّد الانتحال والتقمص إلى حدٍّ بعيدٍ ، وفي هدم تراث علماء قومه من الذين لم ينتسبوا في نظره إلى أهل السنة والجماعة . وليس هذا الفصل هو مجال حديث الاستشراق السلفي ، وإنما أجّلته إلى ما يأتي من الفصول . أما الذي أود إثباته في هذا الفصل هو أن صحيح البخاري وغيره من الكتب الستة لم تكن غريبة عند علمائنا الأفارقة ، قبل ظهور الشيخ عثمان فودي بحركته الإصلاحية ، ثم إن هؤلاء العلماء لم يكونوا جهلاء متطفلين في علم الحديث ، لذلك نرى منهم من كلّ جهود الإمام البخاري في كتابه بتقاريط قيمة كالشيخ عبد الله الثقة⁽¹⁾ ومنهم من قام بتقريط صحيح البخاري نظماً كالشيخ عبد الله ابن فودي في كتابيه «سراج الجامع للبخاري» و «ضياء السند»⁽²⁾.

أما في قمع البدعة من جذورها فليس كتاب «إحياء السنة» فقط هو الذي ألفه الشيخ عثمان فودي في هذا الميدان كما يقول الدكتور في حديثه ، بل كان له تواليف أخرى في قمع البدعة من جذورها ، وأذكر لكم على سبيل المثال «حصن الأفهام من جيوش الأوهام» و «تميز أهل السنة وأنصار الرحمن» و «سوق الأمة إلى اتباع السنة» و «بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمّدية» و «تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان» و «عمدة العباد» و «عدّة الداعي إلى الدين» و «مسائل المعاملة» و «ترويح الأمة ببيان تيسير الملة» و «إرشاد أهل التفريط والإفراط إلى سواء الصراط» ومنها «سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان» و «أصول الولاية وشروطها» وفي هذا

(1) راجع ، الرسالة الجلية ، ص 40-42

(2) الثقافة العربية في نيجيريا ، ص 309-315 ، ط 2



الكتاب كان الشيخ عثمان يذكر أن الولاية إنما تكون بملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع ، ومنها كتابه «الفرق بين ولايات أهل الإسلام وبين أهل الكفر»⁽¹⁾

وقد أشرتُ إلى هذه المؤلفات القديمة وذكرتُ عناوينها حتى يعلم الدكتور وأمثاله أن أولئك العلماء المتقدمين قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقاموا بقمع البدعة من جذورها في زمانهم دعوة وتأليفاً وجهاداً ، فأسسوا الخلافة الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة ، وجئنا - نحن الأحفاد والذاري - في هذا اليوم ، وحاولنا إقامة الخلافة من جديد وإعادة مجدها التليد ففشلنا ، وما زلنا في برائن الفشل حتى الآن ، وجاء الدكتور الأفندي عميلاً سلفياً نائماً فأخذ يقول في قاعات الفصول عندما غلب النوم على عقله أن هؤلاء العلماء لم يقمعوا البدعة من جذورها ، أما هو الذي يقمع البدعة من جذورها فلا يزال متطفلاً يأخذ أجور الدرس من مؤسس الجامعة التي يعمل فيها ، ويأخذ أجور الدعوة من ملوك العرب في السعودية وغيرها ، ثم لا يحسن في الدعوة والجهاد شيئاً .

إنّ مثل هذه التصرفات العجيبة الصادرة من الدكتور وأمثاله هي التي أدت إلى إعادة النظر في صحيح البخاري في المجتمع النيجيري ، وقد يكون مصدر الخصومة حول البخاري وكتابه في بلاد العرب هو التسنن والتشيع أو الاستشراق والاستغراب كما يقولون ، أما في بلاد نيجيريا فلا التدخل للشيعية في هذا الأمر ، وإنما الغلو في تقديس صحيح البخاري ، والتطرف في الولاء وراء الإمام البخاري ، والتجند باسمه ضد علماء آخرين لم ينتسبوا إلى أهل السنة والجماعة ، هو السبب الحقيقي في

(1) راجع ذلك كله ، الثقافة العربية في نيجيريا. تحت عنوان «مؤلفات الشيخ عثمان ابن فودي» ص 286-302 ، ط 2 . دار الأمة جمهورية مصر العربية



انقسام علماء هذه البلاد إلى الفريقين ، بعضهم يؤيد كتاب صحيح البخاري في جميع متونه وأسانيده . وآخرون يعارضونه في بعض متونه ، ويقدحون في رواتها ، لما لاحظوا في تلك المتون من أحاديث ضعيفة وموضوعة لا تستطيع أن تثبت للنقد علماً ودرايةً . فظهر في آخر الأمر أن الذين يقذفون غيرهم بحجارة البدعة وحجارة الغلو والتطرف في الدين ، أخذ غيرهم يقذفونهم بأمثالها وأضعافها ، وبنوع خاص في صحيح البخاري الذي كان علماء السنة لا يعدلون في أمره ولا يقسطون .



صحيح البخاري بين المؤيدين والمعارضين

يقول الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام في مقدمة كتابه « عن صحيح البخاري » :

« فإنّ هذا الكتاب حوار بين الأخوين الزميلين الحبيبين - الشيخ آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني والدكتور عبد الرحمن بن أحمد الإمام - ألفَ الأول كتاباً في نحو 152 صفحة سمّاه « في صحيح البخاري » وهو في الحقيقة طعن صريح في كتب السنة بصفة عامة ، وفي الصحيحين على وجه خاصٍّ وهدم لصحيح البخاري على الوجه الأخص وجعل كتابه في أربعة كتبٍ ، وفي كلّ كتاب فصول ، وجعل كلّ آرائه في الكتابين الأولين ، وجعل الكتاب الثالث والرابع تكراراً لجلّ ما ورد في السابقين .

وألف الثاني كتاباً وسمّاه « عن صحيح البخاري » ونقل كلّ آرائه من السلف الصالح تصحيحاً لما بدر من الأول من الهفوات والله وليّ التوفيق والهداية ⁽¹⁾ »

ويقول الدكتور في موضع آخر من الكتاب :

أثيرت مشكلات وشبهات ضد صحيح البخاري والكتب الستة في أجيجي في مجالس رمضان 1437هـ - 2016م من مكان محترم لدى جميع مسلمي نيجيريا عامة ، وغربيها بخاصة ، وعلى الأخص كاتب السطور ، وكانت هذه الجلسات تبث على قناة تلفزيونية يومية طوال شهر رمضان ، فقام نخبة من طلبة العلم الشرعيين ، وكبار العلماء المحليين السنيين من

(1) راجع في ذلك كتاب « عن صحيح البخاري » ص 2

جميع بلاد يوربا بنيجيريا بالإجابة عن تلکم الشبهات ، وحلت تلك المشكلات بطريقة علمية موثقة ، وأدلة شرعية غير ملتوية ، لأنها على فهم الصحابة والسلف الصالح والله الحمد ، فظن الجميع أن الموضوع قد انتهى ، بأن قيض الله للسنة من ينافع عنها في كل مرة هوجمت أو انتقضت أو شوّهت»⁽¹⁾

«و وعد أخونا الشيخ آدم أن يشفي غليل الجميع بكتاب وعد بخروجه عن قريب يناقش الموضوع مناقشة علمية أكاديمية ، فكتب كتابه «في صحيح البخاري بحث ومراجعة» إلا أن الشيخ خيب آمال الجميع ، لأن محتوى هذا الكتاب أسوأ مما قيل في مجالس أغينى ، لأن ما قيل في المجالس بث على الهواء والإجابة أيضا على الهواء ، لكن الأخ آدم يحيى عمق الجرح وأنكى فاجتر ما قيل في مجالس أجيحى واستعاد الشبهات فسجلها مكتوبة»⁽²⁾

«فلو أن الأخ آدم يحيى من المستغربين الذين يكتبون ما يسمى بـ«البحث العلمي» في أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات النيجيرية وغيرها ، أو كان من جهلة الشباب الذين يتدربون على الكتابة وينشرون ما يسمى «بالكتاب» فيكتبون ما يضحك ويظنون أنهم يحسنون صنعا ، لما التفت إليه أحد ، كما حدث مع السنة والسنين في منطقتنا . فقد غضضنا الطرف عن ما يسمى بـ«كتب» ألفها شباب جهلة وعنونوا كتبهم بما يسىء إلى السنة وطلبة العلم بأسمائهم ، بل وبالتعرض لعرضهم بالشتائم واللعنات ، لكن والله الحمد لم يلتفت إليهم أحد منا ، ولا حتى قرأنا لهم غير العناوين ، وقد يتعجب أحيانا أنهم يرسلون إلينا مقالاتهم

(1) عن صحيح البخاري ، ص 10

(2) المرجع السابق ، ص 10

أو كتبهم فيضعونها تحت أبواب مكاتبنا في الجامعة ويزدادون غيظاً أننا لم نجب ، لأننا رأينا كما قال الشاهد النحوي :

ولقد أمر على اللّيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

فالشيخ آدم ليس مثل أولئك الباحثين ، ولا مثل هؤلاء الشباب المتهورين ، له مكانته في مجال اللغة العربية ، فلماذا مثله يكتب مثل « في صحيح البخاري » وما احتوى ويبقى مقروءاً للأجيال القادمة؟ ويشهد إماماً له أو عليه يوم القيامة داعياً الله له أن يقرأ سطوري هذه بصدر رحب وقلب سليم فيتراجع عن جميع ما أساء به تجاه الصحابة والثوابت الدينية ⁽¹⁾

ثم يقول في موضع آخر من الكتاب :

« وأقول لكل من يتهم أخي « آدم يحيى الفلاني » بالتشيع والاستشراق أنه ليس شيعياً ولا مستشرقاً ، وهذا ليس دفاعاً عن الزمالة والأخوة ، بل لما عرفنا منه أنه ليس شيعياً ولن يكون شيعياً في المستقبل إن شاء الله »

« » لكن رأينا في كتابه طعن « في صحيح البخاري » المذكور خيوطاً شيعية وشرائع استشراقية ، وكلاماً لم يسبقه إليه الشيعة والمستشرقون وإن كان لا يحيل إليهم ، وسيتبين للقارئ ما ذكرت ⁽²⁾.

على هذا النحو كان الدكتور يتحدث عن المؤيدين والمعارضين لكتاب صحيح البخاري في المجتمع النيجيري ، ويتحدث كما ترى عن موقفه من كتاب الصحيح ، ثم تجاوز الحدود في حديثه كما ستري ، فكذب عليّ ، وقال ما لم أقل ، وتحامل عليّ بكثير في تحريف كلامي عن مواضعه ،

(1) عن صحيح البخاري ، ص 11.

(2) المرجع السابق ص 19



فعل هذا كله كي يبلغ ما يريد في تشويه سمعتي واغتيال شخصيتي ، وهو لا يعلم أن ذلك لا يضرني ما دمتُ على الحق . أمّا الذي لا أستطيع أن أوافق عليه فهو ما يقوم به ضدي من كيد ومكر في كتابه ، حيث كان يتحدث عني في ذلك الكتاب ، ثم لا ينقل نصّ كلامي في مواضع الاستشهاد حرفاً بحرف ، كما أفعل أنا في هذا الكتاب ، حتى يستطيع القارئ أن يقف على من هو صادق أو كاذب في حديثه ، بل كان يؤول الاعتراض - كالمستشرق - ويضيف إليه الأكاذيب ويستنتج منها نتائج باطلة . هذا كما ترى غش أكاديمي وخيانة علمية . .

ومهما يكن من شيء فإنّ قصدنا في هذا الفصل ، وبنوع خاص في ما يمس كتاب صحيح البخاري هو ما يقرّه في كتابه أن علماء المسلمين قد أجمعوا قديماً وحديثاً على أن صحيح البخاري لا يوجد فيه حديث واحد موضوع ، وأنا أقرّ له في كتابي السابق وإلى هذه اللحظة أن في صحيح البخاري أحاديث إسرائيلية ، وهذه الإسرائيليات لم تكن أحاديث ضعيفة فحسب ، وإنما هي أحاديث موضوعة ، بلا شك ، وعلى هذه النقطة سوف نلتقي إن شاء الله في الفصل التالي ، لكن قبل ذلك يجب عليّ أن أنقل لكم موضعاً من كتابه يقرّ لنا حديث ذلك الإجماع ، وحديث براءة كتاب البخاري من الأحاديث الموضوعة ، وفي ذلك يقول :

« أجمع علماء السنة المسلمين قديماً وحديثاً . على أن صحيح البخاري لا يوجد فيه حديث واحد موضوع البتة - والسنة هنا بمعناها العام أي باستثناء الشيعة - واختلفوا في وجود نحو « بضعة » أحاديث ضعيفة فيه ، أي لم تبلغ عشرة

..... ومحور الخلاف في حوارنا هذا ، أو ملحوظاتنا على كتاب
 أخينا الشيخ آدم يحيى الفلاني هو « هل يوجد في صحيح البخاري حديث
 واحد موضوع؟ فضلا عن الأحاديث الموضوعة والسموم المبتوثة في
 صحيح البخاري ثم في الصحيحين مما يستدعي إلغاء الصحيحين
 وبالأولى الكتب الستة كلها أم الجانب المكذوب المتعارض منها مع العقل
 أو القرآن؟ »⁽¹⁾.



(1) عن صحيح البخاري ، ص 21



في صحيح البخاري ومسلم أحاديث موضوعة

لا أريد أن أثبت هذا الرأي بأقوال الشيعة ولا بأقوال المستشرقين ، وإنما أريد أن أثبته بحديث إمام من أئمة علماء السنة ، أعني بذلك حديث الإمام الحافظ ابن القيم الجوزية في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» وكان في الفصل الخامس من الكتاب سئل المؤلف عن إمكانية معرفة الحديث الموضوع بضابط دون أن ينظر في سنده ، فكان جواب الإمام هو مفتاح الفصل السادس ، حيث نبّه ابن القيم الجوزية إلى قواعد كلية وضوابط علمية يعرف بها الحديث الموضوع . ثم عرض تلك الضوابط العلمية عرضاً استغرق جلّ الكتاب مع إيراد أمثلة لكل ضابط من الأحاديث الموضوعة ، حتى استوفى نهاية الفصل التاسع والأربعين من الكتاب

على هذا النحو كان الإمام الحافظ ابن القيم يطبّق تلك الضوابط العلمية على بعض الأحاديث الصحيحة الأسانيد ، ويحكم على كثير منها بالوضع أو الضعف ، قام بهذا كلّه بمجرد النظر إلى متونها على حسب تلك المقاييس العلمية .

ومن أهم تلك الضوابط التي تقدح في متن الحديث دون النظر إلى سنده ، وإن كان ذلك السند صحيحاً هي :

أ- مخالفة الحديث لصريح القرآن أو السنة المتواترة مع عدم إمكان الجمع والتوثيق في ذلك كلّه .

ب - مخالفة الحديث لمقتضى العقل السليم بحيث لا يقبل التأويل ، ويلتحق به ما يدفعه المس والمشاهدة والعادة .



ج - مخالفة الحديث للحقائق العلمية الثابتة في الكون .

د - مخالفة الحديث للتاريخ الثابت ثبوتاً صحيحاً .⁽¹⁾

هذه هي أهم الضوابط العلمية التي ورد ذكرها في كتاب ابن القيم ، والتي أودّ أن أطبقها على بعض الأحاديث الصحيحة الأسانيد في صحيح البخاري ومسلم ، وخاصة « في باب ما ذكر عن بني إسرائيل » لأن كثيراً من هذه الإسرائيلية إذا وضعناها تحت مجهر هذه الضوابط ، فسرعان ما يكشف ما فيها من أمارات الوضع والاختلاق بلا خفاء .

وخذ لذلك مثلاً عشرة أحاديث إسرائيلية نقلت ثمانية منها في صحيح البخاري واثنين منها في صحيح مسلم وهي كالآتي : حديث الغار وحديث مسخ الفأر ، وحديث قاتل المئة نفس ، وحديث جريج الراهب ، وحديث الأعمى والأقرع والأبرص ، وحديث لطم موسى للملائكة ، وحديث سعي الحجارة بثوب موسى ، وحديث الرجل الذي أمر أولاده بحرقه ، وحديث قصة الملك الذي بعث غلامه ليتعلم السحر ، وحديث الرجل الذي استلف منه ألف دينار .

هذه هي بعض الإسرائيلية التي انتشرت في كتب الحديث عامة ، وفي الصحيحين على وجه خاص ، وكان علماء الحديث لا يرون بأساً في وجودها في الصحيحين ، إذ هي أحاديث صحيحة الأسانيد ، ومرفوعة إلى رسول الله ﷺ ، لذلك كانوا يدافعون عنها عندما يتعرضون لشرحها في مؤلفاتهم . وبعضهم قد بنوا عليها أحكام الدين⁽²⁾ بغض النظر عن ما في بعض متونها مما لا يقبله ديننا شرعاً وعقلاً ، وقد يتعسفون في التأويل

(1) راجع ذلك : المنار المنيف في الصحيح والضعيف المؤلف محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن قيم الجوزية . المحقق : يحيى بن عبد الله التمالي ، الطبعة الأولى ، مجمع الفقه الإسلامي بجدة سنة النشر 1428هـ

(2) مثل بناء شرعية التوسل بالأعمال الصالحة على نصّ « حديث الغار »



كعاداتهم ، فيقولون إنَّ هذا جائز ، مادام النبي يتحدَّث فيها عن شرع من قبلنا ، وكان حديثه فيها للعبرة والعظة ، أو للتعليم والتهديب ، هذا كله هو ما يقولون ، وهم ينسون في نفس الوقت القواعد الكلية والضوابط العلمية التي يجب أن يطبَّقوها على هذه الإسرائيليات ، كما فعل ابن قِيَم في معرفة الصحيح والوضع والضعيف . لكن قبل أن أقوم بهذه العملية التطبيقية يجب أن أستورد للقراء هذه الإسرائيليات كما وردت في الصحيحين : البخاري ومسلم . ثم يجب قبل ذلك أن أنقل للقارئ ما قال بعض العلماء عن هؤلاء الرواة الوضاعين للقصص وأثرهم في علم الحديث ، ولست بحاجة إلى ذلك إلا لتأييد ما نقول بأن هذه الأقاصيص الإسرائيلية يجب عرضها على ضوء القرآن قبل إثباتها في الأحاديث الصحيحة متنا وسنداً . وفي ذلك يقولون :

« فقد تولَّى مهمة الوعظ قصاص أكثرهم لا يخافون الله . ولا يهتمهم سوى أن يبيكي الناس في مجالسهم ، وأن يتواجدوا وأن يعجبوا بما يقولون ، فكانوا يضعون القصص المكذوبة وينسبونها إلى النبي ﷺ ، قال ابن قتيبة وهو يتكلم على الوجوه التي دخل منها الفساد على الحديث : « والوجه الثاني القصاص ؛ فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ويشيدون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القعود عند القصاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن نظر العقول ، أو كان رقيقاً يحزن القلب ، فإذا ذكر الجنة قال : فيها الحوار من مسك أو زعفران ، وعجيزتها ميل في ميل ، وبيبوء الله وليه قصرأ من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة ، في كل مقصورة سبعون ألف قبة ، فلا يزال هكذا في السبعين ألفاً لا يتحول عنها » .⁽¹⁾

(1) تأويل مختلف الحديث : ص 307

«ومن المؤسف أن هؤلاء القصاص - على جهلهم وجرأتهم في الكذب على الله ورسوله قد لقوا من العامة آذناً صاغية ، ولقي العلماء منهم عنثاً كبيراً حتى ليروي السيوطي في تحذير الخواص من أكاذيب القصاص : أن أحد هؤلاء القصاص جلس ببغداد ، فروى تفسير قوله تعالى ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ (الإسراء: 79) وزعم أن النبي ﷺ يجلس مع الله على عرشه ، فبلغ ذلك محمد بن جرير الطبري فغضب من ذلك ، وبالغ في إنكاره ، وكتب على باب داره « سبحان من ليس له أنيس ، ولا له على عرشه جليس » ، فثارت عليه عوام بغداد ورجموا بيته بالحجارة حتى استد بابَه بالحجارة وعلت عليه»⁽¹⁾.

أما القصص الإسرائيلية التي وردت في صحيح البخاري فهي كالآتي :

1- حديث الغار

2215 حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [ص :] ، قَالَ « خَرَجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ ، قَالَ : فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ ، فَقَالَ أَحَدُهُم : اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبُوكَانُ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ أُخْرِجُ فَأَرَعَى ، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالْحِلَابِ ، فَأَتِي بِهِ أَبُوي فَيَشْرَبَانِ ، ثُمَّ أُسْقِي الصَّبِيَّةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي ، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ ، قَالَ : فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا ، وَالصَّبِيَّةُ تَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلِي ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَائِبُهُمَا ، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ

(1) الإسلام والحضارة 559/2 .



ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ ، قَالَ : فَفَرَجَ عَنْهُمْ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ ، فَقَالَتْ : لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ ، فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا قَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَقْضِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَا فُرْجَةً ، قَالَ : فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرَقُ مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ ، وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اعْطِنِي حَقِّي ، فَقُلْتُ : انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا فَإِنَّهَا لَكَ ، فَقَالَ : أَتَسْتَهْزِئُ بِي؟ قَالَ : فَقُلْتُ : مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ، فَافْرُجْ عَنَا فَكُشِفَ عَنْهُمْ

2- حديث مسخ الفار

3305 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ ، عَنْ خَالِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَدْتُ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَدْرِي مَا فَعَلْتُ ، وَإِنِّي لَا أُرَاهَا إِلَّا الْفَارَ ، إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ ، قَالَ فَحَدَّثْتُ كَعْبًا فَقَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ لِي وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ مِرَارًا ، فَقُلْتُ : أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟



3- حديث قاتل المئة نفس

3470 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ النَّاجِي ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، فَقَتَلَهُ ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنَّتِ قَرْيَةٌ كَذَا وَكَذَا ، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ تَقْرَبِي ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ تَبَاعَدِي ، وَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ ، فَغُفِرَ لَهُ »

4- حديث جريج الراهب

2482 - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ يُصَلِّي ، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ ، فَدَعَتْهُ ، فَأَبَى أَنْ يُجِيبَهَا ، فَقَالَ : أُجِيبْهَا أَوْ أُصَلِّي ، ثُمَّ أَتَتْهُ فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجُوهَ الْمُؤْمِسَاتِ ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : لَأَفْتِنَنَّ جُرَيْجًا ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَكَلِمَتُهُ فَأَبَى ، فَأَتَتْ رَاعِيًا ، فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ ، فَأَتَوْهُ ، وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبَوْهُ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ ، فَقَالَ : مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ ؟ قَالَ الرَّاعِي ، قَالُوا : نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ : لَا ، إِلَّا مِنْ طِينٍ



5- حديث أبرص ، وأعمى ، وأقرع في بني إسرائيل

3464 - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا هَمَامٌ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ ، أَنَّ أَبَاهُ رِيرَةَ ، حَدَّثَهُ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ ، ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ ، أَخْبَرَنَا هَمَامٌ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَدَّثَهُ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : « إِنْ ثَلَاثَةٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : أBRصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى ، بَدَأَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَّبِلَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَاتَى الْأَبْرَصَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ ، فَأَعْطِي لَوْنًا حَسَنًا ، وَجِلْدًا حَسَنًا ، فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبِلُ ، - أَوْ قَالَ : الْبَقَرُ ، هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ : إِنْ الْأَبْرَصَ ، وَالْأَقْرَعَ ، قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : الْبَقَرُ - ، فَأَعْطِي نَاقَةً عَشْرَاءَ ، فَقَالَ : يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَآتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا ، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا ، قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ ، قَالَ : فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا ، وَقَالَ : يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا ، وَآتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الْغَنَمُ : فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا ، فَأَتَتْ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى



الأبرصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، تَقَطَّعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمِ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللُّونَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ [ص :] لَهُ : إِنْ الْحَقُّوq كَثِيرَةٌ ، قَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصِيرَكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصِيرَكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمِ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبْلُغُ يَهَا فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصْرِي ، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِي ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ

6- حديث لطم موسى للملائكة

339 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : « أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ ، فَقَالَ : أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ ، فَقُلْ لَهُ : يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ ، قَالَ : فَلَاآنَ ،



فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ

7- حديث سعي الحجارة بثوب موسى

3404 - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ ، عَنِ الْحَسَنِ ، وَمُحَمَّدٍ ، وَخِلَاسٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سِتِيرًا ، لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَا مِنْهُ ، فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا : مَا يَسْتَرُ هَذَا التَّسْتَرُ ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ : إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أَدْرَةٌ : وَإِمَّا آفَةٌ ، وَإِنْ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى ، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَعَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِذَا الْحَجَرُ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : ثَوْبِي حَجَرٌ ، ثَوْبِي حَجَرٌ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ ، وَقَامَ الْحَجَرُ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ ، فَوَاللَّهِ إِنْ بِالْحَجَرِ لَنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا

8- حديث الرجل الذي استلف منه ألف دينار

1498 - وَقَالَ اللَّيْثُ : حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ رَيْعَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ هُرْمُزٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنْ

بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَن يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا ، فَأَخَذَ خَشَبَةً ، فَفَقَرَهَا ، فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ ، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا

9- حديث قصة الملك الذي بعث غلامه ليتعلم السحر صحيح مسلم
3005 - حدثنا هدا بن خالد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله

دعوت الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه [ص] حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقتلوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنائتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنائته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام

ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرايت ما كنت [ص] تحذر قد والله نزل بك حذرک قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرمت النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق .

10- حديث رجل أمر أولاده بحرقه! صحيح مسلم

عن النبي ﷺ . أنه ذكر رجلاً ، فقال : ((لقد دخل رجل الجنة ما عمل خيراً قط ، كان رجلاً ممن كان قبلكم رَغَسَهُ (أعطاه) الله مالا وولداً ، أسرف على نفسه ، يسيء الظن بعمله ، لم يعمل من الخير شيئاً قط إلا التوحيد ، وإنه لَبِثَ حتى ذهب منه عمر ، وبقي عمر ، فعلم أنه لم يَبْتَثِر (يدخر) عند الله خيراً ، فلما حضرته الوفاة ، دعا [أوصى] بنيه [أهله] ، فقال : أي أب تعلموني؟ قالوا : خيرَه يا أبانا ؛ [أي أب كنت لكم؟] قالوا : خير أبٍ ، فقال : فهل أنتم مطيعي؟ قالوا : نعم ، قال : فإني لا أدع عند أحد منكم مالا هو مني إلا أخذته منه ، أو لتفعلن ما أمركم ، قال : فأخذ منهم ميثاقاً ورَّي ، فإني لم أعمل خيراً قط ، فإذا أنا مت فخذوني ، فأحرقوني بالنار ، حتى إذا كنت حمماً [فحمماً] ، فدقوني [اطحنوني - اسحقوني - اهرسوني بالمهراس] ، ثم اذرُوني : نصفني في البحر ، ونصفني في البر ، في يوم ريح عاصف ؛ لعلي أضل الله ، فوالله لئن قدر الله عليّ [لم يغفر لي] ، ليعذبني عذاباً لا يعذب به أحداً من خلقه ، ففعل أهله ذلك ، فأمر الله - عز وجل - الملائكة ، فتلقّت روحه ، قال الله - عز وجل - لكل شيء أخذ منه

شيئًا : أَدُّ ما أَخَذْتُ ، [فقال الله للأرض : أَدِّي ما أَخَذْتُ - أَمَرَ الله البر والبحر فجمعاه] ، قال الله : كُنْ ، فكان كَأَسْرَعَ من طَرْفَةِ العَيْنِ ، فإذا هو في قَبْضَةِ الله رجلٌ قائمٌ ، قال الله - عز وجل - : أي عبيدي ، ما حَمَلْتُكَ على ما صَنَعْتُ ، قال : خشيتك يا رَبُّ ، [أو فَرَقًا مِنْكَ] ، [ما فعلتُ إِلَّا من مَخَافَتِكَ] ؛ فما تلافاه أَنْ رَحِمَهُ الله ، ففَقَرَ له .

أ- مخالفة القصص الإسرائيلى الخيالى لنهج القصص القرآنى الحقيقى

إن مرادنا بهذا الضابط هو التأكد من كون قصص القرآن كله حقيقى لا خيالىً ، يمكن الاعتماد عليه في صدق التاريخ وصدق الواقع ، وكان يشتمل على قصص الأنبياء ، وما يتصل به من مراحل دعوتهم وتطورها ، وكذلك المعجزات التي أيدهم الله بها ، ثم ذكر عاقبة المؤمنين والمكذبين مثل قصص نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين .⁽¹⁾

وفي قصص القرآن ما يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص معلومة ومجهولة مثل قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وطالوت ، وجالوت ، وابني آدم ، وأهل الكهف ، وذو القرنين ، وقارون ، وأصحاب السبت ، ومريم وأصحاب الأخدود ، وأصحاب الفيل ونحوهم⁽²⁾

وفي هذا القصص أيضا ما يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ كغزوة بدر وأحد ، في سورة آل عمران ، وغزوة حنين وتبوك في التوبة وغزوة الأحزاب ، وآيات الهجرة والإسراء ونحو ذلك⁽³⁾

(1) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع قطان ، ص 317 ، ط. 3 ، مكتبة المعارف

للشروالتوزيع - الرياض

(2) المرجع السابق ، ص 317

(3) المرجع السابق ، ص 318

هذه هي أنواع القصص القرآني ، وهي حقيقية وواقعية ، لا مرأى في ذلك ، أما الإسرائيليات التي وردت في الصحيحين فهي خيالية مبتكرة لا حقيقة فيها ولا واقعية ، وقد ضربَ بها المثل للقيم الروحية والسلوكية ، وهذا هو ما جعل مولانا الشيخ آدم عبد الله الألوري يعلّق على هذه الإسرائيليات تعليقاً يكشف ما فيها من غموض وإيهام ، وفي ذلك يقول :

« إن قصة أصحاب الغار في نظري أشبه بشيء يضرب به المثل للتعليم والتهديب مثل الحكايات التي تعزي الحيوانات العجמות وضرب الأمثال كثير في القرآن والحديث ، لأن حمل قدح اللبن على يد رجل طول الليل حتى الفجر دون أن يسقط القدح من يده أو تأخذه سنة أو نوم ، مع تضاعفي الصبية عند قومه أمر فيه ما فيه من خرق العادة ، فكونها قصة خيالية أكثر من كونها واقعية ، كما أنّ في استثمار مال الأجير المتروك في يد المستأجر حتى بلغ رقماً خيالياً مع عدم اتفاق الطرفين على ذلك ، وعدم التأكد من رجوع الأجير إلى المستأجر فيه ما يستغرب وقوعه حقيقة⁽¹⁾

وقل مثل ذلك في قصة الرجل الذي استلف منه ألف دينار⁽²⁾، حيث أدخل المستدين ألف دينار وصحيفة في داخل الخشبة وألقاها في البحر إيماناً بأن المال سيصل إلى صاحبه ، فوصل إليه المال حقاً دون أن يخبره أحدٌ بما فعل المستدين من وضع المال في حفرة الخشب ، هذا غريب في منتهى الغرابة .

(1) راجع ذلك : كتاب توجيه الدعوة والدعاة ، ص 112 ، ط. 2 . مكتبة دار النور نيجيريا .
 (2) قد وضعتُ هذه القصة على طراز قصة موسى الذي ألقى في التابوت طفلاً ، مع أن هذا حقيقي ، لذلك ذكر فيها سبحانه وتعالى الأسماء والأشخاص ومكان وقوع الحادثة ، وهذه الأشياء غير موجودة في قصة استلاف ألف دينار

وقل مثل ذلك في حديث لطم موسى للملائكة وحديث سعي الحجارة بثوب موسى ، وحديث الأقرع والأعمى والأبرص ، وحديث جريج الراهب⁽¹⁾

فإن كلاً من هذه الأحاديث هي إسرائيلية بالطبع وهي خيالية لا حقيقة فيها ولا واقعية . وليس من شك أن النبي برىء من كل حديث لا حق فيه ولا صدق ، إذ من الواجب عليه أن يلتزم الحق والصدق في كل قول وعمل ، وفي كل وقت وساعة ، وهذا هو ما جعل الحق يقول عنه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: 3-4)

أمّا إذا قلنا إنّ هذه الإسرائيليات هي حق لا ريب فيها ، لأجل أسانيدھا الصحيحة ، فإن هذا القول يدلّ على أنّ الوحي خيالٌ ليس من الحق في شيء ، وحاش لله أن يكون الوحي خيالاً يستخدمه النبي في وضع القصص الإسرائيلية أو يلجأ إليه لبناء عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام الحق والصدق في الرواية والقصص ، والواقع أن محمد ﷺ نبيٌّ ورسولٌ لا أديب ولا فنان .

ب - مخالفة مضمون القصص الإسرائيلي لمقتضى العقل السليم

هذا هو ضابط آخر في التأكد من كون تلك الأحاديث الإسرائيلية موضوعة ، وهو مخالفة بعض مضمون القصص الإسرائيلي لمقتضى الشرع حيناً ولمقتضى العقل السليم أحياناً ، وخذ لذلك مثلاً حديث قاتل المئة نفس ، وكان هذا الحديث يقرّ لنا أن باب التوبة مفتوح إلى الأبد ، وخاصة لقاتل النفس الذي أناب إلى الله بالتوبة الصادقة ، لكن هل تلغي

(1) وليس في هذا الفصل نتحدث عن أثر عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج في وضع قصة جريج الراهب ، ويكفي أن نعلم هنا أنه يهودي رومي الأصل ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة



هذه التوبة أمر القصاص ، إذ ليس من شك أن قاتل النفس يجب أن يقتص منه حتى في شرع من قبلنا ، وخاصة من بني إسرائيل إذ كتبنا عليهم في التوراة كما في هذه الآية الآتية : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة: 45)

من هنا نعلم أن هذه القصة موضوعة ، لأنها تخالف الشرع وتخالف العقل السليم ، وهي تقرّ التوبة ولا تقرّ القصاص ، وتقرّ سلوكاً آخر لا يجوز الاقتداء به في الشرع والقانون ، وهو الجراءة على الاعتداء والقتل تعمداً ، دون التفات النظر والاستماع إلى صوت الضمير ، ولو في اللحظة ، وهذا عند الله أمر عظيم ، ولو أن ذلك العالم أشار إلى هذا المجرم بأن يقدم نفسه للقصاص عند أولياء المقتول ، ويقرّ بالقتل ، ويقول أنا القاتل وأنا بين أيديكم إن شئتم اقتلوني وإن شئتم خذوا الدية ، وإن شئتم اسمعوا ، فإذا تاب إلى الله بعد هذا ، فإن توبته تصح ، وما بينه وبين المقتول يكون الحكم فيه إلى الله يوم القيامة ، هذا كله لم يفعله بل كل ما فعله هو أن يطلب التوبة ويعيش بعد أن قتل مئات غيره . أين الضمير في هذا؟

وجملة القول هي أن النبي ﷺ لم يكن ليروي هذه القصة التي تخالف ما وضعه الله من الشرع ، وتخالف ما من الله به على الإنسان من العقل السليم .

ج - مخالفة القصص الإسرائيلي للتاريخ الثابت ثبوتاً صحيحاً

هذا ما قد حدث فعلاً في حديث مسخ الفار ، وهو حديث لم يصدقه القرآن ولم تصدّقه حقائق التاريخ ، وقد ورد في ذلك الحديث أن أمة من بني إسرائيل قد فُقدت ، فمتى فُقدت؟ وكيف فُقدت؟ ولماذا فُقدت؟ أسئلة

واجبة لم يوجد لها جواب في القرآن ولا في تاريخ بني إسرائيل ، أما ما ورد في القرآن من أمور المسخ فهو مسخ القردة والخنازير ، وهو الثابت في القرآن ثبوتاً تاريخياً صحيحاً ، حيث ذكر لنا سبحانه وتعالى في القرآن أن أصحاب السبت هم الذين تجاوزوا حدود الله ، إذ حرم عليهم الصيد في السبت ، فاحتالت طائفة منهم على الشرع واصطادوا ، فنكل الله تعالى بهم ، فمسخهم قردة ، وجعلهم عظة وعبرة للأولي الألباب . وفي ذلك يقول عز من قائل : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (البقرة: 65)

﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِمُشْرِكِينَ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: 60)

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمُ أَجْنَبَتِ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (الأعراف: 163-166)

هذه هي الآيات الواردة في مسخ القردة والخنازير ، وفي الحادثة التي أدت إلى ذلك فمتى حدث مسخ الفأر ، وأي حادثة أدت إليه؟ هذا السؤال هو ما لم نجد له جواباً في ذلك الحديث ثم هذا المسخ نفسه إذا وقع فعلاً كما يقول الحديث فلماذا كان للفأر الممسوخ عقبٌ ونسلٌ إلى زمن رسول الله ﷺ ، لأن ما ثبت علمياً ودينياً هو أن كل ممسوخ لا عقب له ولا نسل ، وإنما يعيش إلى ثلاثة أيام بعد المسخ ، أما هذه الفأرة

الممسوخة المشار إليها في الحديث فهي تشرب ألبان الشاء التي وُضِعَ لها ، وتأبى أن تشرب من ألبان الإبل التي قُدِّمَ إليها ، إذن هي فأرة حيّة لا هي هالكة ولا ممسوخة ، فهل أخطأ النبي في أمرها؟ .

أجاب الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح وقال : « وذكر عند النبي ﷺ القردة والخنازير فقال : إن الله لم يجعل للمسخر نسلًا ولا عقبا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك - كما في صحيح مسلم وغيره - وعلى هذا يحمل قوله ﷺ « لا أراها إلا الفأر ، وكأنه يظن ذلك ، ثم أعلم بأنها ليست هي »⁽¹⁾.

انظر إلى ابن حجر العسقلاني كيف تأدّب بحديث رسول الله ﷺ وهو يريد أن يجمع بين الحديثين المتعارضين ، ويرجّح فيهما واحداً أقرب إلى الحق والصواب ، ومع ذلك كان تأويله في هذا الحديث غير مقبول ، لأن هذا الحديث يخالف منهج القرآن في عدم ذكر أسباب مسخ الفأر ، ويخالف حقائق التاريخ في عدم ورود قصة هذا المسخ في تاريخ بني إسرائيل ، لا في القرآن ولا في التوراة والإنجيل ، ثم كان النبي لا ينطق عن الهوى ، حتى يُثبِت مسخ الفأر عقبا ونسلًا في حديث سابق ثم ينفيه في حديث آخر لاحق ، وهذا كله هو الذي يجعلنا نؤمن كل الإيمان أن هذا الحديث موضوع بلا شك!

د - مخالفة القصة الإسرائيلية للحقائق العلمية الثابتة :

كان النبي يُسَلِّي أصحابه المعذبين في مكة بقصة أصحاب الأخدود الواردة في سورة البروج ، وقد جاءه خباب ذات يوم يشكو إليه وهو متوسدٌ بردةً في ظل الكعبة « ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ ألا ترى ما بنا تعذيب كفار قريش قال : إن الرجل فيمن كان قبلكم يوضع المنشار ،

(1) راجع ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني .



فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ما يصدده ذلك عن دينه» هذه هي رواية البخاري أما في رواية المسلم فقد أضاف الرواة إلى هذه القصة شيئاً عجيباً ، أضافوا إليه الخيال العربي ، وهذا الخيال قد جدَّ وعمل وأثمر ، وكانت نتيجة جدّه وعمله وأثماره هي هذه القصة الطويلة التي رواها مسلم في صحيحه ، والتي تدور حول الملك والساحر والراهب والغلام المؤمن ثم تنتهي هذه القصة بأصحاب الأخدود ، وليس في هذا الفصل نقوم بتحليل هذه القصة وتفسيرها ، أمّا الذي ليس فيه شك فهو أن هذه القصة نصفها حقٌّ ونصفها باطلٌ ، والذي كان حقاً هو ما ورد في القرآن من قصة الأخدود ثم ما ورد في صحيح البخاري في تسليّة النبي أصحابه بقصة الرجل الذي شق قفاه بالمنشار ، ومع ذلك لم يرد عن دينه ، وبقصة أصحاب الأخدود الذين أُحرقوا بالنار ، ولم يرددوا على أدبارهم ، هذا هو الحق الذي ورد في الحديث ، أما ما ظهر فيه من الشبهات فقد بدأ فيما أضافوا إليه من ابتكارهم وخيالاتهم ، حيث ظهر فيه الوضع والتكلف ، وظهر بنوع خاص طابع إسرائيلي في وضع القصص الديني الخيالي ، وفوق هذا قد ظهر فيه ما يخالف الحقائق العلمية الثابتة أو المشاهدة اليومية المألوفة منها رجفة الجبل ومنها غرق السفينة ، وكان الراهب لا يزال في كلتا الحالتين مع الذين سقطوا من أعالي الجبل ، ومع الذين غرقوا في البحر ، فلم يسقط هو ولم يغرق ، بل كلّ ما فعله بعد ذلك هو أن يطلب من الملك صلبه على جذع نخلة ، فصُلِبَ في نهاية الأمر ، إنّ هذا لشيء عجاب .

وقد ظهر في هذه القصة أنها قصة التضحية بالنفس في سبيل الله ، لكنها مملوءة بخرق العادة والكرامات التي لانستطيع أن نصدّقها أو نكذبها ، بل كلّ ما في وسعنا أن نفعل هو أن نفوّض أمرها إلى الله ، ونعلّق عليه أخيراً ،



أننا لم نقرأ مثل هذه القصة في قصص الأنبياء الذي ورد في القرآن ، ثم هي خيالية غير واقعة ، ثم هي خارقة العادة غير المألوفة التي ترفضها الحقائق العلمية الثابتة . وهذا بالطبع هو ما جعله في نظرنا قصة موضوعة من أحد رواة الحديث ، لا أقل ولا أكثر .

وخلاصة القول هي أن هذه الإسرائيليات هي أحاديث موضوعة كما نقول ، حيث لم يقلها النبي ولم يروها عنه أصحابه ، وإن الذين رَووها هم رواة الحديث ، وأضافوها إلى أصحاب النبي متنا وسنداً ، وأنت تعلم أن كثيراً من هذه الإسرائيليات قد أُضيفت إلى أبي هريرة بكثير ، حيث كان رواة الحديث يلتقون بأبي هريرة بكثير ، فيحدثهم عن النبي ، ثم يحدثهم عن كعب الأحبار اليهودي ، ولم يلبث أن كانت بعض الأحاديث تختلط على الرواة كما يقول الإمام المسلم ، فيسندون حديث كعب إلى الرسول ، وحديث الرسول إلى كعب الأحبار⁽¹⁾ . أما علماء السنة فهم لا يريدون إقرار هذا الاختلاط على رواة الحديث وخاصة فيما يرويه جهابذة العلماء منهم مثل الإمام البخاري والإمام مسلم ، وما إلى هؤلاء من الذين تفوقوا في التمييز بين الصحيح والحسن ، وبين الضعيف والوضع ، مع أن هذا الاختلاط قد لا يقع عندهم في أثناء حياتهم ، ولكن من السهل جداً أن يقع التدسيس والاختلاط في كتبهم بعد مماتهم ، وخاصة في الوقت الذي كانت كتبهم مخطوطة غير مطبوعة ، فيتناقلها العلماء جيلاً بعد جيل ،

(1) فقد روى بكير بن الأشج قال : قال لنا بشر بن سعيد أنه قال : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب الأحبار ، ثم يقول فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب وحديث كعب عن رسول الله ﷺ .

راجع ذلك : الإسرائيليات في التفسير والحديث : الدكتور محمد حسين الذهبي ، ص 82 مكتبة وهبة القاهرة ط 5 ، 2004م.



فيكون هذا الاختلاط أو التدسيس أمراً ثابتاً لا يمكن لأحد أن يشك فيه أو يعارضه بجحود وإنكار .

أما نحن كالباحثين المحققين - نحتاط في مثل هذه القضية - قضية الاختلاط والتدسيس في الكتب المخطوطة القديمة - نحتاط احتياطاً بالغاً ، ونأخذ حذرنا كل الحذر من أن نقع في هوة قبول الاختلاط والتدسيس ، لذلك نحيد قيد شبر عن منهج العلماء القدامى في الاعتماد على المتن والسند فقط دون عرض كلٍّ منهما على محك النقد الصحيح ، وبنوعٍ خاصٍّ عرض الحديث متناً لا سنداً على تلك المقاييس التي وضعها الحافظ الإمام ابن قيم الجوزية ، والتي هي أصدق ميزان في معرفة الصحيح والوضع والضعيف ، ولا ينبئك مثل خبير .





بعض أحاديث فضائل الصحابة موضوعة

قد أشرتُ إلى هذه النقطة في الفصل الأول من كتابي السابق ، عندما أتحدث عن الأسباب التي أدت إلى وضع الأحاديث على لسان النبي ﷺ ، وقلت هناك إن الرواة من الشيعة وأهل السنة يستغلون ما بينهم من الخصومة السياسية والفرق الدينية في وضع روايات تؤيد مذهب كل منهما في العقيدة والسياسة ، وضربت لذلك مثلاً بحديث أبي موسى الأشعري الذي يبشر فيه النبي بعض أصحابه بدخول الجنة ، وجاء الدكتور وجماعته يعارضونني على هذا الرأي ، ويأتون بأحاديث أخرى تؤيد هذه البشارات ، كأنهم في ذلك ينكرون عليّ ما ذهبت إليه من تكذيب هذا الحديث ، ويقرون تنفيذ هذا الوضع في أحاديث الفضائل تفنيداً كلياً وبنوع خاص في صحيح البخاري ومسلم، وها أنا ذا أنقل لهم بياناً وتوضيحاً لهذا الرأي، من كتاب شيخنا الدكتور مصطفى السباعي ، ثم أنقل لكم بعد ذلك أمثلة عديدة من أحاديث الفضائل التي كانت موضوعة في الصحيحين الجليلين ، فاستمع إلى ما يقول الدكتور السباعي في كتابه « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي »

« كانت سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلودها من الكذب والوضع ، وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية ، بعد أن اتخذ الخلاف بين علي ومعاوية شكلاً حريئاً سالت به دماء وأزهقت منه أرواح ، وبعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف متعددة : فالجمهور مع عليّ في خلافه مع معاوية ، والخوارج ينقمون على عليّ ومعاوية معا بعد أن كانوا من شيعة عليّ

المتحمسين له ، وآل البيت ، وفي فريق منهم أخذوا بعد قتل عليّ « رضي الله عنه » وخلافة معاوية يطالبون بحقهم في الخلافة ، ويشقون عصا الطاعة على الدولة الأموية ، وهكذا كانت الأحداث السياسية سببا في انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب ، ومع الأسف أن هذا الانقسام اتخذ شكلاً دينياً كان له أبلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الإسلام ، فلقد حاول كلّ حزب أن يؤيد موقفه بالقرآن وبالسنة ، وطبيعي ألا يكونا مع كلّ حزب يؤيدانه في كلّ ما يدّعي ، فعمل بعض الأحزاب على أن يتأولوا القرآن على غير حقيقته ، وأن يحملوا نصوص السنة ما لا تتحمّله ، وأن يضع بعضهم على لسان الرسول أحاديث تؤيد دعواه ، بعد أن عزّ عليهم مثل ذلك في القرآن لحفظه وتوفر المسلمين على روايته وتلاوته ، ومن هنا كان وضع الحديث واختلاط الصحيح منه بالموضوع .

وأول معنى طرّقه الوضّاع في الحديث هو فضائل الأشخاص ، فقد وضعوا الأحاديث الكثيرة في فضل أئمتهم ورؤساء أحزابهم ، ويقال : إن أول من فعل ذلك الشيعة على اختلاف طوائفهم ، كما قال ابن الحديد في شرح نهج البلاغة :

اعلم أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة إلخ وقد قابل جهلة أهل السنة بالوضع أيضاً⁽¹⁾.

ثم انتقل الدكتور السباعي من ذلك فأخذ يذكر البواعث التي أدت إلى الوضع والبيئات التي نشأ فيها ، ثم ذكر لنا في نهاية هذا الفصل أن تساهل الخلفاء ، والأمراء مع الوضعيين من أثر سيئ جرّ على الدين كثيرا من البلاء⁽²⁾.

(1) منقول من كتاب « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي » ص 79 ، ط. 6 ، 2012م دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع مصر.

(2) المرجع السابق ، ص 90

وأن هذا التساهل مما يحاسب الله عليها هؤلاء الخلفاء إن صحت عنهم تلك الروايات . إذ لا يوجد منهم من فعل بالوضاعين والكذابين مثل ما فعلوا بالزنادقة والملحدين ، ثم قال بأن هؤلاء الخلفاء ما فعلوا بالزنادقة ما فعلوا إلا مقاومة وترهيباً لمن أراد الخروج على حكمهم وطاعتهم ، لأنهم يقومون بذلك درءاً للفساد في أمور الدين ⁽¹⁾.

على هذا النحو كان الدكتور السباعي يتحدث عن الوضع وأسبابه ، ثم يتحدث بعد ذلك عن جهود العلماء لمقاومة حركة الوضع في العصرين : الأموي والعباسي ، وفي هذا الحديث بالذات كان يذكر علامات الوضع متناً وسنداً ، وإن كان هو لم يستطع أن يطبق هذه العلامات على الصحيحين : البخاري ومسلم ، وظهر في نهاية الأمر أنه قد سار سير ابن خلدون في كتابه « المقدمة » حيث أصاب في وضع قواعد البحث في المنهج التاريخي ، وأخطأ عندما حاول تطبيق هذه القواعد العلمية على كتابه « العبر » الكبير ⁽²⁾. وهذا هو الذي حدث فعلاً عندما يتكلم السباعي في موضع آخر من الكتاب عن جهود العلماء القدامى في مكافحة الأحاديث الموضوعة ، وكيفية التمييز بين ما صحّ في أحاديث الفضائل وما ضَعُفَ منها أو ما وُضِعَ ، ذكر هذا كله دون أن يشير إلى حديث واحد موضوع في هذا الباب من أحاديث الفضائل الواردة في البخاري ومسلم وفي ذلك يقول :

« فورود أحاديث صحيحة ثابتة في فضائل بعض الأشخاص والبلدان والقبائل ، لا يمنع من وجود أحاديث مكذوبة في ذلك أيضاً ، وشأن العالم المنصف في مثل هذه الحالة ألا يسارع إلى تصديق هذه الأحاديث كلها ، ولا إلى تكذيبها كلها ، لا يحمله وجود الكذب فيها على أن يكذب

(1) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 90

(2) راجع « حديث الأربعاء » دكتور طه حسين ، 56/2



جميعها ، ولا وجود الصحيح فيها على أن يسلم بجميعها وللعلماء طرق في معرفة الثابت من المكذوبة ، وهي نقد السند والمتن معا ، فما ثبت بعد البحث صحة سنده ومنتنه ، حكمنا بصحته ، وما لا فلا . هذا هو الطريق المعقول في مثل هذه الحالات ، وهذا هو الذي فعله أئمتنا حين واجهتهم تلك الكثرة الهائلة من الأحاديث بما فيها من أحاديث الفضائل ، وقد ثبت منها بعد البحث والتمحيص طائفة كبيرة أثبتتها الأئمة في مصنفاتهم ، فالإمام البخاري مثلاً وكتابه أصح كتب الحديث وأدقها وأكثرها تشدداً - باعتراف صاحب فجر الإسلام - أفرد في صحيحه أبواباً متعددة ، أثبت فيها ما صحّ عنده من فضائل المهاجرين والأنصار وفضائل رجال بأسمائهم من الفريقين ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسعد وأبي ومعاذ وكثير من أعيان الصحابة ، كما أثبت أحاديث متعددة في فضائل مكة والمدينة واليمن والشام وغيرها ، وأحاديث في فضائل قبائل مختلفة كقريش ومزينة وجهينة ، ومثل ذلك صحّ لدى أئمة الحديث كأحمد ومسلم والترمذي وغيرهم ، وفي الوقت نفسه بينوا الأحاديث الموضوعة في ذلك وكشفوا حال رواتها ونقدوها نقداً دقيقاً ، وبينوا الباعث على وضعها من رجال وأحوال⁽¹⁾

وهاك نماذج من الأحاديث الموضوعة الواردة في فضائل الصحابة من كتاب الصحيحين :

3734 - حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبادٍ يَحْيَى ابْنُ عَبادٍ ، حَدَّثَنَا المَاجِشُونُ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ ، قَالَ : نَظَرَ ابْنُ عَمَرَ يَوْمًا ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، إِلَى رَجُلٍ يَسْحَبُ ثِيَابَهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : انْظُرْ مَنْ هَذَا؟ لَيْتَ هَذَا عِنْدِي ، قَالَ لَهُ إِنْسَانٌ : أَمَّا

(1) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 238 ، 239

تَعْرِفُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ أُسَامَةَ ، قَالَ : فَطَاطَأَ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ ، وَتَقَرَّرَ بِيَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأَحَبَّهُ . هذه الرواية من صحيح البخاري

وسألنا في هذا الحديث هو كيف كان ابن عمر يظن أن النبي سيجب من يسحب ثيابه في ناحية من المسجد؟ بعد أن منع النبي ابن عمر نفسه من استرخاء إزاره ، في حديث آخر رواه ابن عمر حيث يقول : « مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء فقال : « يا عبد الله ارفع إزارك فرفعته ، ثم قال : « زد » فما أتحرأها بعد ، فقال بعض القوم : إلى أين؟ فقال : أنصاف الساقين . « ألم تر كيف ظهر التناقض بين هذين الحديثين؟ فأولهما يثبت سحب الثياب وثانيهما يمنع سحب الثياب ، وليس من شك في أن سحب الثياب من أخلاق الخيلاء التي لا يمكن للنبي أن يقرَّ محمد بن أسامة عليه ، من هنا ظهر الوضع والتكلف في ذلك الحديث ، وقد يقول بعض علماء السنة كعادتهم إن حديث سحب الثياب قد وقع قبل أن يمنع ابن عمر عن استرخاء ثيابه ، وأنا أسأل هؤلاء متى كان النبي يحب ثوب الخيلاء؟ وإذا كان النبي لا يحب ثوب الخيلاء في فترة من حياته ، هذا يدل أنه مع الذين يتواضعون في زينتهم ، ليس مع الذين يتكبرون ويسحبون ثيابهم على الأرض .

- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، أَخْبَرَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ خَالِدِ الْحَذَاءِ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ « عَائِشَةُ » قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ « أَبُوهُمَا قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : « عمر؟ قَالَ فَعَدَّ رَجُلًا ، فَسَكَتَ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ . هذه الرواية في صحيح البخاري



في هذا الحديث ، كان النبي لا يذكر السيِّدة خديجة عندما سأله سائلٌ من هي أحبُّ إليه من النساء ، مع أننا قرأنا في رواية أخرى أُسْنِدَتْ إلى عائشة التي ذكرها النبي في هذا الحديث أنها أحب النساء إليه ، صرحت عائشة في هذه الرواية الآتية أنها ما غرت على أحد من نساء النبي كما تَغِيرُ على خديجة ، وما لقيتها ولكن كان النبي يكثر ذكرها ، ولما أرادت هي أن تمنع النبي من هذا الذكر وكثرته ، قال لها النبي « إنها كانت وكانت وكان لي منها ولدٌ » إذن أيتهما أحب إليه؟ التي ماتت ولا يزال يذكرها ويدافع عنها ، أم التي لا تزال حيَّة وهو يهاجمها على غيرتها ونكران حبه للتي ماتت قبلها؟ يجب أن أنقل لك هذه الرواية كما وردت في صحيح البخاري أيضا :

3818 - حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَسَنٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا حَفْصٌ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : مَا غَرْتُ [ص : 39] عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْثُرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ ، وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ

هذا الحديث هو الذي يعارض ما قبله ويجعله في موضع الشك والريب ، وليس من بأس أن يقارن القارئ بينهما ويرجح ما هو أقرب منهما إلى الحق والصواب ، لكن ما أنا أو من به حقاً هو أنه لا يستطيع أن يصدِّق كليهما في وقت واحد ، لأن أحدهما يكون صدقاً وآخر يكون كذباً ، هذا هو الحق الذي لا جدال فيه .

وهناك حديث آخر في صحيح مسلم أود أن أنقله نقلاً دون أن أعلِّق عليه ، لأنني أرى أنه لا يحتاج إلى التعليق قبل إثبات ما فيه من طابع إسرائيليٍّ وما فيه من وضع وتكلف ، وهذا الحديث موجود في باب

فضائل أبي بكر في صحيح مسلم وهو حديث تتكلم فيه البقرة ويتكلم فيه الذئب ، وهو كاللآتي :

(2388) حدثني أبو طاهر أحمد بن عمرو بن سرح وحرملة بن يحيى قالا : أخبرنا ابن وهب أخبرني يوسف عن ابن شهاب حدثني سعيد ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها ، التفتت إليه البقرة فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني إنما خلقت للحرث ، فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعا أبقرةً تكلم ، فقال رسول الله ﷺ فإني أؤمن به وأبوبكر وعمر قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ بينا راع في غنمه عدى عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه فالتفت إليه الذئب ، فقال له من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري ، فقال الناس : سبحان الله ، فقال رسول الله ﷺ فإني أؤمن بذلك أنا وأبو وعمر .

وبعد ، فأود أن أنقل أحاديث أخرى من كتاب الفضائل ، وفيه ما فيه من المواقف التي تدعو إلى الروية والأناة قبل إثباتها أو نفيها من الأحاديث النبوية ، ولكنني لا أريد أن أقف موقف الهادم في التراث النبوي كما يظن بعض الناس ، وإنما أريد أن أكون منقحا ومهذباً ومشيراً إلى مواطن الخلل التي تحتاج إلى التنقيح والتهذيب ، حتى يدركها علماء الأمة عندما أرادوا أن يقوموا بواجبهم في علوم الحديث .

أما الآن فينبغي أن أنتقل من حديث الوضع إلى حديث آخر كان أشد تأثيراً في علم الحديث ، وهو التعسف في تأويل الأحاديث النبوية عند علماء السنة والجماعة ، فمثل هذا الموضوع لابد منه ! .





التعسف في تأويل الأحاديث

يجب أن نتحدث عن التعسف في التأويل ، ذلك عندما نبحث عن الأمور التي أفسدت كتب السنة قديماً وحديثاً ، ويجب أن نتحدث بنوعٍ خاص عن شراح الحديث وما أسهموا في التعسف عند تأويل الأحاديث النبوية في مؤلفاتهم ، ومن الحق أن هؤلاء الشراح من علماء الحديث متفاوتون في شرح الأحاديث ، منهم من قام في تفسير الأحاديث بتحفظ واعتدال ، ومنهم من أفرط في هذا النوع من الشرح ، وتجاوز الحدود إلى التعسف في التأويل ، حيث حملوا بعض متون الأحاديث على معانٍ لا يستسيغها إلا بسطاء من الناس ، أما المفكرون منهم فهم لا يرون في مثل هذه التأويلات الباطلة إلا عبثاً بعقول الناس ، واستحواذاً على أرواحهم .

وليس من شك أن صاحبنا الدكتور قد تأثر بكثير في كتابه بأولئك المفرطين الذين يتجاوزون الحدود في تأويل الأحاديث ، ويتعسفون في التأويل ، لذلك نرى من الواجب علينا أن نقف وقفة قصيرة أو طويلة في جملة من الأحاديث التي تكلف الدكتور في شرحها ، وخرج هذا الشرح عن المعقول .

أ- حديث القتال :

عن ابن عمر « أن رسول الله ﷺ قال : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » متفق عليه .



يقول الدكتور في كتابه :

« سوف ندرس معاني ثلاث كلمات هي محل النزاع «أقاتل» «الناس» فالمعنى عند المستشرقين ومن معهم من المسلمين المعارضين «أمرني الله أن أقتل جميع الناس بدون استثناء» والمعنى عندنا «أمرني الله أن أجاهد في دعوة الناس ، وهذه المجاهدة أحيانا قد تؤدي إلى القتال ، وأحيانا قد تكون سليمة»⁽¹⁾

ثم أخذ الدكتور يشرح هذه الكلمات الثلاث ، وقال في الكلمة الثانية «أقاتل» :

« من الكلمة المشتبهة عليهم في الحديث «أقاتل» فسرها المستشرقون ومن أخذ بقولهم من المسلمين بأنها «قتل» لكنني راجعت ما وقع تحت يدي من مصادر علم الصرف ، وكذلك تفاسير اللغويين سواء البصريون منهم أم الكوفيون أم البغداديون أم المتأخرون ، والمعاجم اللغوية ثم بحث في القواميس المتخصصة لغرائب الحديث فقط فإنني لم أجد من فسر المقاتلة بالقتل»⁽²⁾

هنا محل النزاع عندي ، حيث يقول إنه لم يجد من فسر المقاتلة بالقتل في جميع الكتب اللغوية التي نظر إليها ، وأنا أقول له الآن بأن تفسير كلمة «المقاتلة» بالقتل في هذا الحديث لا يحتاج إلى الكتب اللغوية وإنما يحتاج إلى الكتب البلاغية ، وعلى وجه خاص يحتاج هذا النوع من التفسير البلاغي إلى علم البيان ، لأن في متن الحديث قرينة بلاغية تفيد إقرار معنى «المقاتلة» بالقتل ، وهو قول النبي الوارد فيه «وإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام» هنا نفهم أن إراقة الدماء

(1) عن صحيح البخاري ، ص 75

(2) المرجع السابق ، ص 77

لا تكون إلا بالقتل والجهاد ، وهذه القرينة كما ترى مانعة من إرادة المعنى الأصلي في كلمة «المقاتلة» إذن هي كلمة مجازية .

هذا كله هو ما لا يفهمه الدكتور النحوي فأخذ يتكلف في تأويل معنى الحديث تكلفاً ظاهراً ، ثم يقول بعدما أورد آيات قرآنية تحت على الجهاد وقتل المشركين :

« ما الفرق بين هذه الآيات والحديث » أمرت أن أقاتل الناس « أوردت لك هذه الآيات ، لأنك تطمئن إليها أكثر من نصوص الحديث ، وأيقنت أن إيمانك أنت يزجرك أن تنحى منحاهم في حمل هذه الآيات على محمل غير مرضى مما حملوا عليه الحديث بأنها نصوص تحرّض على الإرهاب⁽¹⁾ »

هذه هي نقطة أخرى هامة ، حيث لا يرى الدكتور الفرق بين آيات الجهاد وحديث القتال ، أما نحن فقد لاحظنا الفرق بينهما ، وخاصة في وجود آيات القرآن التي تتحدث عن الأسباب التي أدت إلى القتال والجهاد ، وأهم هذه الأسباب هو الدفاع عن النفس والدين والعرض والمال والوطن ، ومثل هذا الدفاع أمر لا مندوحة عنه ، وليس من شك أن النبي ﷺ ليس هو الذي بدأ القتال بالمشركين وإنما هم الذين أخرجوه وقومه من ديارهم ، ويذيقونهم ألواناً من العذاب ، فعلوا هذا كله قبل أن يأذن الله للنبي والمؤمنين بالهجرة أولاً ثم بالدفاع عن أنفسهم ثانياً . ومعنى هذا هو أن جميع الآيات الواردة في قتل المشركين قد نزلت بعدما كانت الحرب لازماً بين الفريقين ، وبعدها كانت الاعتداءات كثيرة من جهة المشركين ، لذلك نرى أن هذا النوع من القتال ليس من الإرهاب في شيء ، أما في ذلك

(1) عن صحيح البخاري ، ص 78 ، 79

الحديث ، أعني بذلك حديث «أمرت» فلا يوجد شيء من ذلك ، لا ذكر لسبب القتال في ذلك الحديث ولا وجود لصيغة الدفاع فيه .

هذا الفرق الكبير بين نصّ الحديث ونصوص القرآن هو ما لا يلاحظه الدكتور فأدى به إلى الاختلاط في الأمور ، والتعسف في تأويل الأحاديث . ثم يقولون في موضع آخر من الكتاب بأنني أنكر الجهاد بناء على نقدي لمعنى هذا الحديث فهي رمية من غير رام ، وليس هناك مسلم حقيقي ينكر الجهاد في أمور الدين أو ينكر الشروط التي لأجلها فرض الله الجهاد ، لذلك لا أرى هذه التهمة إلا كذباً وافتراء . أما الذي أنكره في هؤلاء الغلاة فهو الدعوة إلى الجهاد أو القيام به دون مراعاة شروط الجهاد ومراعاة البيئة والأوضاع وما إلى ذلك ، مما تؤدي إلى النجاح في الجهاد أو الفشل .

ب - حديث الرجم :

ثم كانت أحاديث الرجم ، وهي مسألة أخرى لا يزال العلماء يختلفون عليها إثباتاً ونفياً . وكان سيدي الدكتور من أهل الإثبات الذين يؤمنون كل الإيمان أنّ الأحاديث النبوية التي وردت في الرجم هي صحيحة ، أما أنا فلا أزال مع أهل النفي الذين لا يرون في تلك الأحاديث حقاً وصدقاً ، وهي أحاديث موضوعة كما أقول لما فيها من روائح يهودية إسرائيلية ، ثم كانت آية الرجم فهي غير موجودة في القرآن ، بل كلّ ما في القرآن هو آية الجلد التي نسخت ما فيه من قبل من آية الحبس في البيوت ، وجاء الدكتور فهو يعلّق على هذا الرأي في كتابه ، وفي ذلك يقول :

«زعم في ملحق الكتاب أن الرجم يغلق باب التوبة لأنه إزهاق روح بخلاف الجلد الذي يفتح باب التوبة للمجلود»⁽¹⁾

(1) عن صحيح البخاري ، ص 186

«الجواب : أنَّ الرجم لا يغلق باب التوبة لأنه لا يحدث غالباً إلا بعد الإقرار . فحدوثه بأربعة شهود صعب إن لم يكن مستحيلاً»⁽¹⁾

وأنا أسأل سيدي الدكتور الآن من جديد إذا رجم الزاني أو الزانية ، وكان رجمه هو نوعٌ من التوبة كما يقول هو ، فكيف يقوم هذا الرجل العاصي بالعمل الصالح الذي ذكرته الآية بعد التوبة ، إذ ما يقول الحق عز من قائل هو ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (الفرقان: 71) من هنا نفهم أنَّ الجلد هو الذي فتح باب العمل الصالح بعد التوبة ، أمّا إذا رجمَ فقد يتوب بعقوبة الرجم على تأويل الدكتور لكن لا يستطيع أن يقوم بالعمل الصالح الذي أراد الحق منه ، فيمكن بعد ذلك أن يبدل الله سيئاته حسناتٍ كما قالت الآية ، وكان الله غفوراً رحيمًا .

ثم يتكلم الدكتور - فيما سبق - عن الإقرار أو الشهود قبل تنفيذ حكم الرجم ، وأنا أسأله الآن من جديد . أين صيغة الإقرار والاعتراف من الزنا أو من الشهداء في هذا الحديث الآتي قبل أن يأمر النبي بالرجم .

«عن ابن عمر أنه قال : إنَّ اليهود جاؤوا إلى النبي فذكروا له أنَّ رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ « ما تجدون في التوراة في شأن الزنى ، فقالوا : نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام : كذبتُم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة ، فنشروها فجعل أحدهم يده على آية الرجم ، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يديك ، فرفعها فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد ، فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما ، قال عبد الله بن عمر فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة»⁽²⁾

(1) عن صحيح البخاري ، ص 186

(2) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا.

هذا الحديث فيه دليل على أن آية الرجم هي في التوراة لا في القرآن ، وأن النبي قد بنى حكم الرجم على نصّ التوراة لا على نصّ القرآن ، لأنّ الزاني والزانية يهوديّان وليسا مسلميّين ، ثم بعد ذلك أين صيغة الاعتراف من الزاني أو الزانية في هذا الحديث ، وأين الإقرار بالرؤية والشهادة من الشهود قبل إصدار حكم الرجم من النبي؟

على هذا النحو من التعسف في التأويل كان الدكتور ينحو في كتابه . ويأتي بتفسيرات متكلفة لا مبرر لها . ويقوم بشرح كلّ حديث الرجم على طريقة تثير أسئلة عديدة لم نجد لها حلوّاً في كتابه ، وخذ لذلك مثلاً حديث عمر الذي صرّح فيه أنه قد رجم في عهده ورجم أبوبكر كذلك ، وطلبنا منه أن يقيم على ذلك دليلاً في سيرة أبي بكر وعمر ، متى رجما؟ ومن الذي رجماه؟ فعجز الدكتور عن إثبات الدليل وكلّ ما قال هو : أما عدم إقامة عمر حدّ الرجم في خلافته فإن ثبت فإن ذلك لا يعني إنكاره ، لأن روايته أي حديث الرجم ثابت⁽¹⁾ وقل مثل ذلك في حديث عليّ رضي الله عنه ، الذي جمع بين الجلد والرجم وقال « جلدتها بكتاب الله عزّ وجلّ ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ » . قال الدكتور معلّقاً على هذا الحديث « بأن هذا الحكم اجتهاد من عليّ وهو مخالف لما ثبت بالتواتر عن النبي قولاً وعملاً لأنه لا يجمع بين الجلد والرجم في خبر صحيح بل اكتفى عنه⁽²⁾ » ثم جاء برأي آخر يناقض الرأي الأوّل وقال : وقد حمل فعل عليّ رضي الله عنه على أنّه لم يثبت عنده الإحصان إلا بعد الجلد فأخبر أولاً بأنّها بكر فجعلها ثم أخبر بأنّها محصنة أي متزوجة فرجمها⁽³⁾

(1) عن صحيح البخاري ، ص 181

(2) المرجع السابق ، ص 182

(3) المغني 313/12 ، فتح الباري 139/12 .

انظر إلى هذه التناقضات الظاهرة في هذه الشروح المتأولة أليس من الخير أن أثبت للدكتور - إن كان كل ما يقال عن عليّ صحيحاً - أن الإمام علياً لم يبحث في هذه القضية جيداً قبل إصدار حكمه ، ولو قام بالبحث كما ينبغي لما يحكم في قضية واحدة مرتين ، وهذا بلا شك خطأ كبير . وقبل أن أختتم هذا الموضوع يجب أن أنقل للقارئ ما قال الأستاذ إبراهيم الأبياري في صدد حديث عمر بن الخطاب الذي يقول فيه :

«لولا أكره أن يقول الناس قد زاد في القرآن ما ليس فيه لكتبتُ آية الرجم وأثبتها ، فوالله لقد قرأناها على رسول الله ﷺ لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم ، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، والله عزيز حكيم»

فقال الأستاذ الأبياري معلقاً على هذا الحديث :

«وأحسب أن عمر لو صحّ هذا عنه ، وأنه سمعها عن الرسول ما تخلف عن إن يكتبها ، ثم ألم يسمعها عمر مع غيره فيجعل منه شاهداً معه ، إن كان عمر لا يرى أنه وحده مجزئ ، اللهم إن هذا ينقض علينا ذاك التحري في الجمع الذي قام به الصحابة رسمياً ، وينقض علينا تلك المعارضات التي كانت تتم بين الرسول والقارئ ، وينقض علينا التفكير السليم ، وما نحبّ لمن يعالج ما يتصل بكتاب الله إلا أن يكون ذا تفكير سليم»⁽¹⁾

ج - حديث رجم القردة الزانية

عن عمرو بن ميمون قال : (رأيت في الجاهليّة قردةً اجتمع عليها قردةٌ ، قد زنت ، فرجموها ، فرجمتها معهم)

(1) تاريخ القرآن . ص 156 ، ط ، دار الشروق .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرح هذا الحديث الذي ورد في صحيح البخاري :

«ساق الإسماعيلي هذه القصة من وجه آخر مطوّلة ، من طريق عيسى ابن حطان ، عن عمرو بن ميمون قال :

كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شرف ، فجاء قرد من قرده فتوسد يدها ، فجاء قرد أصغر منه فغمزها ، فسَلَّت يدها من تحت رأس القرد الأول سلاً رقيقاً وتبعته ، فوقع عليها وأنا أنظر ، ثم رجعت فجعلت تدخل يدها تحت خدّ الأول برفق ، فاستيقظ فزعا ، فشمها فصاح ، فاجتمعت القروء ، فجعل يصيح ويؤمي إليها بيده ، فذهب القروء يمنة ويسرة ، فجاءوا بذلك القرد أعرفه ، فحفروا لهما حفرة فرجموهما ، فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم» انتهى .⁽¹⁾

هذه الرواية كما ترى وكما هو ظاهر في متنه ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا من كلام أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وإنما وضعها واحد من الرواة الوضاعين ليكون شرحا وتعليقا على حكم الرجم الذي أرادوا إثباته في التشريع الإسلامي ، وليس من شك أنه ليس من الشرع في شيء ، وإنما هو وضع وكذب وافتراء رواها البخاري رحمه الله حكاية عن ما شاهده عمرو بن ميمون ، وأفاض ابن حجر عليها البيان الذي لا يستطيع أن يخرجها من دائرة الوضع إلى دائرة الصحيح من الأحاديث ، وهو حديث موضوع بلا ريب ، قد ذكرته في هذا الصدد كي يعلم القارئ مدى أكذوبة أهل الحديث في إيراد آية الرجم والأحاديث المتعلقة بها في صحيح البخاري ومسلم .

(1) فتح الباري . لابن حجر العسقلاني 160/7

قال الشيخ الألباني رحمه الله معلقا على حديث القردة الزانية :
 « هذا أثر منكر ، إذ كيف يمكن لإنسان أن يعلم أن القردة تتزوج ، وأن
 من خلقهم المحافظة على العرض ، فمن خان قتلوه؟ ثم هب أن ذلك أمر
 واقع بينها ، فمن أين علم عمرو بن ميمون أن رجم القردة إنما كان لأنها
 زنت؟ » (1)

على هذا النحو كان علماء الحديث يريدون أن يبرروا موقفهم في حكم
 الرجم بحكاية الحيوان وبرواية ليس لها سند في كتاب الله وسنة رسوله ،
 وإنما هو حكم يهودي جاهلي ما أنزل الله به من سلطان . وأنا أسأل
 الدكتور الآن من أين نقلت هذا الحديث أهو من كتابي أو من صحيح
 البخاري الذي قلت في حقه أن ليس فيه حديث موضوع واحد؟

د - حديث رفع الإزار

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال : مررتُ على رسول الله ﷺ وفي
 إزاري استرخاء فقال : يا عبد الله ، ارفع إزارك ، فرفعته ثم قال : زد ، فزدت ،
 فما زلتُ أتحرّأها بعد ، فقال بعض القوم : إلى أين ؟ فقال : أنصاف
 الساقين » (2)

أخذ الدكتور يشرح هذا الحديث ويقول :
 « أجمع العلماء على عدم جواز الإسبال بالإجماع ، وأجمعوا أيضا
 على تحريم من جرّ ثوبه خيلاء ، ثم اختلفوا فيمن جرّه من غير خيلاء ،
 وأخيراً أجمعوا على أن حدّ الرفع هو أنصاف الساقين - وهو الأفضل -
 كما ورد في الحديث الصحيح ، وذكروا أن حدّ الإسبال المشروع هو
 الكعبان ، بناء على الأحاديث الواردة في ذلك » (3)

(1) مختصر صحيح البخاري للألباني. 535/2 ، طبعة مكتبة المعارف

(2) صحيح مسلم رقم 2018

(3) عن صحيح البخاري ، ص 98

وأنا أسأل الدكتور بعد تعليقه هذا : لماذا كان رفع الإزار إلى أنصاف الساقين الذي هو أقرب إلى الحدّ هو الأفضل عندكم ، ولم يكن رفع الإزار إلى كوع الكعبيين الذي هو أبعد من الحد هو الأفضل كما نقول ، أكان الذي يجتنب حدود الله ويتعد عنها هو الأفضل أم الذي يقترب من حدود الله ويدنو منها ، لأنني رأيتك تقول في شرح هذا الحديث « وإذا رفعت فلا يتجاوز نصف الساق » إذن هذا يدل في كلامه أن نصف الساق هو نهاية الحدّ ، كما أن كوع الكعبيين هو بدايته ، وليس من شك أن الرجل الذي وصل إلى منتهى الحد كالراعي الذي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه كما ورد في الصحيحين ، فإذا هو بغنمه يقتحم المكان المحرم عليه ويتعرض للعقاب .

هذا هو ما نقول من أمر هؤلاء الغلاة ، وإذا كان الدكتور يكتفي في شرحه بذكر أن حدّ الإسبال المشروع هو الكعبان لكان خيراً ، لأنه قد جعل هذا النوع من الإسبال منتهى الحدّ ، فلا يمكن لأحد أن يتجاوز هذا الخط الأحمر ، فيجعل إزاره يمتد إلى أسفل الكعبيين ، لكنه لم يفعل ذلك وإنما يريد أن يدل على ما هو الأفضل منهما ؛ بين أنصاف الساقين وكوع الكعبيين فهوى في هوة التطرف والتشدد .

ثم بعد هذا التوضيح والبيان ، يجب أن أقدم إلى صاحبنا الدكتور أسئلة أخرى في هذه المسألة ، فهي لماذا ينقلب الإزار سروالاً عند الشباب أهل السنة في هذه الأيام ، أكان عندهم حديث واحد يأمرهم برفع السروال إلى أنصاف الساقين كما أمرهم الحديث برفع الإزار ، أم يظنون أن السروال والإزار شيء واحد لا اختلاف بينهما؟ أم يريدون أن يتطرفوا في دينهم فيأمرون الناس بما لا يأمرهم به الله؟ ولماذا لم يرد بعضهم السلام على من لم يرفع إزاره إلى نصف الساقين ولو كان مسلماً؟ ولماذا لا يصلّون



وراء الإمام الذي أجاز رفع الإزار إلى كوع الكعبيين ، ولم يتشدد في إقرار حديث أنصاف الساقين؟ ولماذا كان هؤلاء الشباب يرفعون رداءهم كما يرفعون إزارهم على عرصات الطريق كل يوم ، مع أن الإسبال في الرداء أو القميص أو الجلباب هو الذي أقره نص الحديث والسنة . ثم بعد هذا كله لماذا كان الدكتور نفسه يصدر هذا الحكم مفتياً دون تورع واقتصاد ، ذلك في حديث رفع الإزار ، حيث يقول : « ومن أسبل مختالاً فقد ارتكب حراماً ، ومن أسبل غير مختال لم يحتط لدينه على أقل الأقوال أو أنه آثم على أغلظ الأقوال »⁽¹⁾

أنا لست مفتياً كما يتوهم الدكتور في كتابه ولا أريد أن أكون مفتياً في اليوم وغداً ، فليطمئن الدكتور ويهدئ باله ، لكن أودُّ أن أكون سائلاً فيما أشكل عليّ من أمور الدين كي لا أكون هالكا ، كما ورد في الحديث ، لذلك أنا أسأله من جديد ، أين سنده في فتواه التي ورد فيها « أن من أسبل غير مختال لم يحتط لدينه على أقل الأقوال أو أنه آثم على أغلظ الأقوال » ما سنده في هذا الحكم؟ لأن سيدنا أبا بكر - كما ورد في الحديث - كان ممن يسبل إزاره ، وكان غير مختال⁽²⁾ ، هل هو إذن ممن لم يحتط لدينه على أقل أقوال الدكتور ، وكان آثماً على أغلظ أقوال الدكتور ، أفيدوني بالجواب رحمكم الله .

على هذا النحو نلمس أمارات الغلو والتطرف في ردود الدكتور المفتي الأكبر في زماننا ، وإن كان يتوارى وراء الإبرة ، ويقسم بالله أنه برىء من التشدد والتطرف والإرهاب ! يا أهل الكتاب - الذين تسمون أنفسكم أهل السنة - لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله ما لا تعلمون !

(1) عن صحيح البخاري ، ص 99

(2) ذلك في قوله « وَاللَّهِ » لأبي بكر « ولست ممن يفعل ذلك خيلاء »



هـ - حديث قطع يد السارق

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال : « لعن الله السارق ، يسرق البيضة فنقطع يده ، أو يسرق الحبل فنقطع يده »

كان سيدي الدكتور يشرح هذا الحديث في كتابه ، ويستشهد بتأويل علماء الحديث ، في تخفيف ما ظهر في متن الحديث من تشدد ، وتوضيح ما ورد فيه من غموض وتضييق ، ثم انتقل من ذلك إلى إقرار اتفاق العلماء على وجوب النصاب واختلافهم في مقداره ، ثم قال في نهاية الشرح والتعليق :

« ومما يربينا في شأن الأخ آدم الفلاني أنه حكم في مسألة الرجم في قوله تعالى ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾ (النور:2) بإنكار حكم الرجم ، رادا جميع السنن التي وردت في الرجم محتاجاً بأن في الآية هو الجلد لا الرجم فلم يفت بمثل ذلك في حكم السرقة ، ويكتفي بفهم الآية فقط ولا يلتفت إلى نصاب السرقة صغيراً كان أو كبيراً لقوله تعالى « السارق والسارقة فاقطعوا » لماذا يرفض السنة هناك ويقبل بها هنا؟ لماذا لم يأخذ بقول الظاهرية في الأخذ بظاهر الآية « فاقطعوا » ألا يصدق عليه قول من قال إنه يتعصب لشيخه ويبحث له عن ثغره يطعن منها على السنة أو على الرواة ، الصحابة كانوا أم التابعين؟ أم أهل الحديث احتمال غير بعيد»⁽¹⁾

هذا ما قال الدكتور متسائلاً ، وأنا أقوم بإيراد الأجوبة على تلك الأسئلة الآن : إن ما جعلني أرفض حكم الرجم ولم أرفض حكم السرقة ، هو أن حكم الرجم لم يكن موجوداً بالأصالة في القرآن ؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول عز من قائل ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا ﴾ (النور:2) ولم يقل في كتابه العزيز « الزانية والزاني فارجموا » ولو ثبت « فارجموا » في النص القرآني

(1) عن صحيح البخاري ، ص 97

لثبت حكم الرجم ، ولنبحث عن بيان وكيفية تنفيذ حكم الرجم في كتب السنة ، لكن هذا كله لم يكن ، والذي كان هو عدم وجود النص الصريح في كتاب الله يحلّ إراقة دماء الزاني والزانية ، وهذا كما ترى يختلف كلّ الاختلاف عن حكم قطع يد السارق ، إذ ورد في القرآن قوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة:38) هذا دليل قطعي على ثبوت حكم القطع بنص صريح غير ذي عوج ، ولا يجحده بعد ذلك إلا الكافر . ثم هذا النص القطعي القرآني هو الذي يفرض علينا البحث في كتب السنة عن مقدار النصاب ، حتى لا نغلو ولا نسرف في تنفيذ الحكم ، ثم لا نميل كذلك إلى التهاون والتفريط .

فوجود نص القرآن في السرقة هو الذي جعلني أقبل حكم القطع هنا وما ورد فيه من السنن ، وعدمه في الرجم هو الذي جعلني أرفض جميع السنن التي وردت فيه هناك ، وحاش لله أن يضع الآيات للعبادات ولا يضع الآيات ولو مجملة للجنايات ، وخاصة مما يؤدي إلى الرجم وإزهاق الأرواح ، أما تأويلات علماء السنة حول عدم وجود آية الرجم في القرآن وأسبابها فهي عندي متكلّفة غير مقبولة على حسب ما فصلناها في موضعها .

ثم كان زعمكم في اتهامي بالتعصّب لشيخي فإنه زعم باطل ، وإنما أتعصّب للحق والصدق ، لا لأحد من شيوخنا قديماً وحديثاً ، وأنتم تعلمون أن شيخي محمد حبيب الله ، ليس هو الذي وضع القرآن ولا السنة حتى أتعصّب له في هذا أو ذاك ، لكنه يقرأ الكتاب والسنة ، ويتبع ما فيهما من الحق والصواب ، نحن لا نركيه من الخطأ ولا نركي على الله أحداً ، لذلك كان ولاؤنا له هو ولاء للحق الذي نراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا ونقرؤه في الكتاب والسنة بعقولنا ودماعنا ، وإذا لم نجده على الحق فلا

طاعة له علينا ، هذا هو الفرق بيننا وبينكم وأنتم تقومون بالولاء لا على أساس الحق والصدق ، وإنما هو على أساس حبّ البخاري الذي هو شيخكم ، وعلى أساس تمجيد البخاري وتقديس البخاري وتنزيه البخاري وغيره من علماء السنة ، والدفاع عن آرائهم وإن كانوا على الخطأ والباطل أحياناً .

أما أمر الطعن في الصحابة والتابعين فإنني أشهد الله على ذلك أنني لا أقصد الطعن فيهم ولا السب ولا الشتم ، وإنما أضرب بهم مثلاً كما ضربوا لنا بسيرة حياتهم أمثالاً على حسب ما فصلته من قبل وفي موضع آخر غير هذا الفصل ، وكلّ ما ذكرت من أمورهم فإنما قلته بما رأيت من الحق والصواب ليكون عبرة لأولي الألباب ، وإذا أخطأت في ذلك أو قصّرت في حقهم - وما أبرئ نفسي من الخطأ والتقصير - فأرجو من الله أن يغفر عن زلتي وخطاياي ، ويقبل توبتي ويعفو عني إنه هو التواب الرحيم .

و - حديث شمائل الرسول وصفاته الخلقية والخلقية

تحدّث فضيلة الدكتور عن مجهودات الصحابة في حفظ الروايات التي تحتوي شمائل الرسول وصفاته الخلقية والخلقية ، ثم يعلّق على هذا الموضوع

أخيراً ، ويقول : « والاعتراض على روايات الصحابة للأحاديث يعني الاعتراض على القرآن الكريم ، لأن القناة واحدة وكذلك الاعتراض على الصحيحين يعني أيضاً الاعتراض على جميع الشمائل ، فصفاة الرسول الخلقية والخلقية تخصّص فيها أصحاب كتب الشمائل ، وهي من المنقولات القولية ليست أفعالاً متواترة يمارسها المسلمون إن كنت لا تقبل إلا المتواتر العملي الذي يفعله كل المسلمين⁽¹⁾ »

(1) عن صحيح البخاري ، ص 108

هذا ما يقول الدكتور معلّقاً به على كتب الشمائل وكتب الصفات النبويّة ، ثم يعترض به على من ينكر المنقولات القولية من الوجهتين الأساسيتين : أولاهما : هي الاعتراض على روايات الصحابة للأحاديث ، يعني الاعتراض على القرآن الكريم لأن القناة واحدة ، وثانيتهما : هي أن كتب الشمائل هي حجة ودليل على منكري الأحاديث القولية ، لأن هذه الشمائل والصفات لم تُرو فعلاً ، وإنما رُووها قولاً مما لا يمكن جحودها وإنكارها .

هذا حديث صاحبنا دفاعاً عن هجوم المنكرين على المنقولات القولية ، وليته يعلم أن القناة واحدة كما يقول هو لكن وجوه هذه القناة هي التي كانت مختلفة ومتنوعة ، وليس منا من لا يعلم أن النبي قد قام بالإشراف على كتابة القرآن رسمياً في حياته ، حيث أمر بكتابته وعني عناية خاصة في قراءته وترتيبه ، حتى شهد له الحق في هذا الترتيل وترتيل أصحابه وفي ذلك يقول عزّ من قائل :

﴿ إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَافِيَةً مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقْتِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الزمل: 20)

هذه الشهادة الكبرى على عناية النبي وأصحابه في قراءة القرآن وترتيبه آناء الليل والنهار ، وعنايته على كتابة الوحي كما ورد في تاريخ القرآن ، وهذا كلّ لم يكن لكتب الشمائل والصفات أيام النبي ، لم تُكتب ولم يُعبد



بها ، ثم كان هذا الجمع والتدوين للقرآن الذي وقع رسمياً بعد حرب الردّة في خلافة أبي بكر ، فمثل هذا الجمع والتدوين لم يقع لكتاب واحد من كتب السنة إلا رسائل النبي المبعوثة إلى ملوك العرب وإلى أصحابه لأغراض مختلفة ، لكنها مع ذلك لم تجمع ولم تدون في مكان واحد في أيام الخلفاء الراشدين . ثم كان التدوين الثالث الذي وقع رسمياً بعد اختلاف الناس في وجوه القراءات أثناء خلافة عثمان ، فإن كتب السنة لم تظفر بهذه العناية الرسميّة في ذلك الوقت ، بل هي لم تكن موجودة في صورة كتاب واحد يرسل به إلى البلدان والأمصار كما يرسل بالقرآن⁽¹⁾.

هذه المراحل الرسميّة الثلاثة لم تظفر بها كتب السنة كما ظفر بها القرآن الكريم ، لذلك نقول القناة واحدة ، لكن وجوه القناة مختلفة ومتنوعة ومتفاوتة . لذلك كان الاعتراض على السنة القولية لم تكن كالاعتراض على القرآن لأن هذا حرام والقائم به كافر ، أما ذلك - أعني الاعتراض على بعض متون التراث النبوي التي لا يستقيم معناها بالنص القرآني ولا بخصائصه - فهو جائز ، لأن هذا النوع من المتون المشكوك فيها ، لا يلزم الجمهور العمل بها حكماً ودلالةً ، وواجبنا إزاء المتون المشكوك فيها هو إرساء ضوابط البحث والمراجعة التي تعيننا على التنقيح والتهذيب قبل استحسان تلك المتون أو استهجانها .

من هنا يعلم الدكتور أن كتب الشمائل والصفات يجب عرضها على الخصائص القرآنية العامة ، والخصائص النبوية الخاصة ، التي وردت نصوصها في القرآن الكريم ، وإذا وافقت النصوص نحكم بثبوتها ، وإذا خالفت نحكم بنفيها ، وهذا بالطبع هو ما قمنا به في كتابنا السابق ، وهذا الرأي نفسه هو ما ندعو إليه في هذا الكتاب من جديد فهل من مجيب؟

(1) تاريخ القرآن : للشيخ إبراهيم الأبياري . ص 92 ، ط ، دار الشروق .



ز - حديث انشقاق القمر

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود ، قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ « اشهدوا »

يقول الدكتور وهو يعلق على هذا الحديث

« إن أهل السنة والجماعة ، والذين يسعدون بالانتماء إليهم يبحثون متناً وسنداً ، فإن صحَّ الحديث فهو مذهب فقهاؤهم ومحدثوهم وعوامهم ، فلا يهتمهم أوافق العقل أم لا ، أوافق العلم أم لا »⁽¹⁾

هذا ما يقول الدكتور عندما لم يستطع أن يثبت لنا وقوع انشقاق القمر إلى الفلقتين في بطحاء مكة ، وهو يعلم في نفسه أن متن هذا الحديث يخالف العلم والعقل ، لذلك كان يقول : « إن الحديث إذا صحَّ متناً وسنداً ، لا يهتمهم مخالفته للعلم والعقل ، فكيف كان الحديث الذي يخالف حقائق العلم ويناقض العقل السليم ، كيف كان حديثاً صحيحاً على حسب ما وضعه علماء الحديث في غربلة المتن المعلل عن المتن الصحيح ، وبنوع خاص . ما وضعه ابن قيم الجوزية من المقاييس في كتابه المنار المنيف ، وأرى أن الدكتور ينقل من ذلك الكتاب ، لكنه لم يطبق ما فيه من المعايير على أحاديث الصحيحين ، بل كلَّ ما يهتمه في هذا الأمر هو النقل المحض ، لا التعقل ولا التدبر ، وهذا مما لا نستطيع أن نوافقه عليه . وأنت تعلم أنني تحدّثتُ عن مثل هذه الأحاديث من قبل ، أنها أحاديث موضوعة ، وإن كان الثقات هم الذين رووها ، إذ هي في متونها لا تصحَّ علماً ولا عقلاً ولا تصحَّ واقعاً ولا تاريخاً ، أما علماء السنة فهم الذين جاؤوا وأضافوا بالشروح والبيان على هذه الأحاديث الموضوعة . فظهر

(1) عن صحيح البخاري . ص 123

التكلف في بياناتهم إلى حد لا يوصف . ومثل هذا التأويل المتعسف هو ما أشار إليه الدكتور في حديث الساعة ، وأسنده إلى ابن حجر العسقلاني

ح - حديث قيام الساعة

عن أنس بن مالك : أن رجلاً سأل النبي ﷺ قال : متى تقوم الساعة ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ هنيئة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال : إن عمر هذا ، لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » قال : قال أنس : ذاك الغلام من أترابي يومئذ

وفي هذا الحديث يقول الدكتور بعدما أورد شواهد أخرى تؤيد صحة هذا الحديث ، وتبين أن المقصود بها هي المبالغة في ضرب المثل على قرب الساعة ، ثم يقول الدكتور أخيراً .

« لو نظر الأخ آدم يحيى إلى أقوال كبار شراح الحديث لما تطرق إليه شك ، وإنما ساوره شك ، لإدمانه قراءة أقوال الطاعنين في السنة من المستشرقين ، فماذا قال بعض شراح الحديث المخلصين لله!

« قال ابن حجر : قوله « إن عمر هذا ، لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة » لا يقصد به الرسول ﷺ أن الساعة تقوم قبل أن يهرم هذا الغلام ، بل يقصد أن الحاضرين لا يبقى منهم أحد عند هذا الغلام أي يكون قد توفوا جميعاً ، وأيد قوله برواية أخرى للحديث من رواية البارودي قال : وقع في رواية البارودي : بدل قوله « حتى تقوم الساعة » « لا يبقى منكم عين تطرف » وبهذا يتضح المراد ، وله في أخرى « ما من نفس منفوسة يأتي عليها مئة سنة »⁽¹⁾

(1) عن صحيح البخاري ص ، 101



انظر إلى شرح ابن حجر العسقلاني ، لهذا الحديث ثم انظر إليه كيف أوله تأويلاً مجازياً أعني بذلك أنه حمل معنى هذا الحديث على المجاز ، فكيف يكون الكلام مجازاً في البيان العربي دون وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي؟ لذلك أقول في كتابي السابق ، إن هذا الحديث قد يحمل على الحقيقة أو المجاز لكن لا يخلو معناه من شبهة وغضاضة⁽¹⁾ ، وإذا قال ابن حجر العسقلاني بأن المقصود في متن الحديث هو موت الحاضرين قبل هرم الغلام ، فنحن نقول بأن هؤلاء الحاضرين لم يشكوا في وقوع موتهم عاجلاً أو آجلاً ، وليس هذا هو ما يسألون النبي عنه ، بل هم يسألون عن الساعة ويسألون عن القيامة الكبرى . هذا هو ما يبحثون عنها ، لا موت هؤلاء ولا موت أولئك ، وليس منهم من لم ير أن بعض أبنائه وإخوانه يموتون من حين إلى حين ، فلماذا يأتون إلى النبي ويسألونه عما عرفوا حقيقةً بوقوعه كل يوم . هذا بعيد كل البعد في هذه المسألة ، أما الذي لم يقفوا عليه عياناً ولم يقف آباؤهم وأجدادهم على حدوثه قبل الآن هو هذه الساعة الكبرى التي ستعم جميع الموجودات كلها . هذا هو ما يريدون الجواب عليه ، لكن الجواب الوارد في الحديث لا يدل على شيء في منطق العلم ولا في منطق الدين .

أما قول أخي الدكتور بأن المعترض على هذا الحديث لابد أن يعترض على هذه الآية ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القمر: 1) فهذا القياس باطل جداً ، لأن استعمال صيغة الماضي في الآية لا يدل على وقوع الانشقاق فعلاً ، وإنما استعمال ذلك للمبالغة كعادة العرب في كلامهم ، فيكون حاصل المعنى أن الساعة تقوم قريباً جداً وأن انشقاق القمر سيقع في قرب الساعة ، إذن هذه الآية هي تعبير بلاغي كما ترى فيه مجاز عقلي وفيه

(1) في صحيح البخاري ، ص 64

قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ، حيث استعمل الفعل الماضي مكان الفعل المضارع لأجل المبالغة وتفخيم أمر الساعة وقرب وقوعها ، وإن طال زمن وقوعها في أعيننا ورأينا .

فأين هذا كله في تحليل شراح ذلك الحديث؟ أما كلام الدكتور في أنني أدمن على قراءة أقوال الطاعنين في السنة من المستشرقين ، فليستغفر الله على ذلك ويتوب إليه ، فما من حديث أشرت إليه في كتابي ، لم أقرأ شروح علماء السنة عليه ، ولم أجلس لمطالعة آرائهم وأفكارهم ، وإذا لم أفعل هذا فقد ظلمتهم في هذه الاعتراضات كلها ، ولقد عرفتموني قبل هذا اليوم بالمطالعة والمذاكرة على قدر ما استطعت ، لذلك تقولون في كتابكم « عن صحيح البخاري » :

« إنني عرفتكم سابقا بالمناقشة العلمية الموضوعية بأسلوب علمي حيناً وأدبي طوراً ، والتجري على طرح موضوعات أدبية قل من يتناولها في الساحة العلمية النيجيرية »⁽¹⁾

هذا ما يقول الدكتور عني في كتابه ، فلماذا يأتي الآن ويقول شيئاً آخر لا يدل على شيء إلا على الجور والظلم والخيانة العلمية الأكاديمية . وخلاصة القول في هذا كله هي أنني أطلع شروح علماء السنة على الأحاديث النبوية ، شروحا مختصرة ومطوّلة ، ولكن قلما يراعون قواعد منهج البحث في مؤلفاتهم⁽²⁾

ولقد غلب التحمس الديني العاطفي على عقول كثير من علماء السنة ، - بما فيهم أنت يادكتور - فأخذوا يذهبون بأمور الدين كل مذهب ،

(1) عن صحيح البخاري . ص 3

(2) أعني بذلك أنهم لا يراعون قواعد علم المنطق في كتاباتهم ، بل حاربوها كل المحاربة ، فكثرت الخلل فيما يكتبون .



فاختلطوا في كثير من المسائل العلمية والدينية ، فأصبح من العسير أحيانا أن يهتدي الباحث فيها إلى سواء السبيل ، ولولا أنني أخاف الإطالة لنقلت لكم ما كتب ساداتنا عن أحاديث تتصل بعلم الطب ثم تقرأ ما يعلقون عليها من شروح وتأويلات لا تغني من الحق شيئا .

وإذا استطعنا أن نقبل العذر على موقف علمائنا القدامى من حقائق العلم ، لأنهم قد عاشوا في زمن لا تتقدم فيه العلوم الكونية ولا التجريبية ، ولم يشهدوا شيئا مما وقفنا عليه اليوم في دنيا العلم من تطور وارتقاء ، فما بالنا نحن لا نحاول الإصلاح فيما تركوا من علوم لا تستطيع أن تثبت للنقد ولا للتجربة ، ولا للدين نفسه ، هذا والله جمود وتزمت لا ينفعكم في المستقبل ، أفأريتم كيف تدافعون في كتابكم عن الطب العربي القديم ، ثم تريدون مني أن أطلع بدقة وإمعان على سلسلة البرامج العلمية للدكتور زغلول النجار ، حول هذه القضايا العلمية ، فهل هذا يفيدكم في المجالات العلمية الطبية من اختراع واكتشاف ؟ هداانا الله وإياكم .

وبعد ، فيجب عليّ أن أشير إلى آثار التعسف في تأويل الأحاديث النبوية ، قبل أن أنتقل إلى موضوع آخر ، وهذه الآثار قد بدأت من القلق والاضطرابات العقلية التي يثيرها كثير من علماء الحديث في مؤلفاتهم ، وينتهي أثر هذا التعسف في هذا اليوم إلى الفساد في كثير من أمور الدين . وبنوع خاص هو ما ظهر في سلوك التدين من غلو وتطرف .





تحريف الكلم عن مواضعه

لا ينبغي أن أنتهي من هذا الفصل دون أن أقف وقفة قصيرة في هذا الموضوع ، لأنه ركن هام يعتمد عليه الدكتور عبد الرحمن أحمد في كتابه ، حيث يسلك فيه نهج التحريف والإبتار والتشويه والاستنتاج الخاطئ المبني على نظرية خاطئة ، فالغاية في منهج التحريف كله هي التحريض ضدّ من يحرفون كلامه ، وتشويه صورته وسمعته في وطنه الإقليمي والعالمي ، بعد أن عجزوا عن القضاء عليه من خلال النقاش والجدل ، هذا كما ترى من سلوك اليهود أو سلوك العلماء المتهودين من المسلمين شرقاً وغرباً .

ولقد رأيتُ الدكتور في كتابه يتهمني بالعقلانية حيناً والزندقة أحياناً ، ثم يريد أن يأتي بالدليل على هذه النظرية الخاطئة ، حتى يصدّقه الناس فيما ذهب إليه من هذا الرأي ، فأخذ يقوم بتحريف كلامي وتقليب آرائي تعمّداً ، فيستطيع بذلك أن يشوه صورتي وسمعتي بين الناس ، مع أن الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً ، ولقد قال في كتابه مالم أقل ، مع أن النبي قد منع في حديثه مثل هذا التصرف حيث قال : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وإذا أنا لم أستطع أن أقول للدكتور في أمر كذبه عليّ بأن يتبوأ مقعده من النار ، فأنا أستطيع أن أقول له بأن يتبوأ مقعده من النفاق في كذبه وظلمه إياي . ومن هذه الأكاذيب هي ما يأتي :



أ- تغيير عنوان كتابي خيانة علمية :

بدأ الدكتور هذا التحريف بتغيير عنوان كتابي إلى عنوان آخر لم يتصل بأرائي من قرب أو بعد ، حيث كان عنوان كتابي هو « في صحيح البخاري بحث ومراجعة » فغيره الدكتور في كتابه إلى هذا العنوان الغريب « طعن في صحيح البخاري » ثم أخذ يشرح هذا العنوان الجديد الغريب في شيء من التعسف وسوء التأويل كما يفعلون وفي ذلك يقول في غلاف كتابه :

« دفاع » عن صحيح البخاري « فيما جنى عليه قلم أحد الباحثين بكتابه الموسوم : طعن « في صحيح البخاري » وكتابنا هذا حوار علمي هادئ مع ذلك المؤلف الصديق ، هل يهديه ويتوب عما اعتدى به في كتابه على الصحابة والسنة النبوية وشيخي المحدثين - البخاري ومسلم - كتب السنة ، وأصحابها رحمهم الله أجمعين »⁽¹⁾

ثم يقول في شرح هذا الكلام الباطل في موضع آخر من الكتاب « أنبه القارئ أن اسم كتاب الأخ آدم هو « في صحيح البخاري » لكن في الحقيقة الاسم الذي يليق بكتابه ذاك هو « طعن في صحيح البخاري » فلذا كنت أقدر كلمة « طعن » في كثير من المواضع التي يرد اسم كتاب الأخ آدم يحيى ، والأنسب إذن أن نضع لكتابنا في الرد عليه عنوانا مناسباً وهو « عن صحيح البخاري » والتقدير المناسب أيضا هو « دفاع » أي دفاع عن صحيح البخاري لما ورد في كتاب طعن في صحيح البخاري ، وعن غلاف كتابنا هذا قال أحدهم : وبصورة أغنت عن ألف كلمة⁽²⁾

انظر إليه كيف يمحو « بحث ومراجعة » من عنوان كتابي ، ثم يبذله بشيء آخر وهو « طعن » من عند نفسه ، ثم لا يكتفي بذلك ، بل أخذ

(1) راجع كلامه في غلاف كتابه عن صحيح البخاري

(2) عن صحيح البخاري . ص 5 ، 6

يبني جميع آرائه وكتاباته على هذه النظرية الخاطئة من بداية كتابه إلى نهايته ، وإليك مثال آخر فيما يقول متحرفا :

ب - دَعْوَى إلْغَاء الصَّحِيحِينَ وَكُتُب السَّنَةِ :

« دعوت في « ص 25 » إلى إلْغَاء الصَّحِيحِينَ ، والكتب الستة وتبقى نصوصها لفظا وقراءة وتنسخ حكما وفكرة يا أخي آدم علام بنيت حكمك الظالم هذا؟ وماذا يخولك ويسوّغ لك الدعوة ، أبأكتشاف جديد لم يكتشفه الشيخ الألباني وزملاؤه ومشائخ الأزهر الشريف إلى أن قال :

ففاتهم أن يردوا كل شيء إلى المفهوم الأوّل في القرآن الكريم كما زعمت في صفحتك السوداء تلك»⁽¹⁾

انظر إلى هذا الدكتور الغاشم كيف يحرف حديثي عن موضعه ، فهل مسلم حقيقي يؤمن بالله ورسوله ، يستطيع أن يدعو إلى إلْغَاء الصَّحِيحِينَ وكتب الستة بأكملها . وهل يوجد في نيجيريا ، من يدعو إلى إنكار السنة بحذافيرها كما يقول هؤلاء الظالمون ، وهل فينا من يعتمد على القرآن وحده في أمر دينه ، ومن الذي أثبت هذا في حديثه؟ فقضية السنة النبوية في بلاد العرب تختلف عن قضيتها في نيجيريا ، وليس فينا من ينكر حجّة السنة أو ينفي ما فيها من السنن العمليّة المتواترة أو يشكك في ثبوتها ، وإنما ننكر ما في السنن من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، هذا هو محور الخلاف ومحل النزاع لا غير .

أما الدعوة إلى النسخ في إبقاء النصوص لفظا وقراءة ونسخها حكما وفكرة ، فقد وردت عندما نتحدث عن مسألة الخصومة السياسيّة بين

(1) عن صحيح البخاري. ص 38 ، 57 ، 48 .

الشيعة وأهل السنة ، وما يترتب عليها من الحروب والفتن والخسارة بين الطرفين ، ومثل هذا النسخ كما قلت سابقا موجودٌ في القرآن الكريم ، وأنَّ الحكمة في ذلك هي تخفيف الحدة والتوتر والعنف بين الشيعة وأهل السنة حول أحاديث الفضائل المختلف عليها إثباتاً ونفيًا .

هذا هو رأينا في الكتاب ، فقام الدكتور بإيراد أخطر فرية يفتريها ضدَّ أخيه آدم على دعاية إلغاء التراث النبوي كلّهُ . فمتى ينهى الدكتور نفسه عن الكذب والافتراء الذي نهانا الله عنه ورسوله ، ومتى يكون عالما مسلماً حقيقياً - لا سنيا كاذبا - كما أراد الله منا ورسوله ؟ علم ذلك عند الله!

ج - تحاكم اليهود إلى الرسول في الزنا قصة ثابتة أم مختلفة

وقد تحدّثتُ عن هذا التحاكم في كتابي السابق ، وتحدّثت عن ثبوته في القرآن والحديث ، ولكن الدكتور يحرف كلامي في ذلك وقال : قال الشيخ آدم : لا يمكن أن يتحاكم الخصم إلى خصمه في جريمة قد تؤدي إلى القتل ، فقصة تحاكم اليهود إلى الرسول في الفصل في حكم الزنا مختلفة ليست ثابتة»⁽¹⁾

هذا ما يقول الدكتور في كتابه فأرجو من القارئ أن يستمع إلى حديثي حول هذا الموضوع نقلا من كتابي في صحيح البخاري

«بيان على تحاكم اليهود إلى النبي في حدّ الزنا»

يقول الله عزّ من قائل ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ لَا تَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ

(1) عن صحيح البخاري ، ص 173



الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ^ط يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ
فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا^ط أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ
يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ^ط هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿١٠﴾ سَمِعُوكَ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحُكْمِ^ط فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ
أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا^ط وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
بِالْقِسْطِ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١١﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ^ط وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا
حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ^ط وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ^ط نَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً^ط فَلَا
تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِقَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا^ط وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ
بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ^ط
فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ^ط وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ التَّوْرَةِ^ط وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ^ط
وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ^ط
فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ
جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا^ط وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ
فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ^ط إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿

(المائدة: 41-49)

قد ظهر في هذه الآيات أن اليهود كانوا يتحاكمون إلى رسول الله ﷺ في حدّ الزنا ، وكان للنبي خيار في هذا التحكيم ، إن شاء يحكم بينهم بما أنزل الله وإن شاء يعرض عنهم بتفويض الحكم إلى علماءهم . وكانت الآيات ترينا حقا ما جعل تفويض الحكم إليهم واجبا . لأن التوراة الذي هو كتاب نبيهم لا يزال معهم ، ففيه جميع الأحكام التي تمس قضاياهم ، فكيف يعرضون عن حكم التوراة فيطلبون من النبي حكم القرآن ، ففيهما حكم المماثلة كما فيهما حكم المخالفة ، إن أفتاهم النبي في حكم المماثلة قبلوه ، وإن أفتاهم في حكم المخالفة تركوه وأعرضوا عنه ، وإذا كان الأمر يجري على هذه الوتيرة فليتبّع كل فريق حكم دينه وكتابه . إذ ليس من شك أن النبي إذا حكم بينهم بكتاب دينه فهم لا يؤمنون ، وهذا هو ما جعل الحق يقول في نهاية هذا التحكيم ﴿ وَكَيْفَ تَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة: 43)

وبعد هذا أخذ الحق يذكر لليهود حكم القصاص في التوراة ، وأخذ يأمرهم بإقراره وتنفيذه في الحكم . ثم ينتقل بعد ذلك إلى النصارى الذين كانوا أهل الإنجيل فيأمرهم بتطبيق ما ورد فيه من الأحكام على جماعتهم ، ولا يأمرهم كما ظهر في سياق الآيات بتنفيذ حكم التوراة لأهل الإنجيل ، بل يكون حكم التوراة لأهل التوراة وحكم الإنجيل لأهل الإنجيل وقال : ﴿ وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ تَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: 47)



ثم انتقل الحق إلى النبي بقوله

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: 48)

من هنا ظهر الحق أن حكم أهل القرآن لأهل القرآن لأن فيه حكم يصدق ما سبق من الأحكام ، وحكم يكون مهيمنا على ما سبق من الأحكام . ومعنى هذا ، هو أن القرآن يوافقهم حيناً ويخالفهم أحياناً من الأحكام ، لأن في اللغة يقال : رجل هيمان إذا هام من العطش ، وذهب على وجهه ، ⁽¹⁾ وقد يكون معنى المهيمن شاهداً وحاكماً كما أشار إلى ذلك بعض علماء التفسير ، لكن هذه الهيمنة تظهر عندما أراد الله أن يخالفهم في الحكم الذي ظهر فيه التحريف والتبديل أو ظهر فيه الغلو والتشدد . ثم قال الحق : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: 48) يعني جعلنا لكل أمة منكم شريعته التي تختص بها ومنهجها الذي تدين بها. ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(المائدة: 48)

من هنا نفهم بسهولة ويسر ، أن آية الرجم تختص بها أهل التوراة ، كما أن آية الجلد تختص بها أهل القرآن ، وهي من الآيات المهيمنة التي خصنا الله بها لأجل اليسر والتيسير . وكان علماء اليهود يشعرون بهذا في آية الجلد ويريدونها لأنفسهم ، لذلك كانوا يتحاكمون إلى النبي ﷺ على

(1) راجع في ذلك مفردات القرآن مادة « هيم »



أن يحكم لهم بها ، ثم يتواصلون فيما بينهم قبل الوصول إليه : ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ (المائدة: 41) يعني إن أفتاكم بآية الجلد فاقبلوا ذلك لأن فيها التيسير ، وإن أفتاكم بآية الرجم فاحذروا قبولها لأن فيها روح التعسير ، كذلك كان اليهود يدينون للإسلام في آية التيسير ويرفضون حكم كتابهم الذي ظهر فيه العسر والتشدد ، ﴿ أَفْتَوِمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ ﴾ (البقرة: 85) فهذا ما يقول لهم الحق في موضع آخر ، ولا على النبي بعد هذا إلا أن يرد كل أمة إلى حكم دينها وكتابها بنص صريح لا عوج فيه ولا أمت .

أما هذه الأمة - هداهم الله إلى الحق والصواب - فإن علماءها هم الذين تحاكموا إلى كتب السنن في هذا الأمر ، وحملوها فوق حكم القرآن ، وأخذوا يستوردون الأحاديث فيها حوادث الرجم مثل حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في حد الزنا ، وحديث البراء بن عازب حول الرجم ، وحديث ابن ماجه حول الرجم ، وحديث ماعز والغامدية ، وما إلى ذلك من الأحاديث التي ضررها أكثر من نفعها في الشريعة الإسلامية ، وأقل هذا الضرر هو موقف حرج وجدنا أنفسنا فيه اليوم ، حيث أخذت اليهود والنصارى يرموننا بدائهم فشلت كيان ديننا ، فوصفونا بالإرهاب الذي نحن بريئون منه ، مع أن دلائل الإرهاب ونصوصه لا تزال شائعة في دينهم وكتابهم . والحق في هذا كله هو أن نبحت عن أصول الأحكام في القرآن وخاصة ما يتصل بالحدود ، وأي حكم لم نجد له آية واحدة تحقق أصالته في القرآن ، فالخير كل الخير إلغاؤه وإهماله إلى الأبد . والله يقول الحق ، وهو يهدي إلى سواء السبيل»⁽¹⁾.

(1) نقلا من كتابي « في صحيح البخاري . ص 140-144

وبعد فمن السهل جداً أن يسألني سائل عن سبب الدفاع عن نفسي في هذا الموضوع ، فأقول له مجيباً إن الدفاع عن نفسي لا يهمني بكثير في هذا الأمر ، وأن الذي يهمني ويجب أن يهتم غيري في هذا الدفاع هو نقطة هامة أقرها ، وهؤلاء القوم يجادلونني عليها ، وبنوع خاص هذا الدكتور الذي يحسب نفسه أنه عالم سني صادق ومأمون ، انظر إليه الآن كيف ينقلب فجأة في المعركة العلمية أو الخصومة الدينية فأخذ يغير للناس حديثي فجعله حديثاً قبيح المتن وصحيح الإسناد ! ومعنى هذا هو ما ذهبت إليه في بعض حديثي سابقاً ، « أن الراوي الصادق المأمون المحتاط يستطيع أن يخفى أمره على الناس ويظهر للمسلمين مظهر الصادق التقى الورع الأمين فيضع لهم حديثاً قبيح المتن وصحيح الإسناد »

فإن المثال الحيّ للمراد في هذا الحديث هو الدكتور نفسه ، الإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان ، ولا يخلو أيّ عصر من أناس يحسبهم غيرهم أنهم مظهر الصدق والتقى مع أنهم ليسوا كما يظنون ، انظر إلى الدكتور عبد الرحمن الذي هو عالم سني ، وكانت جماعته يظنون أنه صادق في سنيته ، انظر إليه كيف يحرف حديثي فجعله حديثاً قبيح المتن وصحيح الإسناد ، أين الورع والتقى في مثل هذا التصرف ، وأين الصدق والعدالة التي يجب أن يتصف بهما أهل السنة والجماعة؟ أين الأمانة العلمية التي يجب أن يعتني بها من أحرز الألقاب الأكاديمية ؟ انظر إلى جماعته كيف ينظرون إليه أنه صادق مأمون فيما كتب عني وفيما أضاف إليّ من أمور قبيحة ، فهل هو صادق حقاً في حديثه؟ وهل ما أسند إليّ من التحريفات والتشويهات حق لا ريب فيه ، فإنني تركت الجواب للقارئ ، فخير الناس كما يقول الشاعر من ترك الجواب!

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه « الحق المر »



«إني أخاف على نفسي وعلى الناس صياحاً فضاحاً سفاحاً ، يرتقب الغلطة ليشب على صاحبها وثبة الذئب على الشاة ، فهو في ظاهره غيور على الحق ، وفي باطنه وحش لم تقلم التقوى أظافره ، ولم يغسل الإيمان عاره ولا أوضاره»

«إنه تحت شعار الإسلام يوجد ناس ليس لهم فقه وليست لديهم تربية ، يغترون بقراءات وشقشقات واعتراضات على بعض الأوضاع ، ويرون أن الدين كله لديهم وأن الكفر كله عند معارضيهم ، فيستيحون دماءهم وأموالهم وكراماتهم ، ما هذا بإسلام وما يخدم بهذا الأسلوب دين من الأديان»





صحيح البخاري بين الدكتور كاكوري والشيخ الحريري

وقبل أن أنتهي من هذا الفصل يجب أن أقدم كتابا صدر عن أحد علماء الحديث المعاصرين ، بعد ظهور كتاب الدكتور عبد الرحمن أحمد كاكوري ، وكان صاحب هذا الكتاب هو الشيخ محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري ، وفي أيام ظهور هذا الكتاب كنت من الذين حضروا حفلة نشره وإصداره ، وكنت من الذين تحدثوا عن مضمون هذا الكتاب ، وأفاضوا عليه البيان ، شرحا وتعليقا ، وكان اسم هذا الكتاب هو « كتاب : عن صحيح البخاري : اعتراضات وتنبيهات ». وكان مؤلف هذا الكتاب يتحدث عن مأخذ ومغالطات وردت في كتاب الدكتور عبد الرحمن أحمد ، وخاصة في علم مصطلح الحديث ، فرأيت أن هذا المؤلف قد كافأني مؤونة البحث في هذا الجانب ، فعلى من يريد الاطلاع على المجهودات التي بذلها هذا الكاتب في علم مصطلح علم الحديث أن يعود إلى كتابه ، وما عليّ الآن إلا أن أنقل لكم مقدمة ذلك الكتاب ، ليستفيد القارئ بما فيه ، وليطلع على رأيه عن الدكتور وعن كتابه ، وليكون نموذج الاعتراض الذي يجب أن يقف عليه أولوا العلم والعرفان .

يقول الشيخ محمد المرتضى محمد المصطفى الحريري في مقدمة كتابه :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه أهل الله ، أما بعد/

فإن مسألة وجود الأحاديث المردودات في «الصحيحين» مسألة شغلت بال المشتغلين بالعلم في نيجيريا منذ أربع سنوات تقريبا ، وقد منَّ الله عليَّ بأن صدر لي كتابان متواضعان في المسألة ، كما أَلَّفَ فيها الكاتب التحرير الشيخ آدم يحيى الفلاني كتابا بعنوان «في صحيح البخاري بحث ومراجعة» ولما خرج كتاب الشيخ آدم يحيى الفلاني في دنيا القراءة ، أثار ضجة كبرى بين أوساط الدارسين والمدرسين على السواء ، وبما أنه سبق في شريف علم كلِّ مثقف أن كلَّ من كتب شيئا ، فقد أدخل نفسه في معترك الأقلام ، وحرب الأفكار ، إن فاتته ضربة سيف ، لا تفوته طعنة رمح ، أو رمية سهم ، أو جرح لسان ، هذا إذا كتب ما يأباه عقول غيره ، أو صادف ثورة الحقد الدفين عند أعدائه .

وطبقا لهذه السنة خرج واحد من الباحثين من أساتذة إحدى الجامعات النيجيرية في شخصية الدكتور الفاضل عبد الرحمن أحمد الإمام ، منتقدا كتاب الشيخ علامة الفلاني وسمى كتابه : «عن صحيح البخاري» ، ولما وقع كتابه على يدي ، قرأته رويدا رويدا ، وفي أثناء قراءتي له وجدت أن المؤلف ليس له فيه سوى فضل الجمع والترتيب ، ومع ذلك وجدت عليه مأخذ لا ينبغي صدور مثلها ممن ينتسب إلى طلب العلم ، فضلا عما أحرز لقباً علمياً كبيراً كفضيلته ، والعامل يعلم أنه لا ينبغي لطالب العلم أن يدخل باباً من العلم لا يحسنه ، إلا بعد البحث والاستقصاء ، لكن طالب العلم أو العامي إذا تدخل في فن أو مسألة فسوف نجد له عذراً ، أما الأستاذ الجامعي فلا يعذر في ذلك لأنه قدوة لطلابه وهم يأخذون منه ، وزلة العالم كبيرة ، ويفسد بفساد العالمِ العالمُ كما يقال .

ومما زاد طين الكتاب بلةً وطنبوره نغمة أنه ليس صنيع الدكتور عبد الرحمن وحده ، بل هو خلاصة ماثوثة لجهود جملة من الدكاترة وأصحاب الألقاب الكبيرة في المجال الأكاديمي المختلف .



ولقد تراءى أمامي أثناء قراءة الكتاب ما يلي :

- أن الدكتور المؤلف مقلد في الصناعة الحديثة ، وينساق خلف كل قول دون تحقيق أو تثبت ، بل لا يدري أن الإنجاز العظيم الذي قدّمه المؤلفون في الحديث كان في أمسّ الحاجة إلى إكماله والبناء عليه ، وكلّ ما يحدث بيننا الآن يؤكد حتميّة تطوير بعض قواعد وتعاريف المصطلح ، وليس هذا حمل كل زيد وعمرو . إذ لكلّ علم رجال وأئمة يؤخذ عنهم ، ولا يقلّد فيه غيرهم ، مع النظر بعين التأمل فيما يقولون .
- أن الدكتور المؤلف بعيد عن ثقافة أهل العلم ، وعمقهم في البحث الدقيق ، والتحري الحقيق ، والاستيعاب العميق ، يصدّقني في هذا تورّطه في أخطاء فاحشة في قضية التعاريف التي هي ركن ركين وأُسّ مكين في جميع العلوم .
- أن المؤلف نفخ الكتاب بالترف العلمي والتطويل الذي هو أشبه بغشاء السيل ، وبالبحوث التي لو قلبت على النار طويلا لم تنضج ، وهذا من أبرز أنواع جنایات بعض الجامعيين في هذه المنطقة .
- كون الدكتور مختلّفاً ، والمختلّق لا حدود له ، ولعل الدكتور لا يدري أن مثلنا لا يروّج عليه الكذب ، ولا يقبل كلاما إلا إذا تحقّقه .
- كون الدكتور يطلق إطلاقات هي بمنأى عن التحقيق والتدقيق .
- وفرة المجازفات في الكتاب ، والزلاّت التي لو خلا منها الكتاب لاستحقّ مؤلفه أن يؤتى شهادات التقدير ، أو أن يهدى إليه الدروع والميداليات . وفي الكتاب نفثات مصدور أخرى ما لو صار الورق أرخص من التراب لما جاز لي أن أضيف حرفا إليها ، بل ضربت عنها صفحا ، ليكمل الباحثون بعدي البناء ، راجيا منهم أن يتجنبوا السباب والشتم ، لأن الحق يصرع إذا عمّد إلى إظهاره بهما . ولأن في كلام كل فرقة ومذهب حقا وباطلا .

ولما كان الأمر كما ذكرت فلا بد من توضيح ما غمض للدكتور والمتعاونين معه ، وإظهار ما خفي عليهم ، وذلك إحدى الأمانات التي أمرنا بأدائها الشرع الشريف . . .

نعم ، إنّ كتابي هذا جاء ليزيل ما علق بالأذهان من شبهات وأوهام ، ووقفاتي مع الدكتور - مع كلّ احترامي الشديد - يبصره ، وطالب الحقيقة وناشد الحق إلى بعض مواطن الداء والضعف والخطأ ، وأخذ البديل ، وأثبت وجهة نظري في كل مسألة بأقوى الأدلة وأسطع البراهين ، لعل الله يصحح به المفاهيم ، وينير به الأذهان . وإن وفقت فيه فله الحمد ، وإن وقع الخطأ مني أو زلّ القلم فباب الرد على ذلك مفتوح ، وصدري لذلك منشرح ، وفوق كلّ ذي علم عليم .

وصلّى الله على محمد في الأولين والآخرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » .⁽¹⁾



(1) كتاب « عن صحيح البخاري » اعتراضات وتنبيهات ، ص 7-10 .



الفصل الثالث

دراسة السنة النبوية بين الأصالة والمعاصرة

- منهج السلف في فهم السنة النبوية دراسة وتطبيقاً
- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث
- السنة النبوية بين أهل الشرق وأهل الغرب
- العيوب المنهجية في كتابات غلاة علماء السنة
- علم الجرح والتعديل بين الاجتهاد والتقليد
- دراسة علم الجرح والتعديل في ضوء القرآن الكريم



منهج السلف في فهم السنة النبوية دراسة وتطبيقاً

رحم الله السلف الصالح ، فقد قاموا بما يجب عليهم القيام به في حياتهم ، حيث قاموا بتدوين الكتاب والسنة النبوية الشريفة ، ليكون كل منهما هدى للمتقين ودستوراً للمسلمين ، وكان أصحاب النبي أول جيل قاموا بهذه المجهودات الجبارة ، حيث تلقوا القرآن عن رسول الله مشافهة ، واحتاطوا كل الاحتياط في تدوين نصوص القرآن وكتابته ، ودرسه وتفسيره ، حتى أصبح أصدق نص عربي قديم ، يمكن الاعتماد عليه في معرفة أحكام الدين من عقيدة وتشريع وآداب ومعاملات ، جملة وتفصيلاً ، ثم كان هؤلاء الصحابة ، قد قاموا كذلك بمراعاة الجزء العملي التطبيقي من أحوال النبي وتصرفاته يبين بها ما أجمله القرآن ، ويقيده ما أطلقه القرآن ، ويخصص ما عمم فيه القرآن ، هذا بلا جدال هو تفسير حقيقي للقرآن ، وقد ضبطه الصحابة في عهد النبوة بالاعتناء في أحوالهم وتصرفاتهم قبل أن يأتي الرواة من التابعين فيضبطونها بألسنتهم وأقلامهم .

ومن هنا كان المسلمون في أشد حاجة إلى معرفة بيان رسول الله ، مع حاجاتهم إلى معرفة أحكام كتاب الله ولا يمكن أن يفهم القرآن على حقيقته ، وأن يعلم مراد الله من كثير من آيات الأحكام فيه إلا بالعودة والرجوع إلى سنن رسول الله الذي أنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما أنزل إليهم .

ومن هنا كانت مرتبة السنة تأتي بعد مرتبة الكتاب ، فهي كما ترى شرح وبيان وتفصيل لما في الكتاب من أحكام وعبادات وآداب ومعاملات ،

وما إلى ذلك ، ومن هنا يرى العلماء كذلك في أن نصوص السنة على ثلاثة أقسام . وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

« فلم أعلم من أهل العلم مخالفا في أن سنن النبي ﷺ من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا منها على وجهين ، والوجهان يجتمعان ويتفرعان : أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب

والآخر : ما أنزل الله فيه جملة كتاب ، فبين عن الله معنى ما أراد . وهذان الوجهان اللذان لم تختلفوا فيهما

والوجه الثالث ! ما سن رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب .
أ - فمنهم من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه ، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب .

ب - ومنهم من قال : ليس يسن قط إلا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة ، وعملها على أصل جملة فرض الصلاة ، وكذلك ما يسن من البيوع وغيرها من الشرائع ، لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ ﴾ (البقرة: 188) وقال : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الزَّيْوَ ﴾ (البقرة: 275) فما أحل وحرّم فإنما يبين فيه عن الله كما بين الصلاة .

ج - ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله فأثبت سنته بفرض الله .
د - ومنهم من قال : « ألقى في روعه كلّ ما سنّ ، وسنته الحكمة التي ألقى في روعه عن الله فكان في روعه سنته » ⁽¹⁾

انظر إلى الإمام الشافعي كيف أحكم في حديثه عن سنن النبي غاية إحكام ، وهو يرى أن من السنن النبوية ما كان مؤيداً لأحكام القرآن ، وموافقاً له من حيث الإجمال والتفصيل ، وذلك مثل الأحاديث التي تفيد

(1) الرسالة : الإمام محمد بن إدريس الشافعي . ص 91 ، ط مكتبة الحلبي ، مصر

وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لأركانها وشرائطها ، فإنها موافقة للآيات التي وردت في ذلك ، مثل حديث : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، فإن هذا الحديث موافق لقوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة: 83) ولقوله ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 183) ولقوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: 097)

ويرى الإمام الشافعي كذلك أن من السنن النبوية ما كان مبيناً لأحكام القرآن من تقييد مطلق ، أو تفصيل مجمل ، أو تخصيص عام ، كالأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن ، وفصلتها السنة تفصيلاً دقيقاً شافياً ، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة وأكثرها وروداً في الأحاديث النبوية . ثم يرى الإمام الشافعي بعد ذلك أن الوجه الثالث من السنن النبوية ، هو ما دلّ على حكم سكت عنه القرآن فلم يوجبه ولم ينهه ، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وأحكام الشفعة ، ورجم الزاني البكر المحض ، وتغريب الزاني البكر وإرث الجدة وغير ذلك»⁽¹⁾.

وأنت ترى في بيان الإمام الشافعي أن العلماء لم يختلفوا في القسم الأول والثاني ، وإنما اختلفوا في القسم الثالث الأخير ، حيث يرى فريق من العلماء أنه لا يجوز شرعاً وعقلاً أن يستقلّ النبي بالتشريع ، وإنما يجب أن يكون لسنة أصل في نصوص القرآن ، وأن تكون تلك السنن النبوية راجعة في معناها إلى الكتاب ، من حيث تفصيل مجمله وبيان

(1) راجع تفصيل ذلك في كتاب « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي » ص 346 ، 347



مشكله وبسط مختصره ، وإلى هذا الرأي كان يميل الشاطبي في كتابه «الموافقات» ونحن كذلك إلى أصحاب هذا الرأي نميل في هذا الكتاب⁽¹⁾

أما فريق آخر من العلماء فهم يرون أنه لا مانع عقلاً وشرعاً من وقوع استقلال السنة بالتشريع ما دام رسول الله معصوماً عن الخطأ ، والله أن يأمر رسوله بتبليغ أحكامه على الناس من أي طريق سواء كان بالكتاب أو بغيره ، ثم إن نصوص القرآن تدل على وجوب اتباع الرسول وطاعته فيما يأمر وينهى عامة لا تفرق بين السنة المبيّنة أو المؤكدة أو المستقلة ، وإلى هذا الرأي كان يميل علماء الحديث وبنوع خاص الحنابلة منهم .

وصفوة القول من هذا كله أن الفريقين متفقان على وجود أحكام جديدة في السنة النبوية ، فهي لم ترد في القرآن نصاً ولا صراحة ، ثم اختلف كلاهما في تسمية هذا النوع من السنة النبوية ، حيث قال فريق منهما إن هذا هو الاستقلال في التشريع ، وقال آخرون إن هذا ليس من الاستقلال في شيء ، وإنما هو بيان وشرح وتوضيح على متون التشريع . إذ لا يوجد حديث صحيح يثبت حكماً غير وارد في القرآن إلا وهو داخل تحت نص أو قاعدة من قواعده ، فإن وجد حديث ليس كذلك ، كان دليلاً على أنه غير صحيح ، ولا يصح أن يعمل به حكماً ودلالة .⁽²⁾

وأنت ترى أن هذا الخلاف حول الوجه الثالث من السنن خلاف جوهرى جداً وأساسياً بأدق معنى الكلمة ، ولعلّه هو بداية مفرق الطريق بين أهل الفقه وأهل الحديث فيما يتعلق بالسنة النبوية قديماً وحديثاً .



(1) راجع في التفصيل : الموافقات 16/3 ، 17

(2) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص 350



السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث

إن الكتاب والسنة هما أصلان من أصول التشريع الإسلامي ، ولا يجوز لأحد أن يحكم في القضاء الإسلامي بخلاف ما جاء فيهما ، ولا لمجتهد أن يجتهد في مسألة بغير الرجوع إليهما . لذلك كان العلماء ينقسمون إلى قسمين :

قسم يرى الأخذ بظواهر النصوص من غير تعليل ولا توسع في القياس وهؤلاء هم الظاهرية وأهل الحديث . وقسم يرى إعمال الفكر في استنباط الأحكام من النصوص فعملوا بالقياس مع الكتاب والسنة وبحثوا عن العلة وخصّصوا العام وقيدوا المطلق ، وبينوا الناسخ من المنسوخ حين تقدم القرينة على ذلك كلّ ، وهؤلاء هم أهل الفقه وجمهور المجتهدين منذ عصر الصحابة إلى هذا اليوم .

وليس من شك أن هناك نوعاً من التفاوت بين الفقهاء والمحدثين في الأخذ بالقياس والتعليل وفي الإحاطة بالسنة وشروط صحتها والعمل بها ، وكان الشيخ محمد الغزالي يصوّر هذا التفاوت في حديثه الآتي :

« والواقع أن عمل الفقهاء متمم لعمل المحدثين ، وحارس للسنة من أيّ خللٍ قد يتسلل إليها عن زهول أو تساهل »

« إن في السنة متواتراً له حكم القرآن الكريم ، وفيها الصحيح المشهور الذي يفسر العموم والمطلق في كتاب الله ، وفيها حشد كبير من أحكام الفروع التي اشتغلت بها المذاهب الفقهية بعدما اتفقت على أن السنة المصدر الثاني للأحكام .

وقد يصحّ الحديث سنداً ويضعف متناً بعد اكتشاف الفقهاء لعلّة كامنة فيه ، واكتشاف الشذوذ والعلّة في متن الحديث ليس حكراً على علماء السنة ، فإن علماء التفسير والأصول والكلام والفقهاء مسؤولون عن ذلك ، ربما ربت مسؤوليتهم على غيرهم».

«ألم تر إلى ابن حجر شارح صحيح البخاري في كتابه الجليل فتح الباري الذي قال فيه العلماء بحق لا هجرة بعد الفتح !! إن الرجل على صدارته في علوم السنة قوى حديث الغرائق ، وأعطاه شارة خضراء فمرّ بين الناس يفسد الدين والدنيا ، والحديث المذكور من وضع الزنادقة ، يدرك ذلك العلماء الراسخون!»⁽¹⁾

«وقد انخلع به الشيخ محمد بن عبد الوهاب فجعله في السيرة التي كتبها عن رسول الله ﷺ والشيخ هو من غيرة على عقيدة التوحيد ودفاعاً عنها ، ثم جاء الوغد الهندي سلمان رشدي فاعتمد على هذا الحديث المكذوب في تسمية روايته «آيات شيطانية» أليس من حقّ علماء الكلام والفقهاء والتفسير أن يحاربوا هذا القذّي ، بل إن حراس السنة الصحيحة رفضوا هذا الحديث المحقور»⁽²⁾

ويقول في موضع آخر من الكتاب

«عيب بعض الذين يشتغلون بالحديث قصورهم في تدبر القرآن وفقه أحكامه ، فلم الغرور مع هذا القصور؟ ولماذا يستكثرون على غيرهم من رجال الفكر الإسلامي الرّحّب أن يكتشفوا علة هنا أو شذوذا هناك»⁽³⁾

(1) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث . ص 19 ، 20 ، ط 5 ، دار الشروق

(2) المرجع السابق ص 20

(3) المرجع السابق ص 21



« إن القانون في ضبط التراث النبوي مطلوب ، ومتن الحديث قد يتناول عقائد وعبادات ومعاملات يستغلّ بها علماء المعقول والمنقول جميعاً ، وقد يتناول الحديث شؤون الدعوة والحرب والسلام ، فلماذا يحرم علماء هذه الآفات المهمة من النظر في المتن المروية؟ وما قيمة حديث صحيح السند عليل المتن؟ على أن هناك آلاف من الأحاديث الخالية من العلل والشذوذ ثم تسجيلها في دواوين السنة ، فإذا بقى نزر يسير يتعاون في ضبطه الفقهاء والمحدثون فذلك خير وأولى⁽¹⁾ »

على هذا النحو كان الشيخ محمد الغزالي يتحدث عن الفروق والتباين بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ويأتي بشواهد عديدة من الأحاديث النبوية الموجودة في كتب السنة ، وبنوع خاص في كتاب الصحيحين ، وصرّح في ذلك أن هذه الأحاديث لا تتفق مع مفهوم القرآن . مثل حديث « لحم البقر داء » ويعلق عليه قائلاً : إن المتدبر للقرآن الكريم يدرك أن الحديث لا قيمة له مهما كان سنده « وأشار إلى موضعين في القرآن أباح الله تبارك وتعالى فيهما أكل لحم البقر ، ثم رفض حديث لا يقتل مسلم في كافر مع صحة سنده ، لأن المتن معلول بمخالفة للنص القرآني « النفس بالنفس »⁽²⁾ ثم تحدّث عن كيف كانت عائشة ترد كل حديث لا يتماشى مع منطق القرآن ، فأورد فيها شواهد كثيرة⁽³⁾

ثم تعرض لحديث لطم موسى لملك الموت وسخط على شرّاح هذا الحديث ، وخاصة المازري الذي يتعسف في تأويل معنى هذا الحديث ، وقال في حقه : « هذا الدفاع كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لا يساغ ،

(1) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 21 .

(2) المرجع السابق . ص 22

(3) المرجع السابق ، ص 25



ومن وصم منكر هذا الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين ،
والحق أن في متنه علة قاذحة تنزل به عن مرتبة الصحة ، ورفضه أو قبوله
خلاف فكري وليس خلافاً عقائدياً ، والعلة في المتن يبصرها المحققون ،
وتخفى على أصحاب الفكر السطحي⁽¹⁾.

ثم بعد هذا كله كان الشيخ الغزالي يدعو إلى التعاون بين الفقهاء
والمحدثين ، في تنقيح الأحاديث النبوية وتهذيبها ، وقد يشترك في هذا
التنقيح والتهذيب علماء آخرون ، ليسوا من أهل التخصص في علم الفقه
والحديث ، لأن أمور الدين أجل وأقوى وأوسع من أن يحتكرها فريق من
العلماء دون آخرين ، لذلك كانت أدوار علماء التفسير والتوحيد لم تكن
أقل شأنًا من أدوار علماء الفقه والحديث في مهمة التنقيح والتهذيب . ثم
أشار في نهاية الأمر أن نجاح هذه المهمة - يعني مراجعة تراث السلف -
قائم على أمرين هامين هما : زيادة التدبر لآيات القرآن الكريم - وتوثيق
الروابط بين الأحاديث الشريفة ودلالات القرآن القريبة والبعيدة⁽²⁾

نعم ، أتوجه بالأسئلة من جديد إلى سماحة الدكتور وأنصاره ما رأيكم
فيما يدعو إليه الشيخ الغزالي في هذا الحديث ، وهل هناك الفرق بين
دعوته وبين ما ندعوكم إليه في كتابنا ، وهل هو متطفل قليل البضاعة في
علم الحديث كما تزعمون في أمرنا . وهل أصبح هو ملحدًا وزنديقًا
عندما أشار إلى المواد الضعيفة التي لا يستقيم معناها بالنص القرآني
ولا بخصائصه في صحيح البخاري ومسلم؟ فما جوابكم على ما يأخذ
عليكم من التعسف وسوء التأويل في معاني بعض الأحاديث ، وهل هو
جاهل بمقاصد نصوص الحديث ومدلولاتها . وهل فيكم بعد هذا كله من

(1) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث ، ص 36

(2) راجع ذلك . مقدمة كتابه : السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث . ص 6 .



فَهَمَ هذه العبارة الآتية من خطاب الشيخ ، فيقوم بترجمتها لنا حتى نفهمها فهما صحيحاً . وذلك قوله تعالى « على أن هناك آلافاً من الأحاديث الخالية من العلل والشذوذ تم تسجيلها في دواوين السنة ، فإذا بقي نزرٌ يسير يتعاون في ضبطه الفقهاء والمحدثون فذلك خير وأولى »

هذه التساؤلات كلها هي ما يجب على غلاة أهل الحديث إيراد الأجوبة عنها .

وبعد ، قد ينكر هؤلاء الدكاترة السلفيون ما ندعوهم إليه من مراجعة التراث النبوي على خصائص القرآن العامة والخاصة ، فيقولون إنها دعوة إلحادية أو استشراقية ، لا أصالة فيها كما يزعمون ولا جودة ، لذلك أرى من الواجب عليّ أن أنقل لهم قصة شيخ المحدثين التي وردت في كتاب «العقد الفريد» والتي تحقق ما ذهبنا إليه من أصالة هذا الرأي منذ زمن قديم ، وهذا الشيخ المحدث الحافظ هو أبوبكر محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري .

« دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثونا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات! قال الزهري : باطل يا أمير المؤمنين! أنبيُّ خليفة أكرم على الله ؟ أم خليفة غير نبيٍّ ؟ قال : بل نبيٌّ خليفة قال : فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام : ﴿ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (ص:26) » فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي



خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال الوليد : إن الناس ليغووننا عن ديننا⁽¹⁾.

هكذا كان الأمر في تاريخ علماء الحديث بالأمس الدابر ، فلماذا كانوا في هذا اليوم ينكرون هذا المقياس الصحيح وينكرون استخدامه في تنقيح الأحاديث النبوية وتهذيبها ، وهذا هو ما يأتي جوابه في الفصل الآتي!



(1) العقد الفريد شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، 60/1 ط ، دار الكتب العلمية بيروت .



السنة النبوية بين أهل الشرق وأهل الغرب

قد ظهر فيما سبق من القول إن بعض علمائنا القدامى قد أنكروا الأحاديث التي لا يستقيم معناها بنصوص القرآن ، وذهبوا إلى أن تلك الأحاديث موضوعة بلا شك ، وخاصة الفقهاء منهم فهم الذين شددوا النكير على الأحاديث الموضوعة ، وأن عائشة رضي الله عنها هي أول من قامت بمهاجمة قائلها ، وهي صحابية فقيهة بلا شك وهي أول حاملة لواء رفض الأحاديث الكاذبة والموضوعة ، وقد انتقدت هي حديث « لا يدخل الجنة ولد الزنا » كما يقول سماحة الدكتور في كتابه - لأن هذا الحديث يخالف قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (الأنعام: 164) ويناقض قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (المدثر: 38) وقوله ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم: 39) ⁽¹⁾ ثم جاء من بعدها الفقهاء من علماء الحديث في عصر التابعين ، وتابعي التابعين كالإمام مالك وأبي حنيفة والشافعي والزهري وما إلى هؤلاء من الذين عرضوا متون الأحاديث على مقياس القرآن ، ويطلبون علوم الحديث لتكون لبنة أساس لاجتهدهم وفقهم لا ليملاؤا بها الكرايس والصحف ، وإذا كان الأمر كما نقول فلماذا وجدنا الأحاديث التي لا يستقيم معناها بالنص القرآني في صحيح البخاري ومسلم ، وفوق هذا فلماذا ينكر علماء الحديث في هذا اليوم عرض صحيح البخاري ومسلم على ضوء القرآن في خصائصه ومميزاته؟

هذان سؤالان يجب على الباحث المحقق أن يطلب لهما حلولا حتى يستقيم له صلب البحث وترائبه كما يقال في هذه الأيام .

(1) راجع كتاب « عن صحيح البخاري . ص 144

إن الشيء المحقق هو أن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري حافظ وفقه من أئمة الفقهاء المحدثين وكان له باع طويل في الفقه والاجتهاد ، وقد يقول بعض العلماء إنه حنبلي إذ هو ممن ذكرهم ابن أبي يعلى في كتابه طبقات الحنابلة ⁽¹⁾ وقد يقول آخرون إنه شافعي لذلك كان الشيخ تاج الدين السبكي يذكره في كتابه طبقات الشافعية الكبرى ، لكنه مما لا جدال فيه بين جمهور العلماء أنه مجتهد مستقل ، لم يقلد أحداً في أي مذهب من المذاهب الأربعة ، وهذا هو ما رجحه عدد كبير من المتقدمين والمعاصرين ⁽²⁾

قال ابن تيمية « أما البخاري وأبو داود فإمامان في الفقه من أهل الاجتهاد ⁽³⁾ .

وقال الذهبي « كان إماماً حافظاً حجة رأساً في الفقه والحديث مجتهداً من أفراد العالم » وقال محمد أنور الكشميري « إن البخاري عندي سلك مسلك الاجتهاد ولم يقلد أحداً في كتابه » ⁽⁴⁾ وقال الدكتور نور الدين عتر : « أما البخاري فكان في الفقه أكثر عمقا وعوضا ، وهذا كتابه كتاب إمام مجتهد غواص في الفقه والاستنباط ، بما لا يقل عن الاجتهاد المطلق ، لكن على طريقة فقهاء المحدثين النابهين ، وقد قرأ منذ صغره كتب ابن المبارك ، وهو من خواص تلامذة أبي حنيفة ثم اطلع على فقه الحنفية

(1) طبقات الحنابلة ، أبو الحسين محمد بن محمد بن أبي يعلى ، 172/1 طبعة دار المعرفة .

(2) الإسلام سؤال وجواب : ماذا كان مذهب الإمام البخاري نسخة محفوظة ، 10 مارس 2016م .

(3) مجموع الفتاوى : ابن تيمية تقي الدين الحراني ، 40/20 ، طبعة مجمع الملك فهد

(4) فيض الباري على صحيح البخاري محمد أنور شاه الكشميري ، 438/1 ، طبعة دار الكتب العلمية



وهو حدث - كما أخبر عن نفسه - واطلع على فقه الشافعي من طريق الكرابيسي ، كما أخذ عن أصحاب مالك فقهه ، فجمع طريق الاجتهاد إحاطة واطلاعا ، فتهياً له بذلك مع ذكائه المفرط وسيلان ذهنه أن يسلك طريق المجتهدين ، ويبلغ شأوهم ، وهذا كتابه شاهد صدق على ذلك ، حيث يستنبط فيه الحكم من الأدلة ، ويتتبع الدليل دون التزام مذهب من المذاهب ، والأمثلة التي ضمها بحثنا عن فقهه وما أوجزنا من القول في عمق تراجمهم وتنوع طرق استنباطه يدل على أنه مجتهد بلغ رتبة المجتهدين ، وليس مقلداً لمذهب ما كما يدعي بعض أتباع المذاهب»⁽¹⁾

«وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : « كان مجتهدا في الفقه وله دقة عجيبة في استنباطه من الحديث»⁽²⁾

هذه هي شواهد العلماء القدامى والمعاصرين على أن الإمام البخاري فقيه مجتهد ، جمع بين الفقه وعلم الحديث ، فلماذا لم يسلم كتابه من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة؟ هنا يجب أن نعترف أن كثيرا من كتب التراث التي جمعت في العصر الأموي والعباسي لا تخلو من التنديس والتحريف والتزوير ، بل ليست منها ما لم يكن فيه الوضع والانتحال إلا القرآن وحده الذي وعد الله بحفظه للأجيال .

وهنا نعلم أن قضية الوضع والانتحال لم تكن في الشعر العربي فقط كما يظن بعض الناس ، وإنما تعم جميع كتب التفسير والتوحيد ، وكتب السنن والمسانيد ، لذلك كان من السهل جداً أن تبحث في تفسير ابن جرير وابن كثير أو تفسير الخازن والكشاف ، فتجد فيها شيء من الضعيف والموضوع ، ولقد تحدثنا من قبل عن هذا الوضع وأسبابه ،

(1) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعيه وبين الصحيحين : نور الدين علي ، 391/1 .

(2) مصطلح الحديث : محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، 46/1 طبعة مكتبة العلم

وتحدثنا عن رجال الوضع وأنواعهم ، وكان العلماء القدامى قد ألفوا بكثير عن الموضوعات والوضايع ، وألفوا كذلك بكثير عن مجهودات العلماء في مكافحة الوضع والأحاديث الموضوعة ، لكن مع ذلك كله ، لا تزال الأحاديث الموضوعة باقية في كتب التراث حتى اليوم ، وبنوع خاص في صحيح البخاري ومسلم ، ذاك الكتابان اللذان أجمعت الأمة - كما يقال - أن كليهما قد سلم من الوضع والانتحال . وأن كليهما قد ظفر بعناية التنقيح والتمحيص التي لا يظفر بها كتاب آخر من كتب السنن والمسانيد . وسبب هذا كله يعود إلى الوضع المشهورين والمجهولين ، ولقد تحدث العلماء بكثير عن الوضع المشهورين من فساق وزنادقة وقصاصين ، وأصحاب البدع والأهواء ، وأهل التعصب المذهبي والجنسي والقبلي ، وأهل الجهل والغفلة ، أو أهل التملق للملوك والأمراء ، أو أهل الكذب في أحاديثهم العامة والخاصة ، وما إلى هؤلاء ممن شغل بهم العلماء نقداً وتمحيصاً ، قد تحدثوا عن هؤلاء جميعاً ، وتحدثوا عما قاموا به في رحاب السنة واقترفوا من إثم مبین . لكنهم بعد هذا كله لم يبحثوا عن الوضاعين المجهولين وآثارهم في تحريف كتب التراث والتدسيس فيها عن تعمدٍ أو نسيانٍ . وهؤلاء الوضّاعون المجهولون هم اليهود والنصارى والورّاقون .





أثر اليهود والنصارى والوراقين في أحاديث الصحيحين

إن الباحث المحقق لا ينكر أن كثيرا من الإسرائيليات دخلت في كتب التراث عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا ، وأن الصحابة قد نقلوها منهم بحسن نية وسلامة ضمير ، ولا ينكر كذلك أثرها السيئ في كتب التراث وما جرت على الإسلام من طعون أعدائه ، ظنًا منهم أنها منه والإسلام منها براء .

ولقد اشتهر ثلاثة من هؤلاء اليهود الذين أسلموا ، وكان واحد منهم صحابيا أسلم بين يدي النبي ، وهو عبد الله بن سلام ، وثانيهم أدرك النبي ولم يسلم بين يديه ، وإنما جاء إلى المدينة بعد وفاة النبي في أيام عمر فأسلم ، وهو كعب الأحبار لذلك كان تابعيا . وثالثهم هو تابعي جليل أيضا ولد في أيام عثمان وهو عالم كبير وأديب قصصي له معرفة واسعة بكتب الأوائل من الأساطير والإسرائيليات ، وكان اسمه هو وهب بن منبه . وكان اثنان منهم يمانيين وهما كعب ووهب وواحد منهم يهودي من يهود بني قينقاع في المدينة . وهو عبد الله بن سلام .

أما الذي كان له أثر بعيد في وضع الإسرائيليات هو كعب الأحبار الحميري ، حيث أسلم في أيام أبي بكر أو عمر وروى عن عمر وصهيب وعائشة ، وروى عنه بعض الصحابة مثل معاوية وأبي هريرة وابن عباس ومالك بن عامر الأصبحي .

قال الذهبي رحمه الله : هو كعب بن مانع الحميري اليماني ، العلامة ، الحبر الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة من



اليمن في أيام عمر ، فجالس أصحاب محمد ﷺ ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب ، ويأخذ السنن عن الصحابة وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء⁽¹⁾

إن أول شيء يُريني في أمر كعب ويجعلني أقف موقف تردد في إخلاصه هو أنه أدرك النبي ولم يأت إليه ليعلن إسلامه ، وأدرك أبا بكر ولم يأت إليه أيضا ، وإنما جاء في أيام عمر ، حيث كان الإسلام ينتشر انتشاراً غير مدافع ، فأعلن إسلامه ، وقال عنه ابن كثير رحمة الله عليه :

« فإن كعب الأخبار لما أسلم في زمن عمر ، كان يتحدث بين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بأشياء من علوم أهل الكتاب ، فيستمع له عمر تأليفاً له وتعجباً مما عنده مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر ، فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأخبار ، لهذا المعنى ، ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل ، لكن كثيراً ما يقع فيما يرويه غلطٌ »

« وقد روى البخاري في صحيحه عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان يقول في كعب الأخبار « وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب »⁽²⁾ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« لما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس ، وأراد أن يبنى مصلًى للمسلمين : قال لكعب أين أبنيه؟ قال ابنه خلف الصخرة ، قال : خالطتك يهودية يا ابن اليهودية ، بل أبنيه أمامها (وذلك لأن اليهودية تعظم تلك الصخرة ، ولم يأت ديننا بأيّ فضيلة لها)⁽³⁾ »

(1) سير أعلام النبلاء، 4/472

(2) البداية والنهاية : ابن كثير . 1/34 ، 35

(3) مجموع الفتاوي ، 15/153



هذه هي سيرة كعب الأخبار بين المسلمين ، حيث كان بعض الصحابة يعتمدون على رواياته وينقلون منه دون تحفظ ولا حذر فمن هؤلاء هو أبو هريرة ، ومنهم من احتاط كل الاحتياط في نقل الأخبار منه ، حيث يقبلون منه ما صفا ويتركون ما كدر على بصيرة من أمرهم ، فمن هؤلاء هو عمر بن الخطاب ومعاوية بن سفيان رضي الله عنهما .

وليس من شك أن كعب الأخبار هو أول من قام بعملية التدريس في التراث النبوي ، حيث كان لم يجلس لدرس القرآن الكريم حفظا وتلاوة عندما أسلم ، وإنما كان يجلس للتحديث ، وفوق هذا هو لم يتحدث عن رسول الله ﷺ ، وإنما يجلس لدرس الإسرائيليات ، والأحاديث الموضوعة عن أنبياء بني إسرائيل ورهبانهم ، الأمر الذي جعل عمر ينهيه عن ذلك بقوله الشهير « لتترك الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة »⁽¹⁾ وقد يكون عمر رضي الله عنه متشددا في الرواية ، حيث ينهى المحدثين عن كثرة التحديث خوفا من أن تختلط السنة بالقرآن ، أو أن يتسرب الكذب والتدليس إلى السنة النبوية الشريفة وما إلى ذلك من الأسباب ، ولكن لا يوجد منع التحديث عن الأول من أحد من الصحابة ، إلا ما نهى عمر كعباً عنه ، فهو الوحيد الذي يتحدث عن أساطير الأولين ولا يأخذ عنهم من القرآن شيئاً . إذ لو أخذ القرآن من الصحابة لثبت رواية ذلك في كتب السنة أو التاريخ .

ثم كان الرواة قد زادوا الطين بلة في هذا الأمر ، حيث كانوا يختلطون فيما يأخذونه من أبي هريرة ، كما قلنا سابقا ، حيث كانوا يسندون حديث كعب إلى النبي وحديث النبي إلى كعب ، فتزداد مثل هذه الأحاديث تعقداً واختلاطاً .

(1) ورد هذا الحديث في تذكرة الحفاظ للذهبي في ترجمة عمر ، وأخرجه أبو ذرعة الدمشقي في « تاريخه » ص 544 .



ثم يأتي من بعدهم الوراقون فيدسّ بعضهم ما شاء الله أن يدسّ في كتب الأحاديث والسنن . ذلك في حياة أصحاب الكتب أو بعد مماتهم ، وليس منا ببعيد ما وقع لسفيان بن وكيع بن الجراح الذي كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه ، فأدخل عليه ما ليس بحديثه⁽¹⁾ ، وكذلك ما وقع لحمار ابن سلمة وهو ثقة عابد مع ربيبه الكذاب⁽²⁾ ، وليس من شك أن لهؤلاء الوراقين أثراً إيجابياً وسلبياً في تدوين الحديث ، أما ناحية السلب فمنها التصحيف والتحريف ، ومنها التخليط في الضبط ، ومنها الإدخال على الشيوخ وإفساد أحاديثهم ، ومنها الخطأ والوهم في الأحاديث ، ومنها الوضع والكذب في الأحاديث وما إلى ذلك مما ذكره صاحب كتاب «الوراقون وأثرهم في الحديث» وخاصة في الفصل الأخير من الكتاب .

وليس ببعيد إذن ولا مستحيل أن يقع كتاب صحيح البخاري أو صحيح مسلم على أيدي الوراقين بعد وفاة الإمامين ، فيقع منهم في الصحيحين الوضع والكذب أو الخطأ والوهم ، وخاصة ما ورد فيهما من القصص الإسرائيلية وأحاديث الفضائل الموضوعة وما ذلك عليهم بعزير .

وصفوة القول من هذا كله هو أن نفترض وجود التدسيس في صحيحي البخاري ومسلم ، على الطريقة التي نقوم بشرحها منذ بداية هذا الفصل ، ثم نفترض كذلك ، أن علماء اليهود قد أسهموا بكثير في عملية هذا التدسيس ، أثناء حركة الجمع والتدوين ، وليس في هذا الكتاب نقوم بنقد وتحليل ما يتعلق بأمور كعب الأخبار من شبهات ، وما أشار إليه علماء السنة من شهادة كثيرة من الصحابة له على صدق إسلامه وقوة إيمانه ، فإن

(1) راجع ذلك : الوراقون وأثرهم في الحديث : عبد الله بن عبد المعطي ، مقاط رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية غزة 2015م

(2) المرجع السابق : في باب «الإدخال على الشيوخ وإفساد أحاديثهم»



تفصيل ذلك يأتي في كتاب آخر إن شاء الله . أما الذي لا شك فيه الآن فهو أننا لا نستطيع أن نبرأ كعبا من التحديث والتدسيس ، كما لا نستطيع أن نبرأه من الوضع والكذب الذي يتهمة به معاوية ، أو من العصبية اليهودية التي يتهمة بها سيدنا عمر بن الخطاب⁽¹⁾ ، وهاتان الحركتان - يعني حركة التدسيس وتهويد التراث النبوي - قد قام بهما كعب الأخبار في وقت واحد على حين غفلة من الصحابة . وأعانه على ذلك قوم آخرون ، وهم الرواة الوضّاعون والنسّاخُ الوراقون ، الذين اختلط عليهم الأمر ، فلم يستطيعوا أن يميّزوا بين الحق والباطل بعد مرور الزمان ، وهذا هو ما جعلنا نرفض أحاديث الرجم وغيرها من الأحاديث التي فيها طابع إسرائيلي يهودي كل الظهور .

ثم جاء هذا العصر ، وزاد الطين بلة ، بعد كشف هذه الدسائس اليهودية عن طريق المنهج العلمي الموضوعي في صحيح البخاري وغيره من كتب السنة ، على أيدي المستشرقين الذين أتوا من الغرب ، بمقاصد حسنة وخبيثة معا ، وفوق هذا كان هؤلاء لم يذهبوا إلى وضع الأحاديث المكذوبة ولم يعتنوا بالإسرائيليات المفترية لأنهم يعلمون أن العرب والمسلمين قد اكتشفوا مكامن ذلك الكيد والمكر في تراثهم ، وإنما لجأوا إلى كيد آخر أدهى وأمر ، وهو تحريف حقائق الإسلام وتشويه صورة النبي عن طريق أحاديث وضعها أسلافهم من اليهود على لسان أصحاب النبي بالذات وزوجاته أمهات المؤمنين⁽²⁾ ، لذلك نقوم وندعو علماء السنة إلى مراجعة تلك الأحاديث الموضوعة على ضوء القرآن الكريم والسنة

(1) ولقد قام بعض علماء السنة بالدفاع عن كعب الأخبار ، وقاموا بتفنيد الشبهات التي أحاطت بسيرة حياته ، وتأولوا بكثير معنى الكذب الذي أسند إليه في حديث معاوية ابن سفيان كعادتهم في كثير من الأمور.

(2) في صحيح البخاري 37-26/1



المتواترة ، لأن عدم القيام بهذه المراجعة أو التنقيح والتهديب في أقرب وقت ممكن يؤدي إلى ما هو أشد من أزمة دينية معاصرة ، وجدنا أنفسنا فيها في هذه الأيام . لأن يهود أمس هم يهود اليوم ويهود الغد وهم قوم في حركتهم لا يفترون وهم كما وصفهم القرآن في أدق وصف وتصوير ، حيث يقول عز من قائل في كتابه الكريم :

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۚ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَٰئِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ﴾ (البقرة: 120)

فهذه الآية هي التي جعلتني أشك في إخلاص كعب الأخبار الذي عاصر النبي ولم يأت إليه مسلماً إلا بعد وفاته . ولقد سأله العباس عن ذلك ؟ إن صح ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال العباس لكعب : ما منعك أن تسلم في عهد النبي وأبي بكر؟ فقال : إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة فقال : أعجل به وختم على سائر كتبه وأخذ عليّ بحق الوالد على الولد ، أن لا أفرض الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام ، قلت لعل أبي غيب عني علماً ، ففتحتها فإذا صفة محمد وأمه ، فجئت الآن مسلماً⁽¹⁾

انظر إلى هذه الرواية الواهنة ، انظر إلى كعب كيف يلعب بعقول المسلمين ، وهو لم يفتح رسالة أبيه في عهد النبي ولا في عهد أبي بكر وإنما فتحها في عهد عمر الذي لاحظ فيه سيطرة الإسلام على الجزيرة العربية كلّها ، كذلك كان كعب يستغل كل الفرصة ، بمكر ودهاء ، ويقترّب من أبي هريرة الذي هو رجل يمّني مثله ، فأخذ يستغل دماثة

(1) راجع : ترجمة كعب الأخبار في كتاب « الحديث والمحدثون » محمد محمد أبو زهو ، ص 180 ، دار الفكر العربي القاهرة



خلقه استغلالاً فاحشاً ، وذلك في مصاحبته ومجاملته وتعليمه أخبار علماء بني إسرائيل ، أما عمر فقد استغله كعب في بداية الأمر ، فأخذ يحدثه بما في التوراة ، لكنه لم يلبث أن فطن لكيدته ومكره فهده بطرده إلى أرض القردة ، أما العبادلة الثلاثة أعني بذلك عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص فهم لا يزالون يروون عنه إلى أن توفي رحمه الله .

قال ابن خلدون في كتابه « المقدمة »

« لقد تلاقت أهداف السلطان مع أهداف البعض من أهل الكتاب الذين تضافرت جهودهم بعد أن غلبوا على أمرهم وأخرجوا من ديارهم لإيجاد وسيلة ناجعة لتحقيق أهدافهم ، فجعلوا أول همهم ضرب المسلمين في صميم دينهم ، وبعد عجزهم من أن ينالوا من كتاب الله الذي حفظ بالتدوين في مواد الكتابة أو في الصدور ، وأصبح في منعة من التحريف ، اتجهوا لأحاديث رسول الله ﷺ التي لم تدون ولم تكتب في عهده كما كتب القرآن الكريم ، ولا كتبه صحابته - من بعده - ولكي يصل هؤلاء الأخبار الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار ، ولا يعترفون لأحد بفضل ، ولا يقرون لنبي بعد موسى عليه السلام إلى مآربهم ، استعانوا بمكرهم ودهائهم ، فطووا نفوسهم على دينهم وتظاهروا بالإسلام والورع والتقوى ، وبعد أن سكن إليهم المسلمون واغتروا بهم ، افتروا على رسول الله ﷺ « أحاديث لم تصدر عنه ، وإسرائيليات باتت تلموداً للمسلمين ومصدراً من مصادر تفسير القرآن »⁽¹⁾

(1) مقدمة كتاب العبر : للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، ص 439 ، مؤسسة الرسالة 1377هـ

هذا حديث ابن خلدون فهو حديث جهيزة ، وقد قطع قول كل خطيب ، وإذا كان الأمر كما يصفه ابن خلدون فلماذا يخاف علماء السنة في هذا اليوم ، مراجعة صحيح البخاري على ضوء القرآن الكريم .

فالجواب هو أن هؤلاء العلماء السنيين يظنون أن الإقرار بوجود الروايات الموضوعة في الصحيحين يؤدي إلى فقدان الثقة بهما ، ثم يؤدي في نهاية الأمر إلى الطعن في السنة النبوية الشريفة جملة وتفصيلا ، وقد يؤدي إلى الطعن في القرآن الكريم كما يزعمون!

ونحن نقول لمثل هؤلاء القوم إنهم لا يعلمون أن بقاء مثل هذه الروايات المنكرة في الصحيحين ، وإسنادها إلى رسول الله كما هي الآن ، يؤدي حينا بعد حين إلى الشك في نبوته ، وإلى الشك في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم .

ثم إن هذا العناد في الدفاع عن أحاديث مناقضة للقرآن الكريم بشكل واضح مفضوح ، بحجة كونها ثابتة في الصحيحين هو الذي أدى إلى العيوب المنهجية التي انتشرت في كتب غلاة علماء السنة والجماعة ، وهو في نفس الوقت يقوّي شبهات الطوائف الإسلامية المتمردة على معتقدات أهل السنة والجماعة ، ويفتح ثغرة فارغة كبيرة للملاحدة والزنادقة على التدخل في أمور الدين والقيام بتدمير هويّته! فمتى نتراجع من هذا الإصرار الباطل على الجمود والتزمت ؟ علم ذلك عند الله !





العيوب المنهجية في كتابات غلاة علماء السنة الواردة في البحوث العلمية

ثم إن أبرز ما يؤخذ على غلاة علماء السنة في كتاباتهم هو عدم تمسكهم بالمنهج العلمي الدقيق في بحوثهم ، لذلك كان من السهل جداً أن يقوم علماء الشيعة أو المستشرقون بالرد عليهم ، وإبراز هذه الردود في صورة جلية ومحورية ، ومن العجب أننا لم نستطع أن نقرأ كتاباً واحداً ألفه رجل من علماء السنة في هذا العصر إلا ويشكو فيه من الشيعة والمستشرقين . أو يشكو عما أحدثوا في السنة من الاضطرابات العقلية والدينية ، وقد يتعدى هؤلاء الحدود في اتهام غيرهم بالتشيع والاستشراق ، إلى رمي كثير من العلماء بسهام البدعة أو الزندقة والإلحاد . كلما عجزوا عن الردّ العلمي الدقيق ، أو أحسُّوا بالقصور في الدفاع عن معتقداتهم الدينية ، وقد يلجأون أحياناً إلى اللعن والشتم ، أو إلى التفسير والتكفير . مع أن سبب هذا كله يعود في نظري إلى العيوب المنهجية التي كانوا يقعون فيها كلما يكتبون للرد أو الدفاع . وهذا هو الذي حملني إلى أن أتحدث عن أهم هذه العيوب المنهجية حديثاً مجملاً لا إسهاب فيه ولا تطويل؟ فيمكن لهم إعادة النظر فيها عاجلاً أو آجلاً .

أ- التعصب المذهبي :

يقول فؤاد زكريا في كلام له عن التعصب : « التعصب هو اعتقاد باطل ، بأن المرء يحتكر لنفسه الحقيقة أو الفضيلة وبأن غيره يفترون إليها ، ومن ثمَّ فهم دائماً مخطئون فحين أكون متعصباً لا أكتفي بأن أنطوي على ذاتي

وأنسب إليها كلّ الفضائل ، بل ينبغي أيضا أن أستبعد فضائل الآخرين وأنكرها وأهاجمها»⁽¹⁾

ويقول في موضع آخر من الكتاب

«إن التعصب بكل أنواعه ، كالتعصب العنصري والتعصب القومي المتطرف وغيرها ، كلّها تشترك في سمة واحدة هي الانحياز إلى موقف الجماعة التي ننتمي إليها دون اختيار ودون تفكير ، والاستعلاء على الآخرين والاعتقاد بأنهم أخط»⁽²⁾

«إذا وقع الباحث في أسر التعصب كان من السهل وصمه بالذاتية التي هي نقيض الموضوعية والعلم»⁽³⁾

على هذا النحو من الحذر الشديد كان العلماء ينظرون إلى التعصب العنصري أو الديني أو المذهبي ، وينظرون إلى أثره في أي بحث من البحوث العلمية ، حيث كان الباحث المتعصب لا يمكن أن تكون نتيجة بحثه علمية بالمعنى الصحيح ، أو تكون موضوعية بأيّ حال من الأحوال ، فأنت ترى من قبل كيف كان ابن تيمية وابن المطهر ، يخوضان في غمار حرب المذهبية ورأيت ما جرى بينهما من المناقشات حول التسنن والتشييع ، ورأيت كذلك كيف كان ابن تيمية متعصباً ومتطرفاً في تعصبه وسنيته ضد منافسه ابن المطهر ، ورأيت كيف كان هذا التعصب المذهبي يذهب بقيمة كتابه المنهاج ، وأخرجه عن الموضوعية العلمية ، إلى دائرة الذاتية والمذهبية ، ثم أبعده بعد ذلك عن روح العدل والإنصاف على رغم ما في الكتاب من حقائق تاريخية لا تجحد ولا تنكر

(1) التفكير المستقيم والتفكير الأعوج . ص 183 ، ط. 1 .

(2) المرجع السابق . ص 178 .

(3) البحث في التاريخ قضايا المنهج والإشكالات . ص 20



هكذا كان غلاة علماء السنة يفعلون كلما احتدم الجدل والنقاش بينهم وبين غيرهم من علماء المسلمين ، فإنهم يقومون بسلب أهم أخلاقهم الفاضلة ، ويجردونهم عن كل أوصاف جميلة ، ويسندونهم إلى التبديع والتفسيق في أمور الدين ، وقد يؤدي أحيانا إلى تكفير أهل الملة ، وهذا بالطبع هو ما جعل مولانا الشيخ آدم عبد الله يتحدث عن موقف كبير القضاة في نيجيريا سابقا من أهل التصوف ، وفي ذلك يقول في كتابه «الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا» :

« كان الجو كله بينه وبين العلماء هادئاً وسلاماً إلى أن أخرج كتابه المسمى «العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة» هجم فيه على مشائخ الطريقة القادرية والتيجانية المعاصرين له في نيجيريا ، وانتقد ما في كتاب الفيوضات الربانية من كتب القادرية ، وما في جواهر المعاني من كتب التيجانية ، واعترض على شطحات الصوفية وكفرهم بها فقام أولئك برد الفعل العنيف»⁽¹⁾

أما أولئك العلماء الذين قاموا برد الفعل العنيف كما يقول الألوري فمنهم الشيخ محمد الناصر الكبري في مدينة كنو ، والشيخ إبراهيم صالح ميدغوري ، والشيخ طاهر عثمان بوتشي من مدينة كدونا ، وطائفة من علماء إلورن تحت قيادة الشيخ آدم عبد الله الإلوري ، والشيخ محمد ميماسا والشيخ علي جبّتا .⁽²⁾

ثم لم يلبث أن ظهر محاضر آخر جامعي كان اسمه محمد الطاهر ميغري ، فألف كتاباً آخر يهاجم فيه أهل التصوف مهاجمة عنيفة ،

(1) آدم عبد الله (العلامة) الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا ، ص 85 ، ط 1 .

(2) راجع في ذلك : رفع الشبهات عما في القادرية والتيجانية من الشطحات ، لجنة من العلماء الصوفية في مدينة إلورن ، مطبعة الثقافة الإسلامية أغيني



ويخص بهذا الهجوم الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي ، فقام بالرد عليه طائفة من أعلام التيجانية لمدة عام أو عامين ، ثم يبدو كأن الأمر قد هدأ واستقرّ بين الفريقين ، ثم لم يلبث أن قامت طائفة أخرى لم تتصل بهؤلاء ولا بأولئك من أبطال الرجال الذين يخوضون غمار حرب العقيدة في هذه الديار ، وإنما كان هؤلاء طلابا جددا تخرجوا في الجامعات العربية السعودية ، وكان هؤلاء الطلبة هم الذين حملوا لواء الدعوة السلفية من جديد ، وأذكوا نار الحرب من جديد في بداية هذا القرن الحادي والعشرين ، أما أبناء الصوفية فما كانوا يستطيعون أن ينسوا تلك الخصومة الدينية العنيفة التي كانت بين آبائهم وآباء أولئك السلفيين في القرن الماضي ، ولا تلك القضايا التي جرت بينهم في أمور الدين كلّها كذلك كانت هذه المصارعة الدينية العنيفة تنتقل من جيل الآباء الذين كانوا أبطالاً بالأمس إلى جيل الأبناء الذين لا يزالون في اليوم أشبالاً يعارض بعضهم بعضاً في الدعوة والعقيدة ، ولم تكن هذه المعارضة هيّنة ولا ليّنة ، وإنما كانت تقدر بمقدار ما كان لأهلها من قوة وبأس ومنعة في الحياة الاجتماعية والسياسية ، فأما سلفية شمال البلاد فقد تأمروا بالشيخ عبد الجبار بن محمد الناصر الكنوي ، ونصبوا له العداوة وساقوه من مدينة كنو إلى مقر البوليس في أبوجا مرتين بتهمة قتل واحدٍ من رؤسائهم ، وأما سلفية جنوب البلاد ، الذين كان منهم الدكتور عبد الرحمن وأنصاره ، فقد تألبوا على الشيخ محمد حبيب الله آدم عبد الله الألوري تألباً شديداً وجاهدوه جهاداً عقلياً ، موضوعياً وغير موضوعياً . ثم انتهت الخصومة إلى الفوضى والضجيج في لاغوس وإبادن وإلورن⁽¹⁾

(1) راجع تفاصيل هذه الأمور في كتاب «صراع الأجيال حول قضايا الإسلام في نيجيريا». آدم يحيى عبد الرحمن ، ص 20-25 ، ط 1 ، مكتبة وهبة مصر .

وما مصدر هذه الخصومات كلها إلا التعصب المذهبي الذي يحاول صاحبه أن يتغلب على خصمه بكل وسيلة ولا يراعي فيه أدب الحوار ، ولا يتصف بروح العدل والإنصاف ، بل كل ما يهيمه فيه هو استبعاد فضائل الآخرين وإنكارها ومهاجمتها بحق وبغير حق . وهذا كما ترى هو الذي أدى إلى إهمال الأدلة المضادة .

ب - إهمال الأدلة المضادة :

ليس من شك أن من أسوء العيوب المنهجية ، وأشدّها خطورة على نتائج أي بحث علمي هي أن يتجاهل الباحث الأدلة المضادة في بحثه أعني بذلك ، أن لا يذكر الباحث ما يخالف رأيه ، دليلاً وبرهاناً ، أكان ذلك بسبب إهماله أم تحييزه أم لأيّ شيء آخر ، حيث كان من الممكن لمثل هذا الباحث أن يلغي أو يخفي الأدلة التي لا تؤيد منهجه أو نظريته ، غشاشاً يزيّف أدلة الآخرين ، وينكر حجّتهم ويتجاهل بأمرهم ، ويعتمد على الانتقائية في اختيار المصادر المؤيدة دون أن يلتفت إلى مصادر أخرى معارضة ، وينتهي من بحثه حاكماً ظالماً يسعى وراء الأدلة التي تنفي آراء الخصم أكثر من تلك التي تؤيده . وهو لا يعلم كما يقول الدكتور توفيق الطويل - « أن الأمثلة الإيجابية - أي التي تؤيد صحة فرض من الفروض - لا تكفي لإثبات صدقه ، لأن الشواهد السلبية التي تنفي صحته أهم في مجال الاختيار والتمحيص من الشواهد المؤيدة له ، بل إن مثلاً واحداً يتنافى مع الفرض يكفي لهدمه ، وبيان فساده بإلغاء عدد الشواهد المؤيدة لصدقه» .⁽¹⁾

(1) دليل منقول من بحث «العيوب المنهجية» خالد بن منصور بن عبد الله الدريس . ص 40 ، 41 ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

ولقد رأينا من قبل كيف كان موقف الشيخ محمود أبوبكر جومي من أهل التصوف . ورأينا كيف كان يهاجمهم بكتابه «العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة» ورأينا كذلك كيف كان يرمي أهل التصوف بالبدعة والكفر والإلحاد . وahan الوقت أن ننظر إلى كتابه من جديد ، فنرى كيف كان يسوق أدلته على هذا التكفير والتبديع ، لنرى ما فيه من إهماله الأدلة المضادة ، وفي ذلك يقول :

« كان أعداء الإسلام يشنون عليه غاراتهم من كل وجه ، ولم ينتصروا على المسلمين إلا في ناحية الثقافة الهدامة ، وصرف أولاد المسلمين عن تعلم دينهم ، وعن اللغة العربية التي هي لغة الدين فمن جهلها فقد جهل الدين الحنيف ، فاعتمد أعداء الدين أولاً إلى كتابة كتب تخرب السنة باسم الكشف والولاية ، ودسوها إلى الأمة الإسلامية بواسطة شيوخ الطريق الذين عظموهم وأعطوهم سلطة مطلقة فبدلوا العلم بالجهل ، والعقل بالهوى ، والرشد بالضلال والحق بالخرافات »⁽¹⁾

« وأنا أقول : إن أمثال تلك الكتب اليوم كثيرة في أيدي الناس ، بل عادت تغلب على كتب الدين الصحيحة ، ولا يمكن ذكر جميعها بأسمائها ، لكثرتها ، ولكن يمكن أن تعرف بالضوابط الآتية منها كل كتاب يبين مقامات الأولياء وأحوال النفس ، وكيفية المبايعة ، ويرفع درجات الأولياء إلى المحاوراة بينه وبين الله أو بينهم وبين النبي ، مثل الفیوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ، ومنها كل كتاب وضع على الطريقة التيجانية غير ما كتبه الشيخ أحمد التيجاني بنفسه مثل كتاب - : جواهر المعاني وبلوغ الأماني ، والمستخرجات منه ، ومنها : كتاب يدعو إلى

(1) أبوبكر محمود غومي (الشيخ) العقيدة الصحيحة ، ص 78-80 ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، لبنان 1971م

هجران تعلم العلوم الدينية والعربية التي هي قوام الدين ، ويدعو إلى خدمة شيخ من الشيوخ مثل مؤلفات علماء عصرنا أتباع الهوى والضلال ، فكلّها تدعو إلى البدع وتخريب الدين الإسلامي الصحيح ، وتخرج الناس من النور إلى الظلمات»⁽¹⁾

على هذا النحو من التجريح اللاذع ، كان الشيخ أبوبكر غومي يتحدث عن العلة التي جعلت العقيدة الفاسدة تنتشر في بلاد نيجيريا ، ثم يرد هذه العلة إلى كتب التصوف ، ثم يرى في نهاية الأمر أن منع تداول مثل هذه الكتب في بلادنا يكون أحسن وأولى ، ويكون حصنا منيعا للدفاع عن الدين الإسلامي الصحيح .

من هنا يرى أنصار التصوف أنّه قد تجاوز الحد في حكمه ، وغلا وتطرف في الدعوة إلى إلغاء التراث الصوفي ، ومنع النظر فيه ، لأن التصوف في رأي هؤلاء لم يكن فناً وحيداً ، كثر فيه التأسيس وكثر فيه الوضع والكذب ، وإنما وجدنا في كتب التفسير والحديث والعقيدة ما كان صحيحاً وما كان ضعيفاً وما كان وضعاً مختلقاً ، وفوق ذلك نرى في كتاب ابن ماجه ، ومستدرک الحاكم ما لا يحصيه إلا الله من الأحاديث الموضوعّة ، ومع ذلك لم يوجد أحد من العلماء يدعو إلى حرقها أو تحريم مطالعتها ، خوفاً من نسبة الكذب إلى رسول الله ﷺ ، وهذا كلّهُ هو ما ذهب إليه الشيخ إبراهيم صالح ميدوغوري في كتابه «التكفير» ثم أشار في نهاية حديثه إلى رأي ابن تيمية الذي كان موضع ثقة عند المعترضين وفي ذلك يقول كما قال ابن تيمية :

«فالموجود في كتب الرقائق والتصوف من الآثار المنقولة فيها الصحيح وفيها الضعيف ، وفيها الموضوع ، وهذا الأمر متفق عليه بين جميع

(1) العقيدة الصحيحة ص 79 .

المسلمين ، لا يتنازعون أن هذه الكتب فيها هذا وفيها هذا ، بل نفس الكتب المصنفة في التفسير فيها هذا وهذا ، مع أن أهل الحديث أقرب إلى معرفة المنقولات ، وفي كتبهم هذا وهذا فكيف بغيرهم⁽¹⁾

على هذا النحو كان الشيخ غومي يخفي الأدلة المضادة في كتابه ، فقام غيره من العلماء فأبرز تلك الأدلة بحذافيرها نقداً وتوجيهاً ، وليس من شك أن التعصب المذهبي السلفي هو الذي حمل شيخنا القاضي أبابكر غومي على هذا الخطأ المنهجي الشنيع .

ج - التعميم الفاسد :

إن المنهج العلمي الموضوعي لا يقبل حكم التعميم الفاسد في البحث ، دون وجود استقراء كامل وأدلة كافية ، تؤيد ذلك التعميم علمياً وموضوعياً ، وليس من شك أن عدم وجود الاستقراء الكامل يؤدي إلى تعميمات خاطئة وأحكام فاسدة . ولقد ظهر هذا التعميم الفاسد في كتاب الإسلام في نيجيريا الذي ألفه الدكتور محمد لواء الدين في أخريات هذه الأيام ، حين يتحدث عن أسباب انتشار الإسلام في أرجاء نيجيريا ، وفي ذلك يقول :

« تقدم الجهات الإسلامية المتعددة بالمحافظة على الإسلام في نيجيريا ، والذود عنه بكل غال ونفيس ، والقيام بالدعوة ونشرها في أرجاء نيجيريا ويمكن تقسيم هذه الجهود إلى ثلاثة أقسام :

أ - الجهود التي يبذلها أهل العلم في عهد الخلافة الإسلامية

ب - الجهود التي تبذلها المنظمات الإسلامية المحلية .

ج - الجهود التي تبذلها المنظمات الإسلامية الدولية⁽²⁾

(1) إبراهيم صالح الحسيني (الشيخ) التكفير ، ص 132 ، ط 4 ، 1998م ، دون ذكر المطبعة

(2) محمد لواء الدين (الدكتور) الإسلام في نيجيريا ودور عثمان بن فودي في ترسيخه ، ص 224 ، ط 1 دار الكتب العلمية بيروت 2009م

وبعد هذا التقسيم كما ترى أخذ الدكتور يشرح ويفصل ما أجمل في هذا التقسيم حيث ذكر علماءنا القدامى في القسم الأول وقال إنهم تقليديون ، ولم يقل هو إنهم علماء صوفيون كما قال الألوري في كتابه⁽¹⁾ ، وليس من شك أن أكثر العلماء المعاصرين للشيخ عثمان بن فودي صوفيون قاديون على حسب ما أثبتوه في كتاباتهم ، ثم ذكر الدكتور في القسم الثاني جماعة نصر الإسلام ، ثم ذكر أن أشهر أعضائها بلا منازع هو الشيخ أبوبكر محمود غومي ، وأنت تذكر ما تحدث به الألوري عن الشيخ أبي بكر غومي ، والذي رويته لك في بداية هذا الفصل ، وتذكر كذلك أن مؤسس جماعة نصر الإسلام هو الزعيم السياسي أحمد بللو سردونا ، وليس من شك أنه أشهر من علم ، وأجل شهرة من غومي في العالم الإسلامي ، لكن الدكتور لواء الدين لم يذكر هذا كله في كتابه ، بل كل ما قال هو إن أحد أتباع الشيخ غومي هو الذي أسس جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وكانت هذه الجماعة كما يقول تمثل « حركة سلفية تعمل على تطهير العقيدة الإسلامية من شبهات الشرك والتبرك بالأضرحة والأولياء ، وهي أمور شائعة بين أتباع الطرق الصوفية واسعة الانتشار تاريخيا في نيجيريا وخاصة الطريقة القادرية والطريقة التيجانية وفروعها واستطاعت هذه الجماعة أن تعيد معظم منتسبي هذه الطرق إلى السنة الصحيحة »⁽²⁾

ثم لم يقف هذا التعميم الفاسد في كتابات الدكتور لواء الدين ، وإنما تسرب كذلك إلى كتابات الدكتور عبد الرحمن أحمد الذي ناقشه في هذا

(1) الإسلام في نيجيريا آدم عبد الله الألوري . ص 39 ، ط 2 ، ط غير مذكورة

(2) محمد لواء الدين (الدكتور) الإسلام في نيجيريا ، ص 225 ، 226

البحث ، ولقد قرأت من قبل كيف كان يقلل من قيمة جهود علمائنا القدامى في علم الحديث ، ويعمم في ذلك الحكم الفاسد بأن كتب تنقيح الغيث من الزبد من متون الحديث قد تأخر وصولها إلى كثير منهم ، بل إن لم تكن قد غابت عن أغلبهم فلذلك في نظره لم نجد أثرا إصلاحيا في قمع البدعة من جذورها .

على هذا النحو من التعميم الفاسد كان هؤلاء الغلاة من دكاترة علماء السنة يسировون في كتاباتهم العلمية ، حيث أصبح ذلك التعميم الفاسد سمة عامة في كثير من بحوثهم العلمية حول السلفية والصوفية ، فترى هؤلاء يميلون عن التفاصيل ، ويقفزون إلى التعميمات التي لا تثبت للاختبار قفزا ، بناء على ظن وتخمين أو على شواهد قليلة ضعيفة الدلالة

د - تحريف الكلم عن مواضعه :

ولقد تحدّثت عن هذا الموضوع من قبل فلا داعي في الرجوع إليه من جديد ، لكن يجب أن أضبط هنا أن تحريف الكلم عن موضعه من العيوب المنهجية التي أصبحت بصمة يعرف بها غلاة علماء السنة ، وأنت ترى من قبل كيف كان الدكتور يحرف كلامي ، وعنوان كتابي ، ويقول للناس في كتابه أنني أدعو إلى إلغاء الصحيحين بأكملهما ، ثم أخذ يقول عندما وصل به الحديث إلى أبي هريرة :

« لم يتعرض الأخ آدم يحيى للطعن في أبي هريرة بحب الطعام ، لكنه طعن فيه بأفطع من ذلك ، وهو أنه متشدد وأنه روى أحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ » ، وإنما فعل آدم يحيى هذا لكي يؤيد شيخه في أجيجي الذي زعم أن أبا هريرة أسلم على ملء البطن ، لذلك كان أكثر الرواية من غيره ممن أسلم قبله»⁽¹⁾

(1) عن صحيح البخاري . ص 119

انظر إلى هذا الدكتور الكاذب الدجال كيف كان يقوم بالتحريف والتشويه في حديثي دون تورع ولا اقتصاد ، فأرجو منه في كتاب آخر أن يشير إلى الموضع الذي قلت فيه إن أبا هريرة متشدد حرفا بحرف ، أما أنا فأود أن أنقل للقارئ ما قلت عن أبي هريرة في كتابي السابق وفي ذلك نقول :

« على أننا نريد أن نختم حديث أبي هريرة بملاحظتين :

الأولى : أن هذا الدرس الذي قدمناه عنه ينتهي بنا إلى نتيجة يحسن أن يقف عندها الباحثون ويجهدوا في تحقيقها ، وهي أن كثيرا من أحاديث أبي هريرة هي أحاديث موقوفة ، سمع بعضها من غيره ، ووضع بعضها من تلقاء نفسه أو قد وُضِعَتْ كثير منها على لسانه ، أما الذي رواها من النبي وسمعها منه مباشرة ، فهي أقل من القليل .

والثانية : هي أن تساهلات أبي هريرة في ترويح الأحاديث النبوية قد أدت إلى وضع كثير منها عن طريق الرواة الذين كانوا يتخذون الوضع في الحديث من وسائل الكذب من قصور الخلفاء ومساجد الأمصار .

وليس من شك أن أبا هريرة كان يسرف في الرواية والتكثير منها ، وليس من شك أن الرواة قد استغلوا هذا الإسراف والتكثير في وضع ما لا يحصيه إلا الله من الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمرسلة على لسانه ، ورحم الله أبا هريرة ، ونحن لا نتهمه بالكذب كما لا نركيه من التساهل والفكاهات⁽¹⁾»

هذا هو ما قلت آنفا في كتابي عن أبي هريرة ، فأين ما يقول الدكتور عني في كتابه الآن ، انظر إليه كيف يقوم بالتزوير والتحريف والتشويه في

(1) في صحيح البخاري . ص 99

جل آرائي عن أبي هريرة ، أي نوع من العيب وصمت به هذا الصحابي الجليل ، وأي شيء يريد الدكتور وراء هذه التحريفات والتبديلات والتشويهات ، ومهما يكن من شيء فأنا تركت الحكم لله على ذلك فليكن الله حكما بيني وبينه في يوم لا بيع فيه ولا خلة إلا من أتى الله بقلب سليم .

هـ - التعسف في التأويل :

هذا هو عيبٌ منهجي آخر ، وقد سبق عليه الكلام من قبل ، لكنني عدت إليه من جديد لإثبات ما في التعسف في التأويل من ضرر وآفات ، وقد لا يدري من يتعسف في تأويل الأحاديث ما فيه من ضرر للدين ، وما فيه من آفات تمنع الباحث المدقق عن رؤية الحقائق كما هي ، أو كما ينبغي أن تكون واضحة في كتب السنة وأمثالها .

وليس من شك أن ما حمل بعض علماء السنة على هذا التعسف المقيت هو اعتقادهم في أن صحيح البخاري هو أصح الكتب بعد كتاب الله ، وإن علماء الأمة قد أجمعوا على صحته وتلقوه بالقبول ، وهذا كما ترى هو ما جعل المفكرون منهم يفرون من الانتقاد فيه ، خوفاً من فقدان ثقة الأمة في أمور الدين من جنب ، وتقوية المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة في جنب آخر .

والشيء المحقق أن تلقى الأمة للصحيحين بالقبول لا يقصد به إلا قبول علماء السنة والجماعة فقط لا غير ، أما إجماع الأمة بكل طوائفها من سنة وشيعة ومعتزلة وزيد وإباضية وصوفية وقرآنيين على نظرية الأصحية والقبول لصحيح البخاري ومسلم ، فذلك بعيد كل البعد عن الحق والصواب ، لأن هذه الطوائف لا يزالون حتى اليوم يختلفون في مدى صحة بعض أحاديث البخاري ، ولا يزالون في بعضها يترددون بين الرفض والقبول .

ثم كان علماء السنة أنفسهم لا يزال بعضهم في هذه الأيام يشككون في بعض أحاديث وردت في صحيح البخاري ، والتي لا تبلغ مرتبة الحسن ولا الضعيف مثل الأحاديث التي تخالف القرآن أو العقل والعلم معنى وفكرة ، على حسب ما فصلناه من قبل في هذا الكتاب ، أو الأحاديث التي ظهر عليها طابع إسرائيلي مثل حديث احتجاج آدم وموسى أو حديث رجم القردة الزانية الموجود في صحيح البخاري أو حديث « لولا بنو إسرائيل ما حَنَز لحم » يعني لولا أن اليهود في زمن موسى كانوا يدخرون المن والسلوى ما تعفنت اللحوم ، هكذا قال شراح هذا الحديث تكلفا وتعسفا من غير إعمال ما وهبهم الله من عقول ، مع أنه قد ظهر أنه حديث إسرائيليّ بالطبع ، تَمَّ وضعه على لسان أبي هريرة عن طريق أولئك الرواة الوضّاعين في حين من الغفلة ، وكان العلم والعقل يكذبانه ويبطلانه ويقضيان عليه ، إذ من البدهة أن نعلم أن لحم الحيوان كان يحنز ويتعفن قبل وجود سيّدنا موسى وبعد وجوده ، بل كان حنز اللحم وتعفنه يجرى قبل وجود أبينا آدم على سطح الأرض .

من هنا نعلم أن مثل هذا الحديث الذي لا نتردد على كونه مختلفا وموضوعاً يؤدي إلى الطعن والتشكيك في السنة النبوية ، وفوق هذا ، كانت تفاسير الشراح لمثل هذه الأحاديث لا تزيدها إلا وبالا ، لذلك كان تنقيح صحيح البخاري ومسلم من هذه الشوائب الرديئة ، أحسن وأولى من إفاضة البيان والشرح عليها تعسفا وتكلفا . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .





علم الجرح والتعديل بين الاجتهاد والتقليد

لقد تحدثنا بكثير عن ضرورة عرض متون الأحاديث على ضوء خصائص القرآن في آياته وسوره ، وعلى ضوء خصائص النبي في مواقفه وسيرة حياته ، ذلك لتقويم علم مصطلح الحديث في معرفة الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، وما ليس من الحديث أصلاً مثل الأحاديث الموضوعية . هذا كله هو ما نتحدث عنه منذ حين . أما الآن فنحن بحاجة إلى حديث الإسناد وما يتصل به من علم الجرح والتعديل ، لتقويم ما فيه من عوج والتواء ، فيمكن لنا بعد ذلك إخراج هذا العلم المفيد من طور التقليد إلى طور الاجتهاد والتطور .

وليس فينا من يجهل أن علماءنا القدامى قد بذلوا جهودهم وأسهموا بكثير في وضع علوم الحديث ، وبنوع خاص علم الجرح والتعديل ، وهو كما عرفنا يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها . ثم ليس فينا كذلك من يجهل أن هذا العلم المفيد - علم الجرح والتعديل - قد وُضعَ إجمالاً في التعديل وتفصيلاً في التجريح ، حيث كان علماء هذا الفن لا يذكرون أسباب تعديلهم للرواة كما يذكرون أسباب جرح الرواة ، وقد يقولون مثلاً : فلان ثقة أو صدوق من غير أن يبينوا لنا أسباب ذلك الصدق والثقة ، لكن إذا وصل بهم الحديث إلى الجرح فإنهم يذكرون أشياء كثيرة عن المجروح مثل الغفلة والنسيان ، أو الوهم والاختلاط ، أو الكذب والفسق أو عدم الضبط والإتقان⁽¹⁾

(1) أصول الحديث علومه ومصطلحه: الدكتور محمد عجاج الخطيب ص26، ط دار الفكر



كانت أقوال العلماء يتعارض بعضها بعضاً أحياناً في تعديل راوٍ واحدٍ وتجريحه ، فيجرحه بعضهم ويعدله آخرون ، فمن هنا ظهر اختلاف الآراء حول بعض الرواة ، هذا من أهل الرأي وذاك من أهل الحديث . كل يوثق من وافق شروطه في النقد ويضعف من لم يرجح ميزاناً عنده في قواعده وشروطه . على هذا النحو كان علم الجرح والتعديل مشحوناً بالاجتهادات الفردية والآراء الشخصية بعيدة كل البعد عن دراسة الأوضاع والظروف والبيئة والزمان والمكان التي أحاطت بجميع الرواة والمحدثين .

وليس من شك أن ظروف الحياة السياسية والدينية والاجتماعية للمسلمين قد تركت آثاراً لا تمحى في كثير من الروايات ، لذلك كان من العسير جداً أن يتخلص أولئك الرواة والمحدثون من العصبية أو العواطف الدينية ، أو أن يعصموا أنفسهم من الوضع ومن رائحة السياسة التي كانوا يضطرون إليها اضطراراً ليسكتوا خصومهم من الفرق الدينية والسياسية ، وخاصة إذا كان لهم أنصار من الملوك والولاة وقادة الجيوش من العرب والموالي»⁽¹⁾.

فليس من اليسير أن نصدّق أن كل ما يرويه البخاري ومسلم حول الإمارة والحكام ، ويضيفانه إلى الصحابة أنها صحيحة مثل الخلفاء من قريش ، أو يكون عليكم اثنا عشر أميراً من قريش ، ونحن نعلم حق العلم أنّ الخصومة حيث تشتد بين الفرق والأحزاب فأيسر وسائلها الكذب ، كان أهل السنة يضعون من الحديث ما فيه إثبات الخلافة لقريش وولاتهم ، وكان خصومهم من الشيعة يضعون من الحديث ما فيه من ذود عن آل البيت ورفع لأقذارهم وإقرار الإمامية فيهم إلى الأبد ، وقد يكون اعتقاد

(1) في صحيح البخاري ص 68

الشيعة في الاثني عشر الإمامية قد وُضع لأجل حديث أهل السنة حول
اثني عشر خليفة من قریش علم ذلك عند الله!»⁽¹⁾

أما الذي لا نشك في إثباته فهو عصبية الرواة لملوك العرب وولاتهم
من جهة أهل السنة ، وعصبية الرواة الآخرين لآل البيت من جهة الشيعة
ومن تابعهم في تشيعهم ، فهذا هو ما فرضه علينا مراجعة علم الجرح
والتعديل على قواعد علمية موضوعية من جديد⁽²⁾

وفوق هذا كان علماء الجرح والتعديل لم يدرسوا عيوب الرجال
وآفاتهم التي تنبعث من العاطفة الدينية والخلقية ، مثل التشدد والإرهاق ،
والجمود والتزمت ، والغلو والتطرف ، وما إلى ذلك مما كانت لها آثار
واضحة في الروايات ورواة الأحاديث ، وليس من شك أن حبّ علماء
الجرح والتعديل للدين والولاء له يُعمي عن رؤية عيوب رواة الأحاديث
من الصحابة والتابعين ، ويصمّ عن سماع مثالبهم ومآخذهم ، لذلك كان
من العسير حقا أن ترى منهم من يجرح صحابيا أو تابعيا على تشدّده في
أمر الدين ، أو يجرحهم على غلوهم وتطرّفهم أحيانا في بعض الأمور .
لأن الجرح في نظرهم قد أُجيز لضرورة معرفة الثقات من الضعفاء ،
وتمييز الصحيح من السقيم ، والضرورة تقدر بقدرها كما يقولون»⁽³⁾
قال الإمام السخاوي :

« لا يجوز التجريح بسببين إذا وصل بواحد فقد قال العز بن عبد السلام
في قواعده : إنه لا يجوز للشاهد أن يجرح بذنبين مهما أمكن الاكتفاء
بأحدهما ، فإن القدح إنما يجوز للضرورة ، فليقدر بقدرها ، ووافقه عليه
القرافي وهذا ظاهر»⁽⁴⁾

(1، 2) في صحيح البخاري ص 69

(3) المرجع السابق ص 70

(4) منقول من كتاب : أصول الحديث علومه ومصطلحه ، ص 27 ، ط ، دار الفكر.



من هنا ظهر جلياً أن اتجاهات علماء الجرح والتعديل في نقداتهم تنطوي على تعاليم عقيدتهم وتتضمن حكماً بالقبول أو الرفض ، وبالموافقه أو المعارضة بناء على تلك العقيدة وتعاليمها الدينية ، ويظهر كذلك أن هذا العلم - علم الجرح والتعديل - لا يستطيع أن يبلغ غايته في النزاهة والتجرد والموضوعية تحت رقابة علماء الدين ، وبنوع خاص على أيدي علماء الحديث ، لأن منهجية علم الجرح والتعديل في نظرهم يجب أن تكون مقيدة بقواعد دينية سنّية وتلتزم بها أكثر مما تلتزم بقواعد علمية وموضوعية . وهذا هو ما جعله من العسير حقاً للباحث أن يتجرد للموضوعية في تاريخ رواة الأحاديث من الصحابة والتابعين .

يقول الدكتور محمد بن عبد الله الوهبي في كتابه « اعتقاد أهل السنة في الصحابة » ذلك في صدد حديثه عن أسس البحث في تاريخ الصحابة .

« يجب الكف عن ذكر معايبهم ومساوئهم مطلقاً - كما مرّ سابقاً - وإذا دعت الضرورة إلى ذكر زلة أو خطأ صحابي ، فلا بد أن يقترن بذلك ذكر منزلة هذا الصحابي من توبته أو جهاده وسابقته ، فمثلاً من الظلم أن نذكر زلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه دون أن نذكر توبته التي لو تابها صاحب مكس لقبل منه وهكذا» (1)

نعم ، إذا كان هذا هو موقف علماء السنة من أمور البحث في حياة الرواة من الصحابة ، فما موقف القرآن في مثل هذا الرأي ، هل هو يصدّقهم أم يكذبهم أم يأتي بشيء آخر من التوجيه والإرشاد في علم الجرح والتعديل ، هذا هو ما يجب علينا أن نبحث عنه في قصص الأنبياء والرسل ، أعني بذلك كيف كان القرآن يقص لنا سيرة حياتهم جرحاً وتعديلاً ، وهذا كما ترى سيعيننا بكثير إذا أردنا التجديد في وضع أسس متينة وموضوعية لا تتعارض مع العلم والدين في هذا الميدان .



(1) اعتقاد أهل السنة في الصحابة ص 93 ، 94 ط دار البيان بلندن



دارسة علم الجرح والتعديل في ضوء القرآن الكريم

أفادنا القرآن الكريم بكثير في وضع توجيهات وإرشادات ربانية في ميادين العلم والمعرفة ، وخاصة عندما يتصل الأمر بالأنبياء والرسل في بشريتهم وإنسانيتهم ، حيث كان القرآن ينظر إليهم من حيث هم أناس ، ووصفهم بما يمكن أن يوصف به الناس ، وهو لا يجعلهم ملائكة من نور ، وإنما جعلهم بشرًا يأكلون ويشربون ويتمتعون ويمشون في الأسواق ، وفوق هذا كله ، كان ينظر إليهم كإنسان يخطئ مرة ويصيب مرة أخرى ، يفرح ويحزن ، يصبر ويغضب ، يضحك ويبكي ، ينسى ويذكر ، يهدأ ويشكو ، وما إلى ذلك من الصفات البشرية التي جمعت بين النزاهة والعيوب ، وكان يرى أن الإنسان مهما بلغ مرتبة عليا من مراتب الكمالات الإنسانية فإنه لا يستطيع أن يخلو من العيوب البشرية ، وهذا هو الإنسان الحقيقي الذي خلقه الله بيديه ، واصطفاه وفضله على كثير مما خلق تفضيلا .

من هنا نفهم أن إثبات هذه البشرية في منهجية البحث لكل إنسان بلغ درجة العصمة والكمال في حياته واجب كل الوجوب . وهذا هو ما نستفيد من منهج القرآن في سرد قصص الأنبياء والمرسلين ، وخذ لذلك مثلا قصة آدم أبي البشر ، التي وردت في القرآن الكريم ، والتي كان الشيخ متولى الشعراوى يعلق عليها تعليقاَ ينير لنا الطريق في هذا الصدد ، وفي ذلك يقول :

« الله سبحانه وتعالى في قصة آدم كلها يريد أن يبين لنا أن آدم يتمثل في عنصرين ، في أنه بشر يصيب ويخطئ ، ويخالف منهج الله ، ثم يتنبه

فيتوب ، ولكن الله تعالى أراد أن نعلم أن في آدم أيضا عنصر النبوة المعصوم من الخطأ فاجتباها وجعله نبيا ، فأدم كبشر أكل من الشجرة فعصى ، وآدم كنبى بلغ ذريته الرسالة . لذلك يجب أن نفطن إلى النص القرآني ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ (طه:121) وهذه طبيعة البشر ﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ (طه:122) إذن ، فالاصطفاء جاء بعد المعصية ، آدم فيه بشرية تخطئ وتصيب ، وفيه نبوة معصومة ، وهذه تتمثل في الأنبياء من ذريته الذين عصموا من المعصية ، لذلك لا يصح لنا أن نقول كيف يعصى آدم وهو نبي ، نقول تنبه أن النبوة لم تأت إلا بعد أن عصى آدم وتاب وتقبل الله توبته ، وهو يمثل مرحلة البشرية كلها منذ خلقه إلى يوم البعث⁽¹⁾

كذلك أخذت هذه البشرية تظهر في سيرة كل نبيٍّ أو رسولٍ ، وكذلك كان القرآن الكريم يسلط الأضواء على هذه الناحية البشرية بما فيها من عيب ونقص في جميع قصص الأنبياء والمرسلين . استمع إلى ما يقول الشيخ الشعراوي عند ما بلغ به الحديث إلى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام :

« إن قصة يوسف هي أسس القصص ، لأنها اشتملت على عبر متعددة ، في الطفولة وفي الشباب وفي الشيخوخة ، والحقد بين الإخوة والتمرد على الأب وخداعه وحب كل من ربى يوسف له ، ودخوله السجن مظلوماً ، ومع ذلك لم يهتز ، ثم بعد ذلك عفو يوسف عن إخوته ، ولذلك فهي أحسن القصص تزيح غطاء الصدور ، وتعرفنا ماذا يدور في القلوب وهي تعرض للنفس البشرية في العمر الزمني والعمر العقلي والعمر العاطفي ،

(1) راجع كتابه : قصص الأنبياء والمرسلين . ص 27 ، ط المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

وأطوار الإنسان حينما يكون مغلوباً على أمره ، وحينما يكون قوياً أن يسيطر»⁽¹⁾

انظر إلى الشيخ متولى الشعراوى كيف يظهر لنا في حديثه ما في إخوة يوسف من عيوب بشرية ، حيث ظهر في سلوكهم الحقد والضعينة والتمرد على الأب وخداعه ، مع أنّ هؤلاء الإخوة أنبياء كما يقول بعض العلماء . لكن القرآن الكريم لا يكتفم ما فيهم من العيوب والآفات البشرية ، حتى يمكن لنا أن نفهم طبيعة الأمر على حقيقتها فنستطيع بعد ذلك أن ندرس حوادث القصة كما ينبغي ، وكما يليق بمستوى أهل العلم في هذا الزمان ، فهي قصة فنية في جنب ومنهجية موضوعية في جنب آخر ، لا تأثير للذات فيها ولا الأنانية . ثم قال الشيخ عندما وصل به الحديث إلى قوله عز من قائل ﴿ وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (يوسف: 16)

« نلاحظ أن القرآن قد صوّر بدقة الانفعالات التي توجد داخل النفس البشرية ، إخوة مكروا بأخيهم وأخذوه وألقوه في الجبّ ، وهم يعلمون أنّ أباهم يحبه ، وكان لا يأمنهم عليه ، فكيف يواجهونه؟ لا بد أن يواجهوه بانفعال نفسي كاذب، ولا بد أن يكون الانفعال الكاذب مستوراً بظلام الليل ، حتى لا يكتشف الأب بما أودعه الله تعالى من نور في قلبه الانفعال المصطنع على وجه أولاده ، ولذلك جاؤوا وقت العشاء ، ليستر الظلام وجوههم حتى لا تفضحهم انفعالاتهم المصطنعة ، فاتفقوا على أن يعودوا إلى أبيهم وقت العشاء وبكاؤهم كان بكاء مصطنعاً .⁽²⁾

انظر إلى إخوة يوسف كيف كادوا ومكروا وأظهروا هذا الكيد والمكر بالانفعالات المصطنعة الكاذبة ، ثم اختاروا وقت الظلام لمواراة هذه

(1) قصص الأنبياء والمرسلين ص 200

(2) المرجع السابق ص 217 .

العيوب البشرية ، فهل هناك شيء آخر أبلغ من هذا الوصف الذي قام به الحق في هذه القصة ، أم هناك قصة أخرى أدق علمياً وموضوعياً من هذه القصة المعجزة التي وردت في القرآن الكريم . إنَّ هذا لهو الحق!!

وإن هذا لهو المنهج العلمي الموضوعي الذي ضرب الله به مثلاً لأهل العلم والدين ، حيث كان يأمرنا ببناء منهج الرواية أو منهج الجرح والتعديل على أساس الحق والصدق لا على أساس الولاء والبراء ، ولا على أساس تقديس السلف وتنزيهم من العيوب البشرية .

وبعد ، فهل استطاع أحد من العلماء اليوم أن يصف صحابياً أو تابعياً بالحق والضعينة أو بالكيده والمكر والتمرد على الأبوة ، أو الخدعة المصطنعة والانفعالات الكاذبة ، كما يصف بها الحق إخوة يوسف في القرآن الكريم؟ وأيهما أحسن وأجود وأحق أن يُتبع من هذين المنهجين يادكتور؟

منهج القرآن الذي بُنيَ على أساس الحق والصدق أم منهج أهل السنة الذي قام على أساس تقديس السلف وتنزيهم عن العيوب البشرية؟

أما أنا فأودّ لو قام علماء الحديث في هذه الأيام ببناء منهج الجرح والتعديل من جديد على أسس الحق والصدق لا على أسس الولاء والبراء ، فإن ذلك سيؤدي إلى إخراج هذا العلم المفيد من طور التقليد إلى طور التجديد ، ومن طور التعصب والتقديس إلى طور التقدّم والتطور ، ومن غياهب الظلمات إلى عرصات النور والضياء . وأوّل خطوة في بناء هذا النوع من المنهج العلمي الموضوعي المتطور هو إثبات البشرية في مناهج البحث العلمية . وما ذلك على علماء الحديث بعزير .

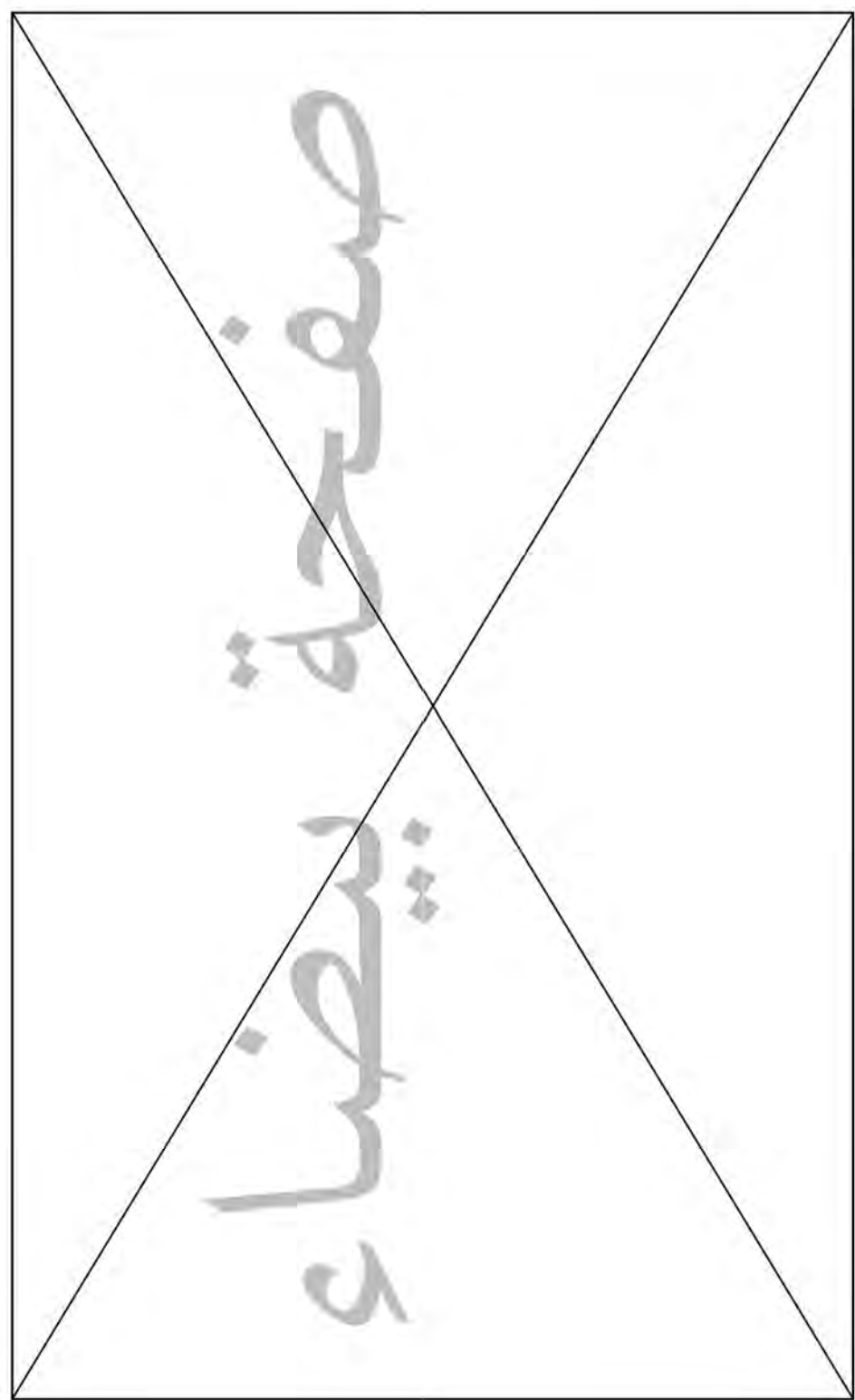




الفصل الرابع

الاستشراق السلفي وآثاره في العالم الإسلامي

- كيف بدأ الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي؟
- الدافع السياسي في الاستشراق السلفي
- آثار الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي
- كتب السنة بين السلفيين والمستشرقين





كيف بدأ الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي

يجب أن نتحدث عن الاستشراق السلفي في هذا الكتاب لما فيه من تشابه شديد بينه وبين الاستشراق الغربي في وسائل وغايات ، ولما فيه من ارتباط وثيق بينه وبين أهل الحديث في نشاطات علمية وسياسية .

وليس فينا من يجهل أن حركة الاستشراق قد ظهرت رسمياً بأول مرة في عهد استعمار الغرب للعرب والمسلمين ، وكان هذا الظهور قد أدى إلى وضع مناهج وخطط في تنفيذ حركاتهم العلمية وتحقيق أهدافهم السياسية ، وليس فينا من يجهل أن هذا الاستشراق قد أحدث أشياء كثيرة في العالم العربي والإسلامي ، منها ما يضر ومنها ما ينفع . ولعل ضرره أكثر من نفعه كما يقول بعض العلماء المفكرين . وهذا هو ما حمل بعض علماء العرب على مقاومة هذه الحركة الاستشراقية والاستعمارية بما لهم من قوة وبأس ، وخاصة العلماء الغيورين على أمور الدين فإنهم أشد من يقاوم أولئك المستشرقين بحثاً وتمحيصاً ، ذلك عندما اكتشفوا مكانهم كيدهم ومكرهم في تشكيك أمور الدين والطعن فيه .

ومن هنا بدأ الغزو الفكري يأخذ دوره في هذا الخصام بين الشرق والغرب ، وبدأ تنتشر آثاره في أنحاء العالم كله ، حيث كلُّ يدافع عن عقيدته ودينه ووطنه بما طاب وما خبث إلى يومنا هذا . كذلك كان هذا الأمر ، وكذلك كان من السهل جداً أن تقف على حقيقته عندما تقرأ مباحثات علمية ودينية كتبها علماء الشرق والغرب على حد سواء .

أما الذي يعجبنا في هذا الأمر ويريننا حقاً فهو دور « هذه بتلك » الذي قام به بعض الدول العربية في العالم الإسلامي ، في أخريات هذه الأيام .

وأخصّ بالذكر الدولة السعودية العربية ، حيث قامت هي بحركة الاستشراق من جديد في العالم الإسلامي بعد أن تمّ لهم فتح السفارات في البلاد الإسلامية ، وتمّ لهم فتح الأبواب للتعاون والتضامن على أمور الدين والتعليم ، فأصبحت الأمة الإسلامية عالة على ثرواتهم ومساعداتهم ، ولم يلبث أن كانت تلك السفارات السعودية معاقل الخيانة في استعمار أبناء الأمة عقدياً وفكرياً وثقافياً . ولعل أول عالم أفريقي كبير فطن إلى ظهور حركة الاستشراق السلفي من جديد في العالم الإسلامي هو مولانا الشيخ آدم عبد الله الألوري ، وفي ذلك يقول في كتابه « توجيه الدعوة والدعاة »

« لقد كانت الدعوة إلى الإسلام تسير اتجاهها واحدا فيما يعرف اليوم بغرب أفريقيا بما فيها ما يعرف اليوم بنيجيريا ، وكانت على نمط ما في شمال أفريقيا من المذهب الفقهي والمذهب الفكري العقائدي والمذهب التبدي الصوفي ، وإن كان هناك لوامع تلمع أحيانا من المذاهب الأخرى إنما تكون كالبرق يلمع ثم يختفي لا يغير جواً ولا ريحاً ، ولا يكدر ماء ولا مجرى .⁽¹⁾ »

« وإن كان بين أصحاب المذاهب المذكورة تنافس وتغابط فليس بينهم عدااء سافر وحرب بائدة حتى استقلت البلاد في الستينيات ، وفتحت السفارات في نيجيريا ، ووزعت المنح ودعيت إلى المؤتمرات والندوات ، ونُشرت الكتب وبُثت الدعايات المغرّضة »⁽²⁾

« فوقعت بلبلة في الأفكار ، وتضارب في الأقوال ، وفوضى في صفوف الدعاة ، وشكوك في قلوب العوام السوقية ، ذلك كلّ مما انتشر وشاع في أفواه الدعاة الوافدين إلى البلاد والمقتبسين منهم والمبعوثين من الدول والحكومات والمنظمات والمرتزقين منهم ، أن ما كان عليه أهل البلاد من

(1، 2) توجيه الدعوة والدعاة . آدم عبد الله الألوري ، ص 7 ، ط مكتبة النور بنيجيريا.



العقيدة باطلٌ ، وما يدينون به من العبادة بدعة ، وما يتناسكون به من الزهادة منذ قرون كفرٌ وشركٌ بالله»⁽¹⁾

« ليس من الإسلام في شيء بل هو أقرب إلى الضلال منه إلى الهداية وإلى الشرك منه إلى التوحيد وإلى البدعة منها إلى السنة ، لأن هؤلاء الدعاة المبعوثين الذين يسمون أنفسهم بالسلفيين يأخذون الناس بالشدة والعنف والتضليل والتكفير في بعض الأنحاء»⁽²⁾

على هذا النحو كان مولانا الشيخ آدم عبد الله الألوري يقص لنا كيف بدأ الاستشراق السلفي الجديد في العالم الإسلامي ، وكيف ينتشر على أيدي الطلبة الوافدين من الدول العربية ، بعدما حصل الكثيرون منهم على المنحة الدراسية من السعودية وغيرها ، وتعلّموا فيها وثقّفوا على أيدي رجال أكاديميين في الجامعات الإسلامية ، ولما تخرّجوا فيها عادوا إلى بلدانهم المختلفة دعاةً متسلّحين بأساليب استشراقية غريبة ، في إحداث البلبلة وإثارة الفوضى والشكوك في قلوب عوام الناس وتكفير علماء البلاد على المسائل الفرعية المختلف عليها قديماً وحديثاً ، والتقليل من قيمة تراث العلماء الأهالي الذين لم ينتسبوا إلى منهجهم العلمي ومذهبهم السلفي ، يفعلون هذا كلّه لأجل الهيمنة على العالم الإسلامي ونشر في أرجائه عقيدة أهل السنة والجماعة ، وفي ذلك يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري :

« إن أنصار السلفية من هؤلاء الدعاة تختلفون شدة ولينا وتعصبا وتسامحا ، ويتفاوتون في أساليب التحمل والأداء في الفهم واللباقة ، ولو كانوا يستعملون الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة كما هو أدب الإسلام لوقف الخلاف عند حدّ الرحمة ، وانتشرت الدعوة دون نزاع

(2،1) توجيه الدعوة والدعاة : ص ، 8



داخلي بين الدعاة ، ولكن كثيرا ممن يريد أن يخالف يُعرف ، وأن يهاجم من فوقه ليشتهر ، وبدأوا في التكفير على ما لم يرد نص قطعي من أجله ، والتكفير لا يقوم على الحكم الظني بل لابد من الحكم القطعي الذي صدر قولاً وفعلاً يخرج صاحبه من الدين»⁽¹⁾

من هنا بدأت الجهود تضع ، والوئام يزول ، والخلاف ينتشر ، والخصام كثير ، ثم كانت الأمور الاقتصادية قد زادت الطين بلة ، حيث كان كل داعية يتبرّع بنفسه أنه سيرحل إلى البلدان الإسلامية لنشر العقيدة السلفية ، سيتلقى مساعدة كبيرة من الدولة السعودية ويضعف راتبه الشهري إلى مبلغ خيالي ، وهذا بلا ريب قد شجّع الكثيرين منهم في الاستشراق السلفي الذي بدأت آثاره تنتشر في العالم الإسلامي . هذا هو ما جعل مولانا الشيخ آدم عبد الله يقول في أحد كتبه الذي سماه « نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا : » إذا دامت السلفية مدعمة بالمادية كما هي الآن فإنها تنتصر نوعاً ما ، لأن أكثر الناس ميّالون مع المادة حيث مالت ، وقليل من الناس من لا يخضع للمادة»⁽²⁾



(1) توجيه الدعوة والدعاة : ص 16 ط ، دار النور .

(2) نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا. ص 120، ط 3 مكتبة وهبة ، القاهرة.



الدافع السياسي في الاستشراق السلفي

لقد تبين لنا فيما سبق أن الدافع السياسي في الاستشراق السلفي هو إخضاع العالم الإسلامي لنوع آخر من الاستعمار الديني من جديد ، بعد ما ذاق المسلمون وبال الاستعمار السياسي على أيدي أهل الغرب في حقبة من الزمن . وليس من شك أن رجال سلفية هذا الأوان قد مهدوا السبيل إلى هذا الاستعمار الجديد ، ووضعوا له الوسائل التي ستعينهم على بلوغ الغاية في أقرب وقت ممكن . وكانت أهم هذه الوسائل تتمثل في توزيع المنح الدراسية ، والمساعدات المالية ، لتعمير المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية وإنشاء الجامعات الدراسية ، وعلاجات العيون والأمراض المستعصية ، وإيفاد الدعاة على حساب الدولة ودار الإفتاء ، وإنشاء البنوك الإسلامية للتنمية المثمرة في التعمير والإغاثة والتثقيف والتعليم ، وما إلى ذلك مما ساهمت المملكة العربية السعودية بكثير منها ، منذ أكثر من خمسين عاما .

ولقد تحدث مولانا الشيخ آدم الألوري عن عواقب هذه العطاءات المادية والمعنوية ، إن لم تنقطع بعد ربع قرن بدأت إصدارها إلى العالم الإسلامي ، وفي ذلك يقول في كتابه « نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي »

« إن توزيع المنح من الدول العربية على الأقطار الأفريقية لا تدوم إلى الأبد ، بل يجب أن لا تدوم أكثر من ربع قرن من الزمان ، وإلا كان كمن يزرع في أرض قفر لا ينبت الكأ ولا يشمر الخير »⁽¹⁾

(1) نظام التعليم . ص 151 ط 1 دار العربية ، بيروت



« كما أن إرسال المبعوثين من الوعاظ والمدرسين إلى البلاد الأفريقية ، لا ينبغي أن يدوم أكثر من ربع قرن منذ تاريخ البدء فيه ، حتى يستطيع أبناء أفريقيا أن يتولوا أمر أنفسهم بأنفسهم ، وإلا دخلت الدولة العربية المساعدة لإخوانهم الأفارقة في قفص الاتهام بأنهم يريدون إقامة استعمار جديد باسم الإسلام على أنقاض استعمار قديم باسم الصليب»⁽¹⁾

الله أكبر ، وقد صدق مولانا آدم الألوري في حديثه ، إذ كل ما يجري في هذه الآونة الأخيرة تصدق ذلك ، وخاصةً بعد مرور نصف قرن على المساعدات الخارجية الواردة من الدول العربية ، وليس من شك في أن الناس قد بدأوا يتهمون بعض الدول العربية بتمويل الإرهاب الدولي والأصولية المعاصرة المتطرفة . وقد لا تكون هذه التهمة صدقاً كلّها ، ولكن فيها ما ينتمي إلى الصدق بقليل أو بكثير ، ذلك في تمويل بعض الدعاة الذين كانوا يوقدون نار التحمس والعاطفة الجياشة في قلوب الشباب الذين يقومون بالإرهاب الدولي في أنحاء العالم كله ، وليس من شك في أن هؤلاء الدعاة يعيشون على أجور الدعوة الممولة ، لذلك كانوا يقومون بحركاتهم الدعوية عن طريق يرفع مستواهم في أنظار الممولين مادياً ومعنوياً ، فيحصلون مقابلاً لذلك على دعم آخر هائل يعيش عليه هؤلاء المساكين من علماء الدعوة إلى ما شاء الله .

وليس هذا فحسب ، فإن الاستشراق السلفي قد أحدث أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء ، وإنما هي تتصل بسياسة التدين أكثر مما تتصل بأمور الدين في ذاتها . وخذ لذلك مثلاً هذا التعصب العقدي والمذهبي والسياسي ، وإن هؤلاء المستشرقين من السلفيين قد أفسدوا بها أموراً كثيرة في العالم الإسلامي ، حيث كانوا يعتبرون أحياناً الخروج على

(1) نظام التعليم . ص 151 ، ط 1 دار العربية .



أهل السنة والجماعة إلى غيرهم حراماً أو كفراً أو بدعة ، وقد يعتبرون العمل بشيء من المذاهب الأخرى غير مذهب ابن حنبل خروجاً على الدين ، إذا دعت الحاجة أو البيئة إلى ذلك ، وكم يتمسكون بأحاديث الصحيحين كأنها نصوص مقدسة أو يرفعونها أحياناً إلى مستوى القرآن حجةً ودليلاً ، أو يتنازعون عليها حتى يصل هذا النزاع إلى درجة العداوة والبغضاء ، أو يتخاصمون فيما لا طائل تحته من أمور العادات التي لا تجلب ضرراً للدين ، ولا تفسد شيئاً من حقائق أهل العلم .

هذا كله هو ما يجري في العالم الإسلامي اليوم لا شيء إلا ليفرض هؤلاء على جميع المسلمين عقيدة أهل السنة والجماعة طوعاً وكرهاً ، فمن هنا أصبحت أوضاع العالم الإسلامي مقلوبة ومضطربة ، وتولدت منها آثار طيبة وخبيثة ، منها ما ذكرنا في ثنايا فصول هذا الكتاب ، ومنها ما سنذكرها إن شاء الله في الفصل الآتي .





آثار الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي

لم يستطع أحد أن يحيط علما بما أحدثه الاستشراق السلفي من آثار طيبة في العالم الإسلامي ، ولم يستطع أحد أن يبرئ نفسه من التأثير بروافد هذا الاستشراق السلفي الطيبة في دينه وعقيدته ، وخاصة في أمور العبادات وما يتصل بآداب الطعام والشراب واللباس ، والنوم والجلوس والمشي والزينة ، وإعفاء اللحية وقص الشوارب ، وفرض الحجاب أو النقاب على المرأة ، ولبس الإزار وتقصير السروال ، وما إلى ذلك مما تتصل بالمظاهر السنية والهيئات الإسلامية ، هذا كله قد عمّت آثاره وانتشرت آدابه في أنحاء بلاد العالم الإسلامي ، فهي آثار طيبة كما ترى تنبئ بمستقبل باهر للإسلام إن شاء الله .

وقلّ مثل ذلك في تلك الهيئات والإغااثات الممولة التي تقوم بتنفيذ المشروعات الخيرية ، من بناء المساجد ، وحفر الآبار ، وفتح المدارس ، وإنشاء الجامعات والمستشفيات ، وما إلى ذلك مما يعود نفعه إلى الجنس البشري وإلى الخدمة الإنسانية حاضرا ومستقبلا ، هذا كله كما ترى لا يستطيع أحد أن ينكر فضله أو يجحد حسناته ومزاياه .

أما الناحية السلبية في الحركة الاستشراقية السلفية فهي تتمثل في إهمال جانب المعاملات والأخلاق في أمور الدين أثناء القيام بالدعوة إليها ، مثل الجود والكرم والسخاء ، والحلم والحياء والشفقة ، واحتمال الأذى والتواضع والزهد ، والشجاعة وبر الوالدين وتحري الحلال وأداء العمل بإتقان ، ورعاية حق الزوجة والأولاد وحقوق الجار وغيرها مما أجمله الله

في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4) وفي الحديث «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

وليس من شك أن هؤلاء الدعاة المستشرقين من السلفيين قد غضوا الطرف عن ذلك كله ، وغرقوا في بحور الجدل والنقاش الذي أصبح لهم هواية ولذة ، وانتهى بهم إلى الاشتغال بالمعارك الجانيية ، وعدم الالتفات إلى القضايا الإسلامية الكبرى ، حيث كان كثير منهم يتولعون بكثير من المسائل الجزئية والأمور الفرعية ويهملون إهمالا تاما تلك القضايا الكبرى التي تتعلق بكيونة الأمة الإسلامية وهويتها ومصيرها ، لذلك نرى منهم من يقيم الدنيا ويقعدها من أجل حلق اللحية أو الأخذ منها أو إسبال الثياب أو تحريك الأصبع في التشهد أو اقتناء الصور الفوتوغرافية أو نحو ذلك من المسائل التي طال فيها الجدل وكثر فيها القيل والقال⁽¹⁾

هذا كله في الوقت الذي تزحف فيه العلمانية اللادينية وتعرض البلاد الإسلامية لغارات تنصيرية جديدة ، يراد بها محو شخصيتها الإسلامية التاريخية وسلخها من ثقافتها الإسلامية العريقة في أنحاء العالم الإسلامي كله⁽²⁾ ، والعجب في هذا كله أن هؤلاء الذين يثيرون الجدل والنقاش في تلك المسائل الجزئية ، وينفخون في جمرها باستمرار هم علماء الحديث الذين يعرف عنهم الكثيرون ممن حولهم التمسك بنصوص الحديث فقط دون غيره من العلوم الإسلامية ، وهم أصحاب السذاجة الذين يقرأون كتب الحديث فقط ويطمثون إليها ، ويرون أنهم قد بلغوا الغاية مع أنهم لم

(1) راجع في ذلك . الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف . دكتور يوسف القرضاوي ، ص 98 ، ط 2 ، دار الشروق

(2) صراع الأجيال حول قضايا الإسلام ، آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني ، ص 84 ، ط 1 مكتبة وهبة مصر ، القاهرة .



يتجاوزوا أول الطريق ، وهؤلاء هم الذين يملأون أفواههم بكلمة السنة ، ولا يسلكون مع ذلك سبيلهم إلى تحقيق هذه السنية التي لا يمكن التحقق بها إلا بشيئين ، أحدهما : أن يكون الداعية عالماً متديناً متقناً للغة العربية وآدابها ومتقناً للعلوم الدينية وثقافتها . والثاني : أن يكون إنساناً معاصراً متقناً للعلم بالحياة المعاصرة التي يحياها وبما يكون فيها من حوادث العلم والدين والأدب في الشرق والغرب معاً⁽¹⁾

ومتى يهدي الله دعائنا المستشرقين من السلفيين إلى أن يتغوا الوسائل إلى تكوين شخصيتهم حقاً بإتقان العلم القديم والجديد معاً . ولا يتكلمون على كتب السلف فقط في دينهم ودنياهم ، ذلك الشيء الذي ندعوهم إليه في هذا الكتاب وغيره ، ونلجّ في الدعاء ، وعسى الله أن يهديهم إلى ما فيه الخير والصالح ، ولا يأذن لهم أن يجعلوا أصابعهم في آذانهم ويرضون عن أنفسهم وعلومهم إنه قريب مجيب الدعاء .



(1) صراع الأجيال حول قضايا الإسلام : ص 157



كتب السنة بين السلفيين والمستشرقين

هذه قضية أخرى يجب إعادة النظر فيها من جديد قبل أن أنتهي من هذا الكتاب ، إذ هي قضية حساسة يعمُّ وبالها العالم الإسلامي كله ، وهي قضية قيام الحملة المسعورة ضد المستشرقين الغربيين على هدم التراث الإسلامي ، وبنوع خاص هدم التراث النبوي الشريف . وليس من شك أن المستشرقين الغربيين قد ظلموا التراث الإسلامي في بعض الأمور ، فظلموا بنوع خاص التراث النبوي الشريف ، حيث يخضعون أحيانا النصوص للفكرة التي يفرضونها من عند أنفسهم ، ويتحكمون فيها على حسب أهوائهم ، وقد يحرفون النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً حين لا يجدون مجالاً للتحريف⁽¹⁾ ، أما في علم الحديث فقد اتهموا كثيرا من العلماء المسلمين في وضع الأحاديث على لسان النبي وأصحابه ، واتهموهم على صدقهم وأماناتهم في كثير من الأمور ، وقد يتجاوزون الحدود فيتهمون ملوك بني أمية بالأنانية والإثرة وحب الدنيا والفناء فيها ، فأصبحوا أناسا في نظرهم ليس لهم هم آخر إلا الفتح والاستعمار⁽²⁾ .

هذا كله هو ما فعله المستشرقون الأوروبيون في التراث الإسلامي ، وهذا كله هو ما جعل بعض العلماء المسلمين يقاومونهم مقاومة علمية شديدة ، حيث يكتبون بحوثا ورسائل ومقالات في دحض افتراءاتهم الجارفة وتفنيد مزاعمهم السلبية اللاعلمية .

(1، 2) راجع كتاب «الاستشراق والمستشرقون» للدكتور مصطفى السباعي في باب التشكك في صحة الحديث النبوي ، الناشر ، دار الوراق - المكتب الإسلامي .

هذا شيء ، وشيء آخر هو أن ننظر إلى الوراء ونتحاكم إلى عقولنا وضمائرنا فنرى أن ليس كل ما ورد من هؤلاء المستشرقين من آراء وأفكار ، كانت خالية من الصدق والصواب ، بل كان فيه ما لا نستطيع الدفاع عنه ، لذلك كان من السهل جداً أن نرى من علماء السنة فيما لا يستطيعون الدفاع عنه يتحاملون بكثير على المستشرقين ، ويسندون إليهم دعوى هدم التراث النبوي الشريف ، ويقومون بشيء من التعسف في التأويل حول تلك القضايا التي ظهرت فيها غموض وإيهام ، ولقد رأينا من قبل كيف كان علماء السنة يسندون ملحوظات بعض إخوانهم المسلمين في تراث السنة النبوية إلى مزاعم شيعية أو استشراقية ، ورأينا كذلك كيف كان الدكتور عبد الرحمن أحمد وأنصاره يتهمونني وغيري من أعلام الإسلاميين بالتأثر بمنهج الاستشراق في البحث والتحقيق ، مع أن ملحوظات هؤلاء على كتب السنة ليست من الاستشراق في شيء ، وإنما هي أمور هامة يجب أن يهتم بها علماء الأمة اهتماماً بالغاً ، ويسعون كل السعي على أن يجدوا لها حلاً قبل فوات الأوان .

وشتان بين من يقوم بعملية الاستشراق لهدم تراث الدين ، وبين من يدعو إلى تنقيح كتب السنة من الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، لأجل إقامة أمور الدين على أساس متين . هذا يدافع عن دينه وعقيدته ، وذاك يهاجم دين غيره ويتتبع عيوبه ومثالبه ، هذا الفرق الدقيق هو ما لا يريد سلفية هذا الأوان أن يشبوه في أمور إخوانهم الذين يدعونهم إلى البحث والمراجعة في كتب السنة أو إلى التنقيح والتهذيب ، وإنما يكيلون جميع العلماء الباحثين - الأصدقاء منهم والأعداء - بكيل واحد ، بغض النظر عن أقوال بعضهم التي كانت صادقة ، ونياتهم حسنة وضمائرهم مطهرة . هذا الموقف السلبي الذي لمسناه عند العلماء السنيين في هذا الأمر ، ليس من العدل والإنصاف في شيء ، يقول الله تبارك وتعالى

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ اِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: 8)

وبعد ، ففي هذا الكتاب وغيره ندعو هؤلاء السلفيين إلى التسامح والتفاهم مع غيرهم في أمور البحث والمراجعة ، وفي تنقيح كتب السنة وتهذيبها من الشوائب والمواد الضعيفة المتعلقة بها منذ زمن قديم ، ولا يزال فيها حتى اليوم ، وخاصةً في الصحيحين : البخاري ومسلم .

فمتى يرفع الله قومًا من هذه الأمة يؤمنون بهذا الرأي ، ويعملون ليل نهار على التنقيح والتهذيب في التراث النبوي الشريف ، علم ذلك عند الله ، لكن أملنا فيه هو أن لا يتأخر عهده ، ولا يبعد وقته ، ولا يفوت زمانه !





خاتمة البحث

يبدو في هذه الرحلة القصيرة التي قام بها الباحث في هذا الكتاب ، أن هناك خلافاً كبيراً بين علماء السنة وعلماء الأمة على أمور الحديث . وكان هذا الخلاف الكبير قد بدأ في اعتبار علماء السنة أنفسهم رواد علم الحديث ، حيث لا يستطيع أحد في نظرهم أن ينازعهم عليه أو يخالفهم فيما اتفقوا عليه قديماً وحديثاً ، إلا إذا أراد ذلك المخالف أن يكون في نظرهم زنديقاً أو مستشرقاً . وهم على إيمانهم بهذه الفكرة لا يريدون التفاهم مع غيرهم في قضية الدعوة إلى تنقيح الأحاديث النبوية وتهذيبها من الشوائب والمواد الضعيفة التي تَبَعَثَتْ فيها ، وبنوع خاص في الصحيحين : البخاري ومسلم .

ثم ازداد هذا الخلاف تفاقماً ، عندما لا يريد علماء السنة الانضمام في موكب علماء الأمة ، على اختلاف المستويات المحليّة والإقليمية والعالمية لمجابهة تحديات العصر ، مما لا يستطيع أن يحاربها علماء السنة على انفراد مهما أوتي كيانه من مقدرة وقوة ، لذلك كانوا يحاربون كل فرقة من الفرق الإسلامية التي لا تنتمي إلى فرقة أهل السنة والجماعة في كل بلد من البلدان الإسلامية ، وهم ينسون أن العالم اليوم يمتاز بالتجمعات والتكتلات لمواجهة القوى المعادية للإسلام والمسلمين .

وليس من شك في أن التشتت والتفرقة الدينية التي يعانيها المسلمون في العالم اليوم ، قد أحدثت ما لا يحصيها إلا الله من نتائج سيئة وعواقب وخيمة ، وأهمها هي فقدان الوحدة الإسلامية العالمية . أما إذا أردنا تكوين هذه الوحدة فلا بد من احترام آراء الآخرين في الفكر الديني التي توزعت

في الطوائف الإسلامية الكثيرة ، وليس من الحق والصواب أن نحاول فرض مذهبٍ معيّن من المذاهب الإسلامية على جميع الأمة في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنّ البيئات التي وجدنا أنفسنا فيها تختلف على حسب اختلاف شعوبها وقبائلها ، لذلك كان من العسير حقاً أن نتوحّد فكرياً أو دينياً أو ثقافياً دون مراعاة هذه البيئات من ناحية تفاوتها وتنوعاتها .

وهذا كلّهُ هو ما غاب عن عقول علماء السنة ، لذلك كانوا لا يرون إلا أنفسهم ، ولا يحترمون إلا ساداتهم ، ولا يطيعون إلا جماعتهم ، ولا يدينون إلا لمذهبهم وعقيدتهم وآرائهم . هذا الاتجاه السني المنحرف هو الذي أدّى إلى النقاش والجدل مع غيرهم من علماء الأمة في المجتمع النيجيري حول صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ، ثم أدّى ذلك إلى الردود المتتابعة بين الفريقين إلى هذا الوقت الذي أحدثكم فيه .

وهذا الاتجاه السني المنحرف بالذات ، هو الذي حمل الباحث على خوض غمار النقاش والجدل مع طائفة من علماء السنة ، وعلى رأس هؤلاء هو سيّدي الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام . وليس من شك أنّه من معارفي منذ الصغر ، وقد جمعتني معه الزمالة - كما قال في كتابه - منذ مرحلة الصبا ، أمّا ما ينقص الدكتور في نظري فهو طول مكثه في السعودية العربية وعدم رحلته إلى أوروبا ، ولو مرة واحدة في عمره ، لذلك كان لا يزال أعرابياً بدوياً في نظري ، وهكذا كان كثيرون من ذويه من علماء السنة . ولو سَعِدَ هؤلاء بالسياحة العلمية إلى القارات والبلدان لتغيّر موقفهم في كثير من الأمور .

ولأجل إصلاح هذه الأوضاع الفاسدة ، ندعو الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام وأنصاره من علماء السنة إلى ثلاثة أمور في هذه الخاتمة :

* ندعوهم إلى قبول اقتراح التنقيح والتهذيب في صحيح البخاري وغيره من كتب السنة النبوية



* ندعوهم إلى الانضمام في موكب علماء الأمة ، ولا يحصرون أنفسهم في دائرة علماء السنة الضيقة ، فيمكن لهم الخروج من التعصب السلفي والتحزب السلفي والولاء السلفي ، فيما يكتبون وما يدرسون .

* ندعوهم إلى السياحات العلمية إلى الأقطار والبلدان ، فيمكن لهم الوقوف على التعايش السلمي الجاري في البلاد غير الإسلامية ، فيأخذون من ذلك الدروس والعبر ، ويسعون كل السعي على وجود نظيره في البلاد الإسلامية من مشارقها إلى مغاربها .

ثم بعد هذا كله ، نرجو منهم أن يتوبوا إلى الله على ملا من الناس ، ويعلمون تراجعهم عما أحدثوا من الفتن والحروب في مدينة ميدوغوري باسم الإسلام وباسم عقيدة أهل السنة والجماعة ، تلك الفتن والحروب التي لا تزال تأكل اليابس والأخضر في شمال نيجيريا إلى يومنا هذا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنْسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: 286)

آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني
عضو هيئة علماء الشورى

كنو نيجيريا

2019/01/05م



قائمة المصادر

- * القرآن الكريم كلام الله رب العالمين
- * الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : ترتيب علاء الدين بليان الفارس . دار الكتب العلمية بيروت
- * الأحكام في أصول الأحكام . للآمدي سيف الدين علي بن محمد . دار الحديث القاهرة
- * الإحكام في أصول الأحكام . ابن حزم علي بن أحمد بن حزم ، مطبعة الإمام القاهرة .
- * الأحاديث القدسية . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- * اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير إسماعيل بن عمر المتوفى 774هـ - ومعه الباعث الحثيث للشيخ أحمد شاكر مكتبة صبيح ط. الثالثة 1137هـ ، 1951هـ .
- * إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن علي الشوكاني المتوفى 1255هـ ط . الحلبي مصر .
- * أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزوي ، دار الشعب بالقاهرة .
- * الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر المتوفى سنة 852هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية .
- * أصول الحديث ومصطلحه . دكتور محمد عجاج الخطيب .
- * أصول الحديث النبوي علومه ومقاييسه . دكتور الحسيني عبد المجيد هاشم . دار الشروق القاهرة .
- * الأسلوب الحديث في علوم الحديث للشيخ أمين الشيخ الطبعة الثانية .
- * أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية . تحقيق عبد الرحمن الوكيل . ط . بيروت .
- * الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني . ط . بيروت عن الطبعة الهندية .

- * البداية والنهاية لابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي المتوفى سنة 774هـ .
دار الريان للتراث .
- * تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد علي الخطيب البغدادي ت463هـ دار الكتاب العربي .
- * بحوث في تاريخ السنة المشرفة دكتور أكرم ضياء العمري ، ط. المدينة المنورة.
- * ألفية السيوطي للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق الشيخ أحمد محمد شاکر :
مكتبة ابن تيمية القاهرة . وط . الحلبي .
- * الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، القاضي عياض بن موسى
اليحصبي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث القاهرة 1987م .
- * البيقونية منظومة في علوم مصطلح الحديث للشيخ عمر بن محمد بن فتوح
البيقوني ط . مصطفى الحلبي 1368هـ - 1949م .
- * تاريخ الثقات للحافظ بن عبد الله بن صالح العجلي ترتيب الحافظ نور الدين
الهشمي دار الكتب العلمية .
- * التاريخ الكبير محمد بن إسماعيل البخاري 256هـ - دار الكتب العلمية .
- * تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر
السيوطي ت 911هـ - تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف دار إحياء السنة ،
القاهرة 1385هـ - 1966م .
- * تذكرة الحافظ للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة
748هـ حيدر آباد الهند .
- * مقدمة الجرح والتعديل . للحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم المتوفى سنة 327هـ
ط . الهند .
- * تقريب التهذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد
اللطيف ، بيروت .
- * توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للصنعاني محمد بن إسماعيل المتوفى سنة
1182هـ . تحقيق الأستاذ عبد الرحمن عثمان ط . 1400 هـ .
- * تهذيب التهذيب لابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني « 852هـ » طبعة حيدر آباد
الهند 1327هـ .



* توجيه النظر إلى أصول الأثر . للشيخ طاهر الجزائري طبعة مصر والمدينة المنورة.

* تيسير مصطلح الحديث ، الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم الطبعة الثانية .

* تيسير مصطلح الحديث دكتور محمود الطحان دار التراث العربي مصر . وطبعة الكويت .

* التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير . وهو متن تدريب الراوي السابق ذكره .

* تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي تحقيق بشار عواد معروف الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة بيروت .

* تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم : بدر الدين بن جماعة ، دائرة المعارف حيدر آباد السنة 1353هـ .

* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة لعلي بن عراق تحقيق الشيخ عبد الوهاب اللطيف ، مكتبة القاهرة .

* الثقات لأبي حاتم محمد بن حبان البست 360هـ دار الفكر بيروت .

* جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عمر بن عبد البر المتوفى 463هـ إدارة الطباعة المنيرة .

* الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي طبع مصر .

* الجامع الصحيح للترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق وتعليق الشيخ أحمد شاكر ط . الحلبي مصر .

* الجامع الصحيح : للإمام مسلم بن حجاج تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ط . الحلبي مصر .

* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع تحقيق دكتور محمد عجاج الخطيب ط . بغداد .

* الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم طبع الهند ، 1381هـ 1952م والمصورة ط . بيروت .

- * حاشية الأجهوري على شرح الزرقاني للبيقونية للشيخ عطية الأجهوري ط . الحلبي القاهرة .
- * حاشية لقط الدرر بشرح متن نخبة الفكر عبد الله بن حسين ط . مصطفى الحلبي .
- * حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني مطبعة السعادة مصر .
- * دفاع عن السنة الشيخ محمد أبو زهو مطبعة الأوقاف .
- * دفاع عن السنة دكتور محمد أبو شهبة مكتبة السنة .
- * الخلاصة في أصول الحديث : عبد الله بن محمد الطيبي المتوفى سنة 743هـ تحقيق صبحي السامرائي 1405هـ 1985م .
- * الرسالة : للإمام محمد بن إدريس الشافعي تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ط . الحلبي .
- * رسالة أبي داود إلى أهل مكة ، لأبي داود السجستاني . تحقيق الشيخ زاهد الكوثري ط . القاهرة .
- * الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتاني ط . بيروت .
- * الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، محمد بن إبراهيم الوزير . المطبعة المنيرة بمصر .
- * السنة قبل التدوين ، دكتور محمد عجاج الخطيب ، مكتبة وهبة بالقاهرة الطبعة الأولى .
- * السنة لابن أبي عاصم بتخريج محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الأولى ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- * سنن الترمذي تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ط . الحلبي مصر .
- * سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ط . الحلبي مصر .
- * سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن دار الكتب العلمية .
- * سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني دار إحياء التراث بيروت محمد محي الدين عبد الحميد .
- * سنن النسائي للحافظ أحمد بن شعيب النسائي مع المجتبى دار الكتاب العربي .



- * السنن الكبرى للبيهقي دار الفكر بيروت .
- * سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي مؤسسة الرسالة بيروت .
- * شرح نخبة الفكر . لابن حجر بيروت .
- * شرح نخبة الفكر . لابن حجر بها حاشية لقط الدرر ط . الحلبي مصر .
- * شروط الأئمة الستة مع شروط الأئمة الخمسة . لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي . وأبي الفضل محمد بن الطاهر المقدسي . تعليق محمد زاهد الكوثري مكتبة عاطف مصر .
- * شذرات من علوم السنة . دكتور محمد الأحمد أبو النور المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- * صقل الأفهام بشرح المنظومة البيقونية عمر بن محمد فتوح البيقوني . مكتبة خالد بن الوليد الجيزة .
- * صحيح مسلم بشرح النووي . دار الفكر بيروت .
- * صحيح ابن خزيمة للحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق دكتور محمد مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي .
- * طبقات الحفاظ للسيوطي . دار الكتب العلمية .
- * علوم الحديث لابن الصلاح : أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوني 643هـ تحقيق نور الدين عتر المكتبة العلمية .
- * علم الحديث . لتقي الدين ابن تيمية المتوفى 728هـ . تحقيق موسى محمد علي دار الكتب الإسلامية . مصر .
- * علوم الحديث ومصطلحه الدكتور صبحي الصالح . دار العلم للملايين بيروت .
- * قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة . جلال الدين السيوطي - المكتب الإسلامي .
- * قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . للشيخ جمال الدين القاسمي . تحقيق محمد بهجة البيطار . ط عيسى الحلبي .
- * فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر . ط المطبعة السلفية مصر .
- * فتاوى الشيخ الإسلام ابن تيمية - ط الرياض .

- * فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لعبد الرحيم العراقي . ط القاهرة الطبعة الأولى .
- * فتح المغيث للحافظ السخاوي . تحقيق عبد الرحمن عثمان مطبعة العاصمة القاهرة .
- * فتح الباقي شرح ألفية العراقي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري مع التبصرة والتذكرة ط المغرب .
- * القول المسدد في الذب عن مسند أحمد لابن حجر ط الهند .
- * الكفاية للخطيب البغدادي مطبعة السعادة مصر .
- * كشف الظنون لحاجي خليفة . ط وكالة المعارف .
- * اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة السيوطي طبعة مصر .
- * لسان العرب لابن منظور . دار صادر بيروت .
- * لمحات في أصول الحديث . دكتور محمد أديب الصالح المكتب الإسلامي .
- * المبسوط في علوم الحديث . خليل إبراهيم ملا خاطر الجزء الأول والثاني دار الوفاء جدة السعودية .
- * مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي . ط القدسي القاهرة .
- * المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ط . بريل لندن 1954م .
- * مسند الإمام أحمد بن حنبل ط . دار الفكر .
- * المحلي بالآثار لابن حزم . دار الكتب العلمية .
- * المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم دار المعرفة بيروت .
- * اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير . دار صادر المعرفة بيروت .
- * معالم السنن للخطابي . دار الكتب العلمية .
- * المعجم الكبير للطبراني . مطبعة الزهراء ببغداد .
- * منهج ذوي النظر لمحمد بن محفوظ الترمسي . طبعة مصطفى الحلبي 1374هـ 1955م .
- * المنهج الحديث في علوم الحديث للشيخ محمد السماحي . مطبعة دار الأنوار .
- * معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري . مكتبة المتنبى القاهرة .

- * نظم المتناثر من الحديث المتواتر لأبي عبد محمد بن جعفر الكتاني ، مطبعة التقدم ، القاهرة .
- * هدى الساري لابن حجر مقدمة فتح الباري المطبعة السلفية .
- * الوسيط في علوم الحديث . للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة . دار الفكر العربي ، القاهرة .
- * المحدث الفاصل بين الراوي والواعي . الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي تحقيق محمد عجاج الخطيب . دار الفكر بيروت .
- * المنهل الروي لبدر الدين بن جماعة . ط . دار الكتب العلمية بيروت .
- * النهج المعتمر ، دكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف ، دار الطباعة المحمدية مصر .
- * النكت على كتاب ابن الصلاح ، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ تحقيق ودراسة ربيع بن هادي عمير ، دار الراية والتوزيع

قائمة المراجع

- * أحداث مثيرة في حياة الشيخ الإمام الألباني . محمد صالح المنجد ، دار الإيمان إسكندرية ، مصر .
- * حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه . محمد إبراهيم الشيباني
- * صفحات بيضاء من حياة الألباني : للأستاذ عودة ، ط . دار الآثار .
- * أعلام الدعوة ، محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر وناصر السن ، عبد الله العقيل .
- * المسكوت عنه في التراث البلاغي . دكتور محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة القاهرة .
- * منهاج السنة النبوية ، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، تحقيق دكتور محمد رشاد سالم .
- * اعتقاد أهل السنة في الصحابة ، دكتور محمد عبد الله الوهيبي طبعة المنتدى الإسلامي ، لندن .
- * الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق علي بن محمد العمران ، المكتبة الإسلامية .

- * منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم مبارك مكتبة مدرسة الفقاهة .
- * لسان الميزان ، الحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية .
- * زغل العلم ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق محمد ابن ناصر العجمي ، المكتبة الوقفية
- * الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية ، الحافظ ولي الدين العراقي مكتبة التوعية الإسلامية مصر .
- * الصحو الإسلامية بين الجمود والتطرف ، دكتور يوسف القرضاوي ، دار الشروق .
- * تاريخ القرآن : الشيخ إبراهيم الأبياري ، دار الشروق .
- * في صحيح البخاري بحث ومراجعة ، آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني ، مكتبة وهبة مصر .
- * الولاء والبراء في الإسلام ، محمد بن سعيد القحطاني ، دار الطيِّبة ، مكة المكرمة .
- * الثقافة العربية في نيجيريا ، علي أبو بكر الطبعة الثانية ، مكتبة دار الأمة نيجيريا .
- * صراع الأجيال حول قضايا الإسلام في نيجيريا ، آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني ، مكتبة وهبة مصر .
- * المستصفي في علم الأصول : للإمام أبي حامد الغزالي ، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية 1993م .
- * طبقات الحنابلة ، أبو الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت 2010م .
- * الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، شهاب الدين محمد ابن محمد بن علي السعدي ، ط ، مؤسسة الرسالة - 1996م
- * قصص الأنبياء والمرسلين : الشيخ محمد متولي الشعراوي ، مكتبة التوفيقية ، مصر
- * الإسلام في نيجيريا ، العلامة آدم عبد الله الألوري ، مكتبة وهبة ، مصر



- * نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي ، العلامة آدم عبد الله الألوري ، دار العربية ، بيروت .
- * الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان « صوكوتو » العاصمة العلية ، الشيخ عبد القادر قريب الله كبره ، الطبعة الأولى ، كنو نيجيريا .
- * المنار المنيف في الصحيح والضعيف : العلامة ابن القيم الجوزية ، ط . مجمع الفقه الإسلامي بجدّة .
- * توجيه الدعوة والدعاة في نيجيريا وغرب أفريقيا ، العلامة آدم عبد الله الألوري ، مكتبة دار النور ، لاغوس ، نيجيريا .
- * السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث : الشيخ محمد الغزالي ، مكتبة دار الشروق .
- * العقد الفريد : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- * الوراقون وأثرهم في الحديث ، عبد الله بن عبد المعطي ، رسالة الماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . 2015م



الفهرس

الموضوع	الصفحة
كلمة إلى شيخ علماء الأمة.....	5
تمهيد.....	7

مدخل البحث

التخصص والمتخصصون

(11-30)

التخصص وتبجح المتخصصين.....	12
منافع التخصص ومضاره.....	25
دور دارسي اللغة العربية في حفظ الحديث.....	28

الفصل الأول

المفاهيم الأساسية التي يجب إعادة

النظر فيها عند أهل السنة والجماعة

(31-109)

1- الثوابت الدينية والمتغيرات

(33-54)

دفاع علماء السنة عن الثوابت الدينية.....	34
ثوابت الدين مثل ثوابت الكون يجب تحديدها بالمنطق السليم.....	37
وجوب مراعاة حقائق العلم والدين في الثوابت الدينية.....	41
التنقيح والتهديب لا يعني هدم الثوابت في علم الحديث.....	46

2- اعتقاد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم

(55-86)

موقف أهل السنة من الصحابة في البحث العلمي الصحيح.....	56
---	----



- 60 ابن تيمية وتعصبه المذهبي ضد آل البيت
66 آراء بعض علماء السنة في موقف ابن تيمية من آل البيت
71 سوء الفهم في معنى الولاء والبراء
76 في حديث أصحاب النبي وإخوانه دروس وعبر

3- الدين ... وسلوك التدين

(86-109)

- 87 الدين شيء والتدين شيء آخر
89 سلوك التدين عند بعض أصحاب النبي
94 سلوك التدين بين الحزب السني والحزب الشيعي
98 سلوك التدين عند غلاة سلفية هذا الأوان

الفصل الثاني

صحيح البخاري بين مؤيديه ومعارضيه في المجتمع النيجيري

(111-187)

- 113 أول من جاء بصحيح البخاري في المجتمع الإسلامي النيجيري
120 صحيح البخاري بين المؤيدين والمعارضين
125 في صحيح البخاري ومسلم أحاديث موضوعة
146 بعض أحاديث فضائل الصحابة موضوعة
153 التعسف في تأويل الأحاديث
174 تحريف الكلم عن مواضعه
184 صحيح البخاري بين الدكتور كاكوري والشيخ الحريري

الفصل الثالث

دراسة السنة النبوية بين الأصالة والمعاصرة

(189-233)

- 191 منهج السلف في فهم السنة النبوية دراسة وتطبيق
195 السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث



201	 السنة النبوية بين أهل الشرق وأهل الغرب
205	 أثر اليهود والنصارى والوراقين في أحاديث الصحيحين
	العيوب المنهجية في كتابات غلاة علماء السنة الواردة في البحوث
213	 العلمية
226	 علم الجرح والتعديل بين الاجتهاد والتقليد
230	 دراسة علم الجرح والتعديل في ضوء القرآن الكريم

الفصل الرابع

الاستشراق السلفي وآثاره في العالم الإسلامي

(249-235)

237	 كيف بدأ الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي
241	 الدافع السياسي في الاستشراق السلفي
244	 آثار الاستشراق السلفي في العالم الإسلامي
247	 كتب السنة بين السلفيين والمستشرقين
250	 خاتمة البحث
253	 قائمة المصادر
262	 الفهرس